دراسات نقدية

في ديوان

﴿ بوح البوادي ﴾

للشاعر عبد العزيز سعود البابطين

مع النص الكامل للديوان

بقلم نخبة من النقاد العرب



أعدّه للنّشر وقدّم له:

الدكتور فوزى عيسى

أستاذ الأدب العربى

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دراسات نقدية

في ديوان

﴿ بوح البوادي ﴾

للشاعر عبد العزيز سعود البابطين

مع النص الكامل للديوان

بقلم نخبة من النقاد العرب

أعدّه للنشر وقدّم له:

الدكتور فوزى عيسى

أستاذ الأدب العربى

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

إهـــــداء

إلى الشاعر المبدع عبد العزيز سعود البابطين

تقديراً لعطائك الشعرى ، وجهودك المخلصة

فى مسيرة الشعر العربى المعاصر ....

د/ فوزى عيسى

نقـــد النقـــد

بقلم الدكتور / فوزى عيسى

أحدث ديوان « بوح البوادى » أصداء واسعة فى الأوساط الأدبية ، وربما كان ذلك لارتباطه باسم صاحبه الشاعر عبد العزيز سعود البابطين الذى قدّم ـ ومازال ـ خدمات جليلة للشعراء انطلاقاً من عشقه الشعر واعتزازه بالشعراء . وربما يرجع ذلك أيضاً إلى الديوان ذاته باعتباره يمثل تجربة فريدة حيث كُتبت قصائده « فى صحارى وبوادٍ عربية وأجنبية مختلفة خلال رحلات الصيد » التى يعشقها الشاعر فضلاً عن خصوصية مضامينه حيث يبشّر بالحب العذرىّ ويدعو إليه كقيمة مثالية فى زمنٍ انصرف فيه الناس إلى المادة ، وطحنتهم الحياة بإيقاعاتها الصاخبة ، فنسوا ـ أو كادوا ـ تلك المعانى السامية المتمثلة فى الهوى العذرىّ وعدّوها ضرباً من الأحلام والخيالات ، وربما ساهم كذلك فى الاحتفاء بديوان « بوح البوادى » تمسك الشاعر بالقيم الفنية الأصيلة ، والتزامه بالسّنن والتقاليد الموروثة المتمثلة فى عمود الشعر وأوزانه الخليلية فى مناخ مُفعم بدعاوى زائفة أدّت إلى فقدان التواصل بين الشاعر والمتلقى .

وقد أثار هذا الديوان حركة نقدية نشطة ؛ فاحتفى به نخبة من النقاد العرب البارزين ، وكتبوا عنه دراسات نقدية جادة رأينا أن نجمعها باعتبارها تمثل مدارس واتجاهات نقدية مختلفة ، لما تمثله من قيمة نقدية فى ذاتها ، ولكونها قراءات متعددة تثرى العمل الشعرى وتعمقه وتضيف إليه ، وهى ـ فيما نحسب ـ فكرة تنطوى على فوائد جمّة ، ونتمنى أن تصبح من سنن

حياتنا الأدبية فهناك من الشعراء المعاصرين مَنْ كُتبت عنه دراسات ومقالات نقدية تناثرت هنا وهناك ، وتوزّعت بين مختلف الدوريات والمجلات الأدبية ، ولو تيسّر جمعها ونشرها مجتمعة لعبّدت الطريق أمام الباحثين ، وأمدّتهم بزادٍ وافر من الرؤى والأفكار والأحكام النقدية ، واختصرت أمامهم الجهد والوقت ،وغدت سجلاً حافلاً بالعطاء النقدى لكل شاعر من أولئك الشعراء.

ويحتوى القسم الأول ـ من هذا الكتاب ـ على ثمانى دراسات نقدية لكوكبة من النقاد العرب هم : د. مصطفى ناصف ـ د. محمد مصطفى هدارة ـ د. محمد عبد المنعم خفاجى ـ د. فوزى عيسى ـ د.أيمن ميدان ـ د.عبد الملك مرتاض ـ د. نبيل رشاد نوفل ـ خليفة الخيارى.

وهى فى جُملتها دراسات جادة تُسلط أضواء كاشفة على تجربة الشاعر وأساليبه وطرائقه التعبيرية وعناصره الجمالية ، وهى ـ فضلاً عن ذلك ـ تتصف بالموضوعية وتبرأ من شبهة المجاملة ؛ ويكفى تدليلاً على ذلك أن نشير إلى دراسة الناقد خليفة الخيارى وما تضمنته من أحكام نقدية قاسية.

وقد رأينا ـ تتميماً للفائدة ، ووفاء بالغرض النقدى ـ أن نتبع هذه الدراسات والآراء النقدية بالنص الشعرى الكامل للديوان ـ بعد استئذان صاحبه ـ لنضع القراءات النقدية إزاء النصوص الشعرية ونستثير القارئ للمشاركة ونحفزه إلى قراءات أخرى لإثراء النّص.

وتتصدر هذه الدراسات دراسة الناقد الدكتور مصطفى ناصف ، وهى دراسة غير تقليدية ، تأتى فى إطار مشروعه النقدى الذى تأصّل فى مؤلفاته

العديدة ، وتمثل منهجه المتميز فى محاورة النص الشعرى محاورات عميقة تستكنه أسراره ودلالاته ، وتكشف عن مغزاه ومراميه . وقد وقف الناقد أمام مجموعة من قصائد الديوان محللاً ومتأملاً ليقدم قراءة إبداعية متفردة تخلق فضاءات واسعة تحلّق فيها النصوص وتفتح المجال لـ « نمط من التأويل يخدم النص ، ويخدمه النص ، نمط من المتأملات الحرجة التى هى سمة الثقافة الأدبية فى هذه الأيام ».

ويقدم الناقد فى قراءاته تفسيراً جديداً لعلاقة الشاعر بالبادية ، فهى علاقة قديمة جديدة ، حيث تقترن البادية بالبطولة والعاطفة الجياشة والروح الحرة والانطلاق فى أفق لامحدود وهى قيم يتحصن بها الشاعر فى مواجهة الحاضرة أو المدنية بسلبياتها وتناقضاتها ، ويرى كذلك أن البادية تتمثل «فى صورة امرأة عظيمة لا تتاح إلا فى خيال شاعر عظيم» ، ويتوقف أمام مايحمله مفهوم « بوح البوادى » من دلالات ومعطيات فيقرر أن « البوح حديث السر ، وليس إفشاء السر . البوح معاناة التعرف ، واختيار الصديق . البوح أسلوب لإخراج ماتتمتع به البادية من جهر عظيم مغلّف بالسر العظيم» . ويلتفت الناقد إلى مجموعة من العناصر والمكوّنات الشعورية التى تؤكد العلاقة المتجددة بين الشاعر والبادية بقيمها ومثلها مثل صورة التعاقد أو الحلف الطبيعى الذى تقوم عليه حياة البادية متمثلاً فى قوله « أشرت لى فيه أن نبقى يداً بيد » فهو ـ يرى أن هذا المعنى يجسّد فكرة « الحلف » التى عرفتها البادية قديماً ولكنه ليس حلفاً خالصاً للبداوة وإنما هو الحلف الذى يتجدد فى صورة الحب » أو هو « حلف ثان لحياة تتغير قليلاً أو

كثيراً، فقد استغنى الشاعر عن الصاحب القديم واستغنى عن الحلف القديم، واستغنى الشاعر عن كل أحد إلا العشق والعشاق ، فهم أكثر الناس صفواً واستعداداً للفناء والتسامى ».

إن الناقد ـ فى حواره الفاعل مع النص ـ لايشغله « المعنى » بقدر مايشغله « المغزى » ففى قراءته للقصيدة الأولى يضع يده على ماتوحى به من مغزى عميق يتمثل فى أن « الطفولة الجديدة أو المشاعر التى تغطينا لاتكتفى بذاتها » ويرى فى القصيدة كذلك بُعْداً آخر ، فهى تنبهنا إلى أن الشاعر يقف موقفاً قديماً جديداً ، موقفاً بدوياً حضرياً يريد فيه أن يجمع بين الأمس والغد وأن يحقق الانسجام بينهما ، كما تعكس تخوف الشاعر من أن « تستحيل علاقتنا بالبادية إلى مايشبه الغربة » . إنها تضعنا فى مواجهة صريحة مع ذواتنا وتطرح أمامنا مثل هذه التساؤلات المصيرية : « من نحن ؟ وماذا أصابنا ؟» وتدعونا إلى الاهتمام باستخلاص حقيقة الشعر ، وتنبهنا إلى أن « البادية رغم كل مايقال ماتزال قابعة فى عقولنا لجمالها وجلالها وحريتها وبراءتها من التناقض والتدافع ».

وتكشف القراءة المتأنية للناقد عن علاقة الشاعر بالبادية فى تجلياتها المختلفة ، فالشاعر اكتسب فكرة الغرام من البادية ، وهو يحيى فكرة المنازل «منازلكم بعينى » ولكنه لايلبث أن يتوجه نحو الذات ، وسرعان مايمتزج وقار البادية بمعطيات الحضارة حيث تبدو « الكلمات حضرية من وجه ، بدوية من وجه ثانٍ ».

وفى قراءته لقصيدة « اذكرينى » يضع الناقد يده على « بؤرة

القصيدة » أو مغزاها المتمثل فى فكرة « التوارى » ، وهى لاترتبط بالشاعر وحده بل تنسحب علينا جميعاً ، « نحن نتوارى فى وردة ، ونتواري فى عطر، ونتوارى فى غيم ، ونتوارى فى طروب يتغنى ، ونتوارى فى رنين العود، ثم نتوارى فى القطا ، وتنفّس الفجر ، وعسعسة الليل ، وتصرُّم السنين ، ثم نتوارى آخر الأمر أو آخر الحياة : « وثوينا بين أسداف اللحود » . هذا التوارى إذن مظاهر مختلفة ، وربما تكون أسداف اللحود سخرية من العطر والطرب والرنين والقطا ، وربما تكون أيضاً شيئاً طبيعياً وإقامة مريحة لاتخلو من هناءة . اللحد هو العاقبة الطبيعية للغرام ، وهو تتويجه الأعلى . المهم أن جماليات التوارى خليقة أيضاً بالملاحظة ، وأن الكون أهم منّا وأبقى ».

.ويحذّر الناقد من مغبة الوقوف أمام ظاهر النصوص ؛ فثمة مرامٍ وأبعاد أخرى تتجاوز الظاهر ، فدلالة الفعل « اذكرينى » تتجاوز هموم الذات المحدودة لتتسع لمعنى « الضياع » بامتداده واتساعه ؛ وكأنه يومئ إلى ضياع شئ كبير أو مجد عظيم كُنّا يوماً نملكه، أو قد تشير إلى « ذل العربّى الذى كان يوماً عزيزاً » ، ولعلها إشارة كذلك إلى تجدد النفس ليتجدد العالم أمامها ، ورغبة فى أن « تتحول البادية فى عقولنا إلى روض وطير وغناء » ، ويجد الناقد كذلك فى دالة « القطا » مايرمز إلى « نفوسنا التى صارت كثيراً تبحث عن مكان أعز وأجمل بين الناس ».

وفى قراءته لقصيدة « ويبقى الشوق » يرى الناقد أن معجم القصيدة «يعبر عن أزمة الانفصال عن هذا العالم » وأن الشاعر « يلجأ إلى عاطفة بسيطة فراراً من عواطف كثيرة معقدة » .

ويلتفت الناقد إلى الظواهر الفنية البارزة فى الديوان ، فيجد فيه «مايشبه المحاكاه الساخرة لفكرة « سحر الكلمة » التى يتحدث عنها بعض النقاد المعاصرين ، وتتمثل فى اصطناع نوع من المحو أو التراجع أو اصطناع نوع من الحيرة أو التردد على كلمات بينها قدر من التشابه . وعلى هذا النحو يصبح الديوان مثيراً لقدر من التأملات التى يتعاطاها محب الشعر » .

ولايقنع الدكتور مصطفى ناصف بقراءة واحدة للديوان ، بل يجد فى نصوصه مايسمح بقراءات أخرى ؛ فهو لاينظر إلى علاقة الشاعر بالمرأة فى إطارها المحدود بل يراها أكبر من ذلك بكثير ، فقراءة النصوص المختلفة للديوان تؤكد أن « المرأة كائن عظيم يعيش فى جوانحنا ، وعلى مقربة منّا يجود علينا لكنه أكبر منّا ، سنظل نسعى إليه كما سعى نحوه كل أجدانا ، لكنه لاينال . المرأة العظمى لاتنال مهما يكن ماتناله منها » ويرى الناقد أن هذا موضوع « يكاد الوجدان المعاصر يغفله » حيث غلبت الشهوات وصارت معبوداً للكثيرين .

فالرسالة التى تحملها نصوص الديوان تؤكد أن « حب المرأة الحقيقى يحفظ للرجل كرامته ، ويؤكد اهتمامه بكل قيمة نبيلة ، ويساعده على أن يدخل فى قلب المجتمع مسامحاً وراغباً فى أن يجمله وينصره » وثمة رسالة أخرى تسمح بها نصوص الديوان تدعو فيها إلى نبذ قيم التفكك والقبح وإلى أن تتحصن الذات بحيائها وكبريائها فى هذا العصر الغريب المدمر.

وفى قراءة أخرى يرى الناقد أن شعر الديوان « لايخلو أيضاً من بعض البكاء على العربية والعروبة . لكنه ليس بكاءً صريحاً غليظاً . إنه يومض

إيماضاً من خلال تجربة العشق ... العشق للعربية والعروبة . هذا مستوى من المعنى لايمكن التفريط فيه .. والفراق الذى يملأ الديوان فراق للعربية والعروبة فى قلوب بعض الناس . الشاعر لايقول هذا قولاً لكننى أستطيع أن أستنبطه أو ألمحه لمحاً . هذا شعر يعود إلى عشق العربية وتراثها وعراقتها . هذا شعر يقول من بعض نبراته أجافيكم ، وأريد أن أعرفكم معرفة أفضل من خلال أصول الانتماء ».

ويخلص الناقد من قراءاته الدقيقة المنتجة إلى قناعته بأن الديوان « رمز ما ضاع أو مالا ينبغى أن يضيع ، رمز التفريق بين القشور واللباب ، بين الصحة والمرض ، بين الأصالة والطلاء ، بين الوجدان الرخيص والفقد العظيم » ويؤمن كذلك بأن الديوان « توثيق البساطة والشجاعة والغناء . كأنما يبحث الشاعر عن ميلاد كامن فى عمق بعض النفوس ».

ويؤكد الدكتور مصطفى ناصف موقفه الثابت فى الدفاع عن الشعر الأصيل ــ واضعاً الديوان فى مكانه الصحيح ــ فيقول : « إن هذا الشعر يمثل تحدياً صامتاً لشعر آخر كثير . ليس كل تجديد مرغوباً فيه . التجديد أن نقبل على القديم فهماً . هذا الشعر يذكرنا بما فقدناه من أمر التواصل . العاطفة البسيطة هى الباب المشروع المفتوح لهذا التواصل لا يروعنكم المروعون ».

أمّا دراسة الناقد الدكتور محمد مصطفى هدارة وعنوانها « بوح البوادى ــ دراسة تحليلية » فقد اهتمت بالوقوف على محاور التجربة وأبعادها النفسية والفنية ، ورأت أن العنوان يتشاكل مع المضمون ، وأن الديوان

يكشف أدق أسرار النفس حيث يعمد الشاعر إلى « البوح » الذى يعكس قصة حُبٍّ طاهر لرفيقة الصبا تتآلف مع حبه للبادية أو الصحراء حيث يرتبط وجوده بوجودها فلا تغيب عنه فى كل قصائده.

وتشير الدراسة إلى ظاهرة استدعاء شعراء الحب العذرى تعبيراً عن انتماء الشاعر إلى عالمهم وأجوائهم ، وتنفذ الدراسة إلى أبرز عناصر التجربة الفنية لغة وإيقاعاً وطرائق تعبير وهى تنحصر فيما يلى :

- من حيث اللغة يحتشد معجم الشاعر بألفاظ الحب ومرادفاته وبما يعبر عن الذكرى والشوق والحنين والألم مواكباً بذلك العناصر الموضوعية للتجربة.
- يمزج الشاعر بين المعاصرة والتراث فى العناصر الفنية التى يرتكز عليها أسلوبه سواء من خلال ظاهرتى « المعارضة » أو « التناص ».
- رصدت الدراسة بعض الظواهر الأسلوبية الخاصة فى الديوان كتوظيف الجناس والاهتمام بالترصيع وإضافة الظرف إلى الفعل وبدء القصيدة ببيت أو شطر وختامها به فيما يسميه الناقد « عوداً على بدء ».
- تنوه الدراسة بقدرة الشاعر على التصوير برغم دوران المضمون فى حيِّز واحد هو « تجربة الحب » وتشيد بقدرته على الخروج من إطار الصور الكثيرة التى يزخر بها الشعر الغزلى التراثى.
- تمتاز قصائد الديوان بالوحدة العضوية التى تعبر عن موقف نفسى واحد يُفرغ فيه الشاعر تجربته التى قد يصوغها فى أسلوب قصصى قد تصاحبه نزعة درامية تتمثل فى الحوار .

- تؤكد الدراسة على انسجام صدق التجربة مع الإيقاع المتناغم المنبعث من تراكيب العبارات التى تخلو من التعقيد والغموض.

- ترصد الدراسة على نحو إحصائى البحور الشعرية التى استخدمها الشاعر فتلاحظ تنوعها . وتلاحظ أن (الوافر) يأتى فى مقدمتها (ست عشرة مرة) ثم الرمل (إحدى عشرة) ثم البسيط (تسع) ثم الطويل (خمس) ثم الخفيف (ثلاث) ثم الكامل (قصيدتان) والمتدارك (قصيدة واحدة) ، كما تشير إلى اتجاه الشاعر إلى « المجزوءات » لإثراء الإيقاع الشعرى ، حيث وظّف مجزوء الرمل فى أربع قصائد ومجزوء الكامل فى قصيدة واحدة . وتلاحظ كذلك أن الشاعر كان أكثر استخداماً للقوافى المتغيرة فى أنواع من التشكيلات ، وأقلّ استخداماً للقوافى المتحدة.

وتأتى بعد ذلك دراسة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وعنوانها : «قضايا نقدية حول ديوان بوح البوادى » فيعرض فى بدايتها لمفهوم الشعر وتباين الآراء النقدية حول مصطلحى « الإلهام » و « الصنعة » وينفذ من ذلك إلى مفهوم الشعر عند الشاعر عبد العزيز البابطين فيرى أنه يحمل تفسيراً جديداً ؛ هو « حديث الذكريات » وبمعنى آخر فهو « حكاية جديدة لذكريات قديمة » أو هو « تصوير صادق لعواطفه ومشاعره الوجدانية » .

ويرى أن شعره مرتبط بفلسفة خاصة هى « فلسفة الحبّ » الذى «يؤجج الذكرى ، ويشعل فى الروح لظى الأشواق ».

ويتفق الناقد مع غيره من النقاد فى أن قصائد الديوان « تدور فى فلك الهوى العذرى » وتستوقفه بصورة خاصة قصيدتان من قصائد الديوان هما « قصة حب » و « رحلة على أنغام الناى » فيصف الأولى بأنها « فريدة » فى شعرنا الحديث حيث تتضح فيها شخصية الشاعر وعاطفته وموهبته وروحه القصصية العالية ، ويعّد الثانية من القصائد « النادرة » أو « اليتيمة » بما تتضمنه من « وهج الشاعرية وحرارة الوجدان وضرام العاطفة ».

ويرصد د. خفاجى بعض الظواهر الفنية الخاصة كتلك الظاهرة التى يُطلق عليها « أندلسية الروح » التى تشيع بوضوح فى الديوان حيث يبدو تأثر الشاعر بالشعر الأندلسى ـ خاصة ابن زيدون ـ وبالبناء التوشيحى ، ويشير إلى ظاهرة « المعارضات » وقد اتفقت معظم الآراء النقدية فى رصد هاتين الظاهرتين.

ويشيد د. خفاجى بالتزام الشاعر بعمودية القصيدة ويراها « ميراثاً من روح العروبة والصحراء » ، ويصف موسيقى الشاعر بأنها « هامسة حلوة » ويشبهه فى عذوبة موسيقاه بالبحترى مذكراً بما قيل عنه فى هذا الصدد من أنه « أراد أن يشعر فغنّى » ، ويرصد بحوره الشعرية رصداً إحصائياً يخالف الإحصاءات الأخرى.

ومن حيث المضمون يرى أن معانى الشاعر تنطوى على روح العمق الفلسفى والمنطق الشعرى المتصل بفكر الشاعر ومعارفه ، ويرى أنه يبلغ الغاية فى أداء المعنى ورسم صوره. ويرى كذلك أن عطاء الشاعر عبر نصف قرن قد تبلور فى مجموعة من المنطلقات والصيغ الشعرية كالاهتمام

بالجزئيات والتفاصيل واعتماد البنية الدرامية التى تستخدم خاصية « التراكم السردى » للجزئيات لتفجره بدلالات شعرية عامة. ويلتفت د. خفاجي إلى المؤثرات التراثية فى شعر الشاعر ، وينّوه بالمعنى الأخلاقى الذى ترتكز عليه رسالة الشاعر والتى تتمثل فى الدعوة إلى تهذيب العواطف الإنسانية وتنمية الإحساس بالجمال والتمسك بالقيم العربية الأصيلة ، والمبادئ السامية حيث يقدم للشباب فى ديوانه « ملحمة رائعة من الشعور بالشخصية وبناء الذات والتطلع إلى المثل الأعلى وحب البطولة وتمجيد الفضائل ».

أما دراستنا ـ بناء الأسلوب الشعرى فى ديوان بوح البوادى » ـ فيتضح من عنوانها أنها تنحو منحىً أسلوبياً فى قراءة الديوان وقد لاحظت أن التجربة الشعرية تقوم على ثنائية (الحضور / الغياب) حيث تمثل الذات بقوة عبر مستويات اللغة المختلفة بينما تغيب المحبوبة عن عالم الواقع وإن ظلت صورتها تهيمن على وجدان الشاعر . وترصد الدراسة تلك الثنائية فى صورها وأشكالها المختلفة ؛ فوفاء الشاعر يقابله إعراض المحبوبة ، وتتقابل الرغبة فى الوصال مع النأى والهجر ، وتتمثل تلك الثنائية كذلك فى الصراع بين الزمن الداخلى للذات والزمن الخارجى حيث يحسم الصراع للزمن الأول (الداخلى) حيث يعيش الشاعر فى دائرة الماضى بذكرياته وصوره هروباً من عالم الواقع الذى تغيب فيه المحبوبة غياباً جسدياً أو عيانياً .

وتتوقف الدراسة أمام الدوال المتعددة التى تؤكد مثول المحبوبة فى وجدان الشاعر خاصة من خلال تلك الرموز التراثية حيث تتجسد فى صور تراثية وترتدى أقنعة المحبوبات اللواتى يمثلن نماذج الحب العذرى كسلمى

وليلى ودعد.

وتكشف الدراسة عن الدور الذى تضطلع به مستويات اللغة ـ نحوياً وتركيبياً ودلالياً ـ فى تكثيف الرؤية الشعرية ، حيث تلعب صيغ الاستفهام والأمر والنداء دوراً مؤثراً فى حضور الذات وتجسيد معاناتها وإحساسها بـ «الفقد» ، وتفيد الدراسة من الإحصائية الأسلوبية حيث يشير الاستقصاء الأسلوبى إلى استئثار الذات بكل أنماط صيغ السؤال التى تتنوع لتملأ فضاء التجربة ، وتلتفت إلى صيغ أسلوبية أخرى مثل دوال القسم التى تتباين مواقعها بتباين مواقف العشق وحالاته .

وتتبع الدراسة ماتؤديه الصيغ الأخرى ـ كالأمر والنداء ـ فى الكشف عن إحساس الذات بـ « الفقد » ورغبتها فى أن تظل ماثلة فى وجدان المحبوبة . وقد لاحظت أن صيغ النداء تعدّ أكثر الظواهر اللغوية أو الأسلوبية شيوعاً فى الديوان لملائمتها مناخ الغياب أو الفقد الذى يسود أجواء الديوان كله تبعاً لقياس معدل الكثافة الأسلوبية .

وتتوقف الدراسة عند بعض الظواهر الأخرى كاعتماد التكوين البديعى فى أبنيته التوشيحية على خاصية « التجنيس » والاتكاء على عنصر «التضاد» فى ترسيخ المفارقة وتأكيد ثنائية الحضور والغياب . كما تشير إلى وظيفة الصورة الشعرية فى الكشف عن الأبعاد النفسية والشعورية فى تجربة الشاعر ووجود علاقة توحّد بين عالم الشاعر الداخلى أو النفسى وعالم البادية الرحب بأسراره وصفائه.

أما دراسة الدكتور أيمن ميدان وعنوانها (ديوان بوح البوادى : قراءة في المضمون والمؤثرات) فقد رصدت مجموعة من الظواهر الفنية والموضوعية وركزت على التأثيرات المختلفة فى شعر عبد العزيز البابطين.

ويرى الناقد أن عنصر الصدق أهم ملامح تجربته الشعرية ويصف قصائد الديوان بأنها « ترجمة صادقة لفورة وجدان أو دفقة إحساس أو مباغتة ذكرى » وهى نظرة صحيحة تتفق مع رؤية الشاعر نفسه إذ يقول « كل مايهمنى فى القصيدة التى أبدعها هو الصدق والتعبير الواضح عمّا تختلج به مشاعرى ».

ومما يحسب لهذه الدراسة أنها لم تنظر إلى المضمون بمعزل عن الشكل بل نظرت إليهما باعتبارهما نسيجاً متلاحماً لاينفصل ، ومن ثم جاء تفسير الناقد لقضايا الشعرية فى إطار هذه الرؤية ، فهو يرى ـ على سبيل المثال ـ أن طول البناء اللغوى أو قصره ـ وهو من عناصر الشكل ـ يأتى مواكباً لمقتضيات فورة الوجدان أو دفقة العاطفة.

وثمة ظاهرة فنية أخرى ترصدها الدراسة وترى أنّ لها صلة بظاهرة الصدق باعتباره من أبرز ملامح التجربة الشعرية لدى البابطين ، وتتمثل هذه الظاهرة فيما لاحظه الناقد من اتساع وتباين المساحة الزمنية والمكانية التى كُتبت فيها قصائد الديوان ، ومع ذلك فلا تبدو فيها آثار الضعف أو الصنعة، ويشير الناقد إلى قصيدة بعينها هى قصيدة (وضاع الدرب) فيذكر ـ طبقاً لما سمعه من الشاعر ـ أن الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة كُتبت بجنيف

(سويسرا) فى أواخر عام ١٩٨٩ وظلت هذه الأبيات وحيدة حتى قدّر للقصيدة أن تكتمل بعد أكثر من عامين فى مكان آخر يختلف فى أجوائه وطبيعته عن المكان الأول ، ومع ذلك فإن القصيدة تبدو وكأنها دفقة شعورية واحدة وذلك مردُّه إلى صدق التجربة حيث يعيش الشاعر زمنه الداخلى بصدق بمعزل عن الزمن الخارجى مهما تباينت صوره ومساحاته.

وتهتم الدراسة بالوقوف على محاور تجربة عبد العزيز البابطين الشعرية، فترى أن ثمة خيوطاً كثيرة متشابكة تتضافر على نسج تجربته ، ومن أبرزها (الرحلة) حيث يعيش الشاعر فى ارتحال دائم ولذلك فإن أغلب قصائده تتخذ من (الرحلة) إطاراً لها ، وما أشبه صنيعه هذا بصنيع الشاعر القديم الذى كان يتخذ من الرحلة وسيلة للعزاء والسلوى أو معادلاً موضوعياً لعالم الذكرى والألم .

ويقترن بالرغبة الدائمة فى الترحال إحساس حاد بالغربة ـ وهو خيط آخر من خيوط التجرية الشعرية ـ ويقرر الناقد أن غربة الشاعر نفسية لا مكانية ، فالشاعر يحنُّ دائماً إلى زمن الوصل البرئ ، أو الماضى الجميل الذى يفتقده.

وتتوقف الدراسة أمام ظاهرة أخرى هى موقف الشاعر من التراث حيث تؤكد شغفه بتراث أمته الشعرى مما يتجلى فى استحضار أجمل نماذجه متمثلاً فى تجربة شعراء الغزل العذرى كالمعارضة أو التضمين أو توظيف الشخصيات التراثية.

وتشير الدراسة إلى اهتمام الشاعر بصوره الفنية ، وتحدّد أبرز ملامحها وسماتها كالتلقائية حيث « لايجهد الشاعر نفسه فى تعقبها واقتناصها » ، ومن سماتها كذلك « ارتباطها بتجربته الشعورية ، وامتزاجها بالنسيج اللغوى» . ويرى الناقد أن اهتمام الشاعر بفنّه وجهه إلى « تكتيكات أخرى لها دورها فى إحكام البناء الشعرى ، كالحوار الذى تتنوع طرائقه سواء محكيّاً أو حقيقياً أو ديالوجاً داخلياً » ، كما يعمد إلى وسائل فنية أخرى مثل التكرار والمفارقة اللغوية أو التصويرية .

أما دراسة الدكتور نبيل رشاد نوفل (قراءة فى ديوان بوح البوادى) فتنصبّ على اهتمام الشاعر بإحياء مفهوم الحب العذرى الذى « يتجدّد ويعود ماثلاً فى أذهان القراء بعد قرون طويلة تغيرت فيها مفاهيم العاطفة وتبدلت وانحصرت فى إطار مادىّ ضيق ».

ويشير الناقد إلى تضافر عنصرى الزمان والمكان فى استدعاءات حيّة لشعر الحب العذرى تثرى تجربة الحب المعاصرة عند الشاعر . ويؤكد الناقد فى هذا المجال أن الشاعر وهو يصنع هذا الصنيع « لايقلّد القديم بحذافيره ولايحاكيه محاكاه تامة ، بل إنه يستلهم روحه فحسب ، ويمزج ذوقه المعاصر بأطياف الماضى ويكسوها ثوباً جديداً ».

ويتوقف الناقد أمام ظاهرة استدعاء الشاعر حقبة الشعر الأندلسى ويفسّر ذلك بانتماء هذه الحقبة إلى العذرية بروحها ونبضاتها وصفاتها.

ويلتفت الشاعر إلى تلك النزعة الموسيقية التى تنتظم قصائد الديوان

ويلحظ أنها ظاهرة « لاتلازم إحساس الشاعر بالسعادة فحسب ؛ فالعذريون قليلاً مايفعلون ذلك ، ولكنها تلازم كل عواطفه المتقلبة ؛ فهو يستشعر جمال الكون ، وتهتز نفسه وتطرب لكل لحن جميل ، حتى وهو يشكو الهجر والنوى ».

وينوّه الناقد ببعض الظواهر اللغوية المرتبطة بالرؤية السائدة فى الديوان كازدحام المعجم الشعرى بألفاظ الذكرى ودلالاتها انعكاساً لهيمنة أطياف الماضى عليه ، كما يلاحظ أن الشاعر يخاطب محبوبته بصيغة الجمع ـ وهو أمر لاحظه البلاغيون القدماء ويشير إلى احترام الشاعر للمرأة وتقديره لها..

وتأتى بعد ذلك دراسة خليفة الخيارى التى نشرها فى مجلة «الإتحاف» التونسية (العدد ٦٤ ديسمبر ١٩٩٥) ويرصد فيها الظواهر العامة فى ديوان (بوح البوادى) سواء منها مايتصل بالمحتوى أو الشكل ، كظاهرة التعلّق بعمود الشعر ولوازمه حيث يتمسك الشاعر فى قصائده بعمود الشعر ويلتزم بالعروض الخليلى.

ويعمد الناقد إلى حصر بحور الشعر المستخدمة فى الديوان ويستقرئ بعض دلالاتها فيلحظ أن بحرى الوافر (١٦ قصيدة) والرمل (١٥ قصيدة) قد هيمنا على نصف العدد الإجمالى ، كما يلاحظ أن الشاعر يميل إلى استخدام البحور التى تطغى فيها المقاطع الطويلة من أوتاد وأسباب وقد يرجع ذلك ـ فى رأينا ـ لامتداد تجربته الشعرية ، وحرصه على استمرار الدفقة الشعورية.

ويتتبع الناقد ظاهرة التنويع فى القوافى فيراها تدور فى دوائر ثلاث يلتزم فى أولها بالقافية الموحدة ، ويستهلم فى الثانية بنية الموشح المشرقى «حيث تتحول القافية بعد كل بيتين تفصل بينهما لفظة متكررة ولازمة» أما الدائرة الثالثة فتدور فى فلك بنية الموشح الأندلسى .

ويتطرق الناقد إلى قضية المضمون أو مايطلق عليه « مجالات القول ومدارات التعبير » فيرى أنها تتوزّع على أربعة مجالات فى إطار الغرض الأساسى الذى يرتكز حوله الديوان ، وهذه المجالات هى : استحضار الماضى وتذكر الحوادث الجميلة العالقة بالوجدان من لقاءات وذكريات . ويدور المجال الثانى حول البين والفراق ، وينفرد المجال الثالث بالرثاء وهو مرادف عنده للفقد وشكوى الزمان . أما المجال الرابع فينصرف إلى التغنى بجمال الكون. ويرى الناقد أن هذا المجال لم ينل قدراً كافياً من اهتمام الشاعر ويُرجع ذلك لسببين ، أولهما : أن الطبيعة عند الشاعر ترتبط بالذكرى والفراق ، والآخر أن المنظر الطبيعى لايأتى مستقلاً بذاته بل يأتى فى سياق الحديث عن تجربة الحب .

وفى حديثه عن « الأسلوب الشعرى » يوضح أن هدفه الأساسى هو «الإشارة إلى مظاهر التعلق بالبيئة العربية القديمة فى مستوى العبارة الشعرية» ويتوقف فى هذا الإطار عند ثلاث ظواهر تعبيرية هى الوقوف على الأطلال ، ومخاطبة الخليلين ، وترديد التراكيب والصيغ التعبيرية الجاهزة ، ويراه الناقد مأخذاً أسلوبياً يحدّ من جماليات النصوص الشعرية.

ويعيب الناقد على الشاعر تمسكه بالسنن والتقاليد الشعرية القديمة

على مستوى الشكل والمضمون ويرى أنها أوقعت فى إشكالية الفصل بين الشاعر ووجدانه ، « فهو يعيش الحاضر بقضاياه وشواغل الإنسان فيه بجسده، ويعيش الماضى بأحاسيسه ومشاعره . ومن شأن هذا الانفصال أن يضع وظيفة الشاعر فى مجتمعه موضع أكثر من سؤال ، وأن يشكك فى التلازم الحتمى والحميمى بين التجربة الوجودية والتجربة الوجدانية » .

ومن الواضح أن موقف الناقد ينطلق من مرتكزات « حداثية » ، ونلاحظ أن رأيه الأخير يخالف جمهرة الآراء النقدية التى عرضناها ، ونحيل هنا بصفة خاصة إلى رأى د. نبيل نوفل الذى ذهب فيه إلى أن الشاعر لايقلّد القديم تقليداً تاماً بل يستلهم روحه ويخلع عليه ذوقه المعاصر.

ولاغرابة فى أن ينصرف الشاعر إلى الزمن الماضى تعلقاً بذكرياته الجميلة وهروباً من طغيان الزمن الحاضر بإيقاعه الصاخب ، فكثير من الشعراء يصنعون هذا الصنيع ، وكثيراً مايحتدم الصراع بين الزمن الداخلى والخارجى مما يضفى على التجربة الشعرية قدراً كبيراً من التوهج والحرارة.

أما دراسة الدكتور عبد الملك مرتاض وعنوانها « جود الغوادى فى بوح البوادى » فتتجه وجهة أخرى ، هى وجهة القراءة النصّية وقد آثر أن يتخير قصيدة واحدة من قصائد الديوان هى « الجمال الناعس » [1] وقد اختار هذه القصيدة بالذات « لشدة ارتباطها بالتراث الشعرى ، واعتمادها

(١) أطلق الناقد على هذه القصيدة اسم (عيون النرجس) ولكنه يعنى قصيدة (الجمال الناعس) المسماه بهذا الاسم حيث ذكرها بعد ذلك باسمها الوارد فى الديوان ، كما أن عبارة (عيون النرجس) وردت فى ختام أحد أبياتها.

على الإيقاع التقليدى للموشحات ، وتوظيفها لألفاظ لطيفات المواقع ، جميلات المخارج ، شعريات الظلال ».

والملاحظ أن الناقد لم يقف أمام النص وقفة تحليل وتمحيص ؛ وإنما اكتفى برصد الملامح العامة ، وقد استوقفه احتذاء الشاعر إيقاع الموشحات الأندلسية، ورأى أن الشاعر قد تناصَّ مع موشحة ابن الخطيب (جادك الغيث) تناصاً واعياً وموظَّفاً توظيفاً فنياً جيداً ». وقد نوّه الناقد باللغة الشعرية لا فى هذه القصيدة وحدها بل فى قصائد الديوان عموماً فهى حسب تعبيره « ترتفع عن اللغة اليومية » التى ينزلق إليها بعض الشعراء ، كما وصفها بأنها « لغة شعرية أنيقة موظفة فى مواطنها » . وأضاف إلى ذلك خاصية أخرى هى « القدرة على التعبير البديع والتصوير الجميل ».

ونستطيع بعد هذا العرض أن نسجل بعض الملاحظات ونجملها فيما يلى :

* تتفق الدراسات على مايحظى به ديوان (بوح البوادى) من قيمة فنية.

* تمثل هذه الدراسات مناهج ومذاهب نقدية مختلفة ، وقد تباينت مناهجها وطرق معالجتها تبعاً لذلك ؛ فاتجه بعضها إلى الدراسة التحليلية ، واهتمت دراسات أخرى بتتبع الظواهر الفنية والموضوعية ، وأفادت إحداها من إنجازات المنهج الأسلوبى ووجهت دراستان اهتمامهما شطر النص الشعرى ، ولاشك فى أن هذا التنوع يثرى العمل الأدبى ويعمقه ويضعه تحت أكثر من مجهر ، ويسلط عليه أضواء كاشفة من كافة زواياه.

* ثمة نتائج مشتركة تمخضت عنها تلك الدراسات خاصة فيما يتصل بالتجربة الشعرية ومجالات التعبير ، واتفقت حول مجموعة من الظواهر الفنية المتصلة بلغة الشاعر وأساليبه الفنية كالاتكاء على خاصية «التناص» و « التراسل » و « استدعاء الرموز التراثية » و « المعارضات » واحتذاء أبنية فنية معينة كالبناء التوشيحى ، ونظرا لتباين المناهج فقد اهتمت بعض الدراسات بالتركيز على ظواهر معينة ، والوقوف عند جزئيات محددة ، وإن كانت قد اتفقت فى معظمها حول النتائج أو الظواهر العامة.

* نلاحظ أن هناك تضارباً بين بعض الدراسات فى التتبع الإحصائى لبحور الشعر أو فى الإحصاء الإجمالى لقصائد الديوان.

* امتازت دراسة الدكتور مصطفى ناصف بالجدة وجاءت قراءاته لنصوص الديوان « قراءة منتجة » وسعّت الأفق الدلالى ، وفتحت المجال لأنماط من التأويل والكشف.

أصداء الديوان فى الصحف والمجلات الأدبية.

قوبل ديوان (بوح البوادى) بحفاوة بالغة فى الصحف والمجلات العربية ، وتوزعت هذه الحفاوة مابين الأخبار الأدبية والعرض الموجز والمقالات الوافية ؛ وكان لصحيفة (القبس) الكويتية القدح المعلّى فى الاحتفاء بالديوان ، فقد أنزلته منزلة رفيعة فى صفحة (ثقافة) وأتاحت المجال لكوكبة من الكتّاب فكتبوا عنه عدة مقالات فى أكثر من عدد لعل أبرزها مقال فيصل السعد المنشور بتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٩ ـ العدد (٨٠١٩) بعنوان (بوح البوادى لعبد العزيز سعود البابطين ـ الوصول إلى مرافئ الشعر عبر أول مجموعة شعرية) وقد أثار الكاتب فى مقالته قضية انشغال الشاعر بوجدانه وهمومه الذاتية بعيداً عن الموضوعات الأخرى ودافع عن موقف الشاعر فقال « إن هذا ليس مأخذاً يبعدنا عنه ، فكما نكون بحاجة إلى شعر سياسى نحن أيضاً بحاجة إلى شعر الحبّ الذى يؤكد إنسانية الإنسان ».

ويضع كاتب المقال يده على خاصية أخرى تتمثل فى قدرة الشاعر على منح شعره الذاتى صفة العمومية بما تركه فى الوجدان الجمعى من أثر وعلى حد تعبيره « فقد استطاعت هذه الذات أن تطرب الآخرين وتقودهم إلى استرجاع حبٍّ قديم أو تذكيرهم بحب جديد ».

ويلتفت الكاتب إلى ظاهرة أخرى ربما غابت عن غيره من النقاد هى اختلاف حالات العشق ومواقفه من قصيدة إلى أخرى مما يبعد القصائد عن التشابه أو « النمطية » أو الدوران فى فلك واحد . ويوضح هذه الفكرة فيقول : « ورغم أن الخيط الذى يشدّ قصائد الشاعر هو خيط العشق إلا أننا

نجد فارقاً كبيراً بين قصيدة وأخرى يؤكد فيها البابطين بأنه يعيش حالات مختلفة في عشقه ، ولكل حالة لونها ومفرداتها وصورتها ، فإذا كانت المتحدثة في قصيدته هذه هي الحبيبة فإننا نجده في قصيدة أخرى يبدأ الحديث بشوق أو عتاب أو رجاء » ، وهذه الظاهرة هي التي أكسبت التجربة الغزلية لوناً خاصاً ـ فيما يرى الكاتب ـ ومنحته مكانة خاصة بين شعراء الغزل المعاصرين. كما أن تباين حالات العشق من قصيدة لأخرى تحفز القارئ إلى قراءة الديوان كله من أجل الوصول إلى عالم الشاعر واكتشاف تفاصيله وفضاءاته المختلفة.

ويتعرض المقال لموقف الشاعر من التراث والمؤثرات المختلفة في شعره فيقرر أن هذا التأثير « يدل على أن الشاعر يستوعب مايقرأ من أجل أن يطعِّم ذهنه بمفردات وصور شعرية ».

وإذا كان الشاعر قد تأثر بالقدماء فإن « المواضيع التي يتناولها تبقى حديثة بمفرداتها رغم أن معظمها تتحدث عن الحب».

ويختم الكاتب مقاله بالتأكيد على أن الشاعر عبد العزيز سعود البابطين استطاع أن يصل في ديوانه (بوح البوادي) إلى مرافئ الشعر التي تعدّ منطلقاً للإبداع والعطآء الفياض في المستقبل.

كما تضمنت صحيفة القبس في زاوية «الثقافة »مقالاً للكاتب حمود البغيلي بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٥ ـ العدد ٨٠٢٥ بعنوان (بوح البوادي) كتبه صاحبه بلغة شاعرية رقيقة نقتطف منها قوله : « أربعون سنة من

الكتمان للمشاعر والأحاسيس اللصيقة بالروح تتفجر أخيراً لتصبح بوح البوادى .. أربعون سنة والعناق لم يفض بين الزهرة البكر والقلب المخضب بزهرة « الجحيل » وردية النظر .. فبعد كل هذا السفر على بساط « الروض الأخضر » يأتى الشاعر عبد العزيز سعود البابطين ليعلن « البوح » تلبية لرغبة الإلحاح من الأصدقاء يوثق نفس الصحراء وعطر الخزامى وبسمة «الدبل » عند الصباح ».

ويشير المقال إلى خصوصية التجربة الشعرية فى الديوان « حيث يكتشف القارئ أنه أمام تجربة طويلة وخبرة عميقة فى رياض الشعر ».

ويتوقف أمام دلالات ورموز البوح فيرى أنه ليس بوح الشاعر وحده ولكنه « بوح البوادى الشاسعة المنبسطة ، وبوح السهول والوديان والقفار ، وبوح البدوى صاحب الخيال الخصب والجبهة السمراء ».

وتعود (القبس) مرة ثالثة لتنشر مقالاً للكاتب ناصر كرمانى بعنوان (بوح البوادى) بتاريخ ١٩٩٦/١/٥ (العدد ٨٠٩٦) يتضمن أثر الصحراء أو البادية فى توجيه تجربة الشاعر وطبعها بطابعها المميز » ، ويستوقفنا المقال ــ على قصره ــ برشاقة لغته وإيحاءاتها المعبرة مما نلمسه فى قوله :

« للصحارى والبوادى تأثير على أحاسيسنا بحكم تعايشنا مع البيئة الصحراوية من حولنا ، فتراه يؤثر فى الفن سواء كان تشكيلاً ولوناً أو أدباً ومسرحاً أو شعراً . وفى ساحة الشعر مثلاً نتحسس الخزامى وبيوت الشعر وجذوع النخيل الباسقات فى الصور البلاغية للشعراء . والشاعر عبد العزيز

سعود البابطين أديب عذب تأثر برمال البوادى وهو يفرشها ليلاً بجوار موقد نار العرفج العطر ليراعى النجوم الدريّة ، ومن فنجان قهوته العبقة برحيق الهيل تتجلى معشوقته لتتمايل فى شوق مع تمايل ألسنة اللهب الذهبية ، وتطلب منه أن يطيب شعرها الفاحم بطيب خزامى أبياته الشعرية ، فيبوح لها من أسرار البيداء ».

كما احتفت صحيفة (الوطن) الكويتية بديوان (بوح البوادى) فنشرت مقالاً لإقبال الغربللى بعنوان (صاحب الشخصيات المتوازية) بتاريخ ١٩٩٥/١٢/١٥ (العدد ١٥٧٥/٧١٢٩)، وهو ـ فى جملته ـ تكريم لدور الشاعر فى الحياة الأدبية والعامة واحتفاء بشاعريته ، ويرتكز المقال على أن قصائد الديوان العاطفية كشفت عن شخصية جديدة للشاعر فيها الكثير من المشاعر المرهفة والحس الرقيق مما يجعله صاحب شخصيات متوازنة متعددة لاتطغى إحداها على الأخرى وإنما تكملها فتزيد من عمقه وتعدد عطاءاته.

وفى صحيفة « الأهرام» القاهرية كتب الدكتور عبد العزيز شرف فى عموده « شوارد » الموقع بـ « سندباد » مقالاً بعنوان « بوح البوادى » بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٦ أشاد فيه بالديوان ورأى فيه « رسالة تعبيرية تصل بين « الأنا» و« الأنت » ويفتح أمامنا عالمه فتنفتح قلوبنا له . ذلك أن السر البائح هو الذى يكسب رسالة الشاعر طابعها التواصلى ، وكذلك الشاعر عبد العزيز سعود البابطين فى ديوانه « بوح البوادى » حين ندرك مافى عمله من تعبير وجدانى ، وبهذا المعنى يصح لنا أن نقول مع فلاسفة الجمال : إن بوح

الشاعر يعطينا درساً عملياً فى التواصل ، لأنه هو الذى يخرجنا من قواقعنا الذاتية لكى ينقلنا إلى تلك العوالم الفنية الجديدة التى قد تؤلف بين قلوبنا ، وتوحد بين أفكارنا».

ويتلمس الكاتب فى مقاله بعض الخصائص الصوتية المتمثلة فى اللغة الشعرية كصوت « الحاء » الذى يوحى بالبوح الاعترافى والذى يتكرر كثيراً فى بعض النماذج الشعرية تأكيداً للفكرة الاتصالية الاعترافية التى توظف صوت الحاء المهموس توظيفاً فنياً وشعورياً لمقتضيات تجربة (بوح البوادى) كما توظف أصوات مهموسة أخرى إلى جانب الحاء ».

وقد وجد ديوان « بوح البوادى » أصداء قوية فى الصحافة التونسية والمغربية ؛ ففى العدد ٥١٨ بتاريخ ١٩٩٥/١٢/٩ نشرت مجلة « حقائق » التونسية مقالاً جيداً بقلم روضة عبد اللاوى بعنوان « ديوان بوح البوادى بين الوهج الرومانسى والتفاعل مع الروائع ».

ويضع المقال يده على عده مرتكزات وحقائق منها « أن مرجعية قصائد الديوان مستوحاة من النفس الرومانسى الحالم . وهذه الرومانسية تعبق بها النصوص الشعرية فى أغلبها ». وفى إطار هذه النظرة يرى المقال أن تأثير المدرسة الرومانسية واضح فى الديوان خاصة الرابطة القلمية وجماعة أبوللو ممثلة فى على محمود طه وأبى شادى وأبى القاسم الشابى الذى تجمعه والشاعر خصائص مشتركة كصورة الألم والغنائية المحضة المسيطرة على الجو العام للقصائد وكذلك صورة الحنين والشوق إلى الماضى والفردية والمواجهة اللامتكافئة بين الشاعر والواقع.

ويرى المقال أن قصائد الديوان « تبدو أشبه ماتكون ببكائية على ماضٍ ولّى ، ولكنه دائم الحضور يرفض الغياب ، فصورة الماضى الجميل فى النصوص هى صورة وضاءة حيث يهرب الشاعر من حاضره موليّاً نحو الماضى لما يمثله هذا الأخير من رمزٍ لكل شىء جميل ».

ويلتفت المقال إلى الخطاب الشعرى فى الديوان فيراه « رغم تعبيراته المختلفة مناجياً للأنثى التى يعمد الشاعر إلى تجريدها من نفسه فتلهمه وتلهب الذكرى فى ذاته .

ويرى كذلك أنَّ صورة المرأة مستقاة من الموروث الرومانسى « حيث الأنثى موطن الأسرار والطهارة ».

وتنتهى الكاتبة فى ختام مقالها إلى أن « بوح البوادى هو فى نهاية الأمر تعبيرات فنية عن جمالية البداوة بما فيها من عذوبة أفضت إلى رومانسية حالمة » كما ترى أن الديوان فى مجمله « يكاد يمثل إرهاصات الرومانسية العربية قبل أن تنضج على أيدى الشابى وجماعة أبو للو ».

ورحبت الصحافة المغربية بديوان (بوح البوادى) فنشرت جريدة «شؤون جماعية » المغربية مقالاً بتاريخ ١٩٩٥/١١/١٥ بعنوان (الشاعر الذى استعاد به الشعر العربى وقاره) رأت فيه أن قصائد الديوان « تغلب عليها الرومانسية المستهلمة من مطالعات الشاعر وتأثره برقة التعبير ودقة الرؤية وشفافية الصورة ».

وقد استأثر ديوان (بوح البوادى) بدراسة مطوّلة فى الملحق الثقافى

لصحيفة (الحرية) كتبها حمودة الشريف كريم ونشرت متابعة على امتداد عددين أسبوعيين : وقد نُشر المقال الأول بتاريخ ١٩/١٠/١٩٩٥ بعنوان (بوح البوادى ـ ديوان شعرى جديد) وتوقف الشاعر فى بداية مقاله حول مايحمله عنوان الديوان من إيحاءات ودلالات لغوية والتفت إلى بعض الخصائص الأسلوبية وحاول النفاذ إلى عالم الشاعر فيما يسميه « كونه الشعرى » . فأشار إلى أن الشاعر يعيش الوجود ويتفاعل مع كل موجوداته ولكنه يواجه صراعاً بين الداخل والخارج . أو بين « الأنا » و « الآخر » ، ويصدمه العالم الخارجى فيعيش حالة رفض للحاضر لأن المبادئ الزائفة هى التى تحكمه فينسحب إلى الماضى ويتوق إلى ذكرياته .

ويرى الكاتب أن ثمة بعداً ميتافيزيقياً أو وجودياً يوجه تجربة الشاعر ويرجع ظاهرة الحزن التى تسود ديوانه إلى هذه النزعة حيث تؤرقه حقيقة أن الحياة رحلة قصيرة وأن العمر لحظات تنقضى سراعاً.

وقد واصل الكاتب دراسته للديوان فنشر مقالاً آخر فى الصحيفة ذاتها بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٩٥ بعنوان : (بنية القصيدة فى بوح الوادى) حيث تخيَّر قصيدة « شيبت ليلى » وخصَّها بتحليل أسلوبىّ وافٍ ، فعرض أولاً للإيقاع الخارجى باعتباره يولد مع العبارة الشعرية ويتماشى مع مشاعر الشاعر ويرتبط بعالمه الشعرى ، ورأى الكاتب أن بداية القصيدة بجملة فعلية تامة دلالة إعلامية تشير إلى موقف الشاعر من الزمن وتدل على وجود صراع بين الذات والآخر أو بين الكينونة والعدم أو بين الماضى والحاضر مما يجعل التجربة تتحرك فى إطار هذه الثنائية وهى حركة دائرية تنتهى من

حيث تبدأ، فالقصيدة تدور فى دائرة مغلقة هى دائرة الذات حيث ينطلق الشاعر من الحاضر ليدخل عالم الماضى (عالم الذكريات) ثم يرجع إلى الحاضر وينظر إلى المستقبل بنفس متلهفة عساه يجد الخلاص ولكن المستقبل يمتنع عنه فيكون التوتر والأسى ومع ذلك الحنين إلى الماضى فإن الذات الشاعرة لاتتخلى عن حلمها بصباح جديد.

الديوان فى عيون الشعراء :

رحّب الشعراء ــ من أصدقاء الشاعر ومحبيه ــ بديوان (بوح البوادى) وقرّظوه فى قصائد عدّة عبروا فيها عن إعجابهم بقصائد الديوان وتقديرهم لصاحبه ، ومن هؤلاء الشاعر الكويتى سليمان الجار الله الذى كتب قصيدتين أشاد فيهما بشاعرية صديقه الشاعر عبد العزيز سعود البابطين ووصف ملامح عالمه الشعرى وصفاً دقيقاً ، وأبرز محاور تجربته الشعرية ، فقال فى قصيدته الأولى المؤرخة فى ١٩٩٥/٩/٢٧ .

قرأت لشعركم بوح البوادى ... وهمت من النسيب بكل وادى

تعلمنا به وبه درسنا ... عبارات المحبة والوداد

وأعجبنى خيالٌ فيه يذكى ... لكل متيمّ نار البعاد

ففيه الوصف كم أبدعت فيه ... ولوعات التدلل والعناد

ونار الهجر كيف بكم تلظّى ... وكيف تكون دوماً باتقاد

حذوت كحذو خالك قبل حتى ... أعدت لما يقول به تنادى

وصفت البعد فيه غريبَ وصفٍ ... كأنك بعض أبناء البوادى

فعش عبد العزيز لنا وغرّد ... كطيرٍ فى روابى البيد شادى

أما القصيدة الثانية فهى أطول وتأخذ شكل « المربع » حيث تتحد القوافى كل أربعة أبيات ، وقد شبه غناء الشاعر بالكروان ، كما شبّه بوحه ببوح قيس بن الملوح ، ووصف شعره بالصدق والرقة وعمق العاطفة ، وطرافة الصورة وغرابتها ، وأرجع ذلك إلى حبّ الشاعر للصحراء وانجذابه إلى عالمها ، ولم يفت الشاعر أن يشير فى قصيدته الثانية إلى ملامح تجربة الشاعر وأبعادها العاطفية أو الوجدانية حيث يقول :

كلمات الشوق والحب وحرّ البعد من طول الحنينْ

زفرات الحزن والآه ونار السهد بل ليل الأنين

ولظى البعد وحر الهجر فى حيرة ليل العاشقين

كلها قد جمعت فى سفرك الغالى الثمين

....

ومن الشعراء الذين عبروا عن ترحيبهم بديوان (بوح البوادى) الشاعر الدكتور أحمد تيمور الذى كتب قصيدة طويلة تكاد أبياتها تقترب من الخمسين أهداها إلى « من اضطر البوادى أخيراً آلى البوح » ، وبناها على ثنائية (الصمت ـ البوح) التى تتضح منذ مطلع القصيدة وتتجذّر فى نسيجها المتلاحم :

صمتٌ .. فباحت إليك البوادى بأسرارها .. يالبوح البوادى

وياللصموت الذى كنته ،، شاء صمتك أن يحتوى كل شادى

صمتٌ ... فأنطقت صمت الصحارى   وحرّكتِ أشجانهن الصوادى

وقالت لك الفلوات حنانيــك .... إنّ علـــى وجهك الوجدَ بادى

أيا عاشق البيد والغــــيد ....ما البيد والغــيد والعشق إلا بلادى

وتتقاطر اللغة والصورة الشعرية فى كثافة لتصف شاعرية الشاعر عبد العزيز سعود البابطين فهو « قافلة من أناشيد » وقد استمد عبقريته الشعرية من « وادى عبقر» وقد آثرته الرمال بأسرارها وأنبائها ، ومن ثمّ فقد تميز شعره بالأصالة والعراقة .

. . . .

ويشارك الشاعر التونسى محمد بن صابر فى الاحتفاء بالديوان بقصيدة بعنوان (نفحات من بوح البوادى) يقول فيها :

أيهـا الشـاعـر الأرقّ شـعـوراً   بأحـاسـيس أهل شـعـرٍ عـمـودى

إنّ أمواج بحر « بوح البوادى »   خـيــر أنشــودة لســرّ الوجــود

باح بالســرّ صــدرها لمشــوقٍ   فــاصطلى وارتجى فناء شــهــيــد

تلك أنشـودة بهـا الدهر يشـدو   فـتـجـيب الدنيـا صـدى الترديد

. . . .

ويكتب الدكتور فايز الداية قصيدة « لامية » يعبر فيها عن تقديره لشاعرية الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين وجهوده فى خدمة الثقافة العربية المعاصرة.

رسائل وآراء ولمحات نقدية :

ينفرد القسم الرابع ـ من الكتاب ـ بمجموعة من الرسائل التى تلقاها الشاعر من مسئولين كبار وأدباء وأصدقاء يبدى فيها أصحابها إعجابهم بديوان « بوح البوادى » ومنها رسالة السيد / محمد القبّاج وزير المالية والاستثمارات الخارجية بالمملكة المغربية، وأحد مؤسسى جمعية فاس سايس الثقافية بمدينة فاس / بالمغرب التى يشير فيها إلى إعجابه البالغ بالديوان ومضمونه الذى يشى بحب الشاعر للشعر وشغفه بالبوادى.

ولم تخل هذه الرسائل من آراء قيمة ولمحات نقدية جديرة بالتسجيل على النحو الذى نجده فى رسالة الأديب عبد الله بن حمد الحقيل الذى يسجل فى رسالته مثل هذه اللمحات أو الخطرات النقدية التى تكشف رؤيته الانطباعية الإجمالية لتجربة الشاعر إذ يقول : « والديوان ـ بحق ـ لوحة جميلة رائعة بريشة فنية مبدعة ومفعم بالأحاسيس والمشاعر الإنسانية والتباريح الجميلة وتصوير جمال الربيع وغناء الكون وأطلال الحب ورياح الشوق والوفاء الخالد إلى غير ذلك من الأنغام الحلوة والقيم الأخلاقية والمثل الكريمة والمعانى الإنسانية النبيلة . والشاعر كما يقال مرآة عصره وعنوان مجتمعه يعكس آماله ويجسد طموحاته . ولقد اشتمل الديوان على نماذج جيدة تحفل بالصور الشعرية البديعة وسمو الخيال وبراعة التصوير وقد حلّق بنا فى أجواء متعددة ذات صدى يتردد على مدى الزمان ».

أما الناقد التونسى محمد الهادى الطريسى فيعبر فى رسالته للشاعر عن

إعجابه بمضمون الديوان وما وجده فيه من صدق وتمجيد لقيم الحب النبيلة فيقول : « قرأت هذه الأغاني فطربت لما فيها من تمجيد للحب والحياة ، والشعر والفلاة ، في صورة أناشيد في اللقاء والحنين إلى العهود العذبة ، وفيها وجدت صدقاً في اللهجة ، وثباتاً في الموقف ، ونقاء في العبارة ».

وتعكس رسالة الناقد إيمانه بالقيمة الفنية للديوان فيراه « تدعيما للجهد الذى يبذله الأساتذة والطلاب في تحليل الشعر ودراسة خصائصه والبحث في قضاياه والتحقيق في رسالته .

ويشير الأديب على عبد الفتاح في رسالته إلى أثر الديوان في نفسه فيقول : « احتوتنى الصحراء الشاسعة ، وهمسات البوادى ، وتلك الصور الثرية التى ردتنى إلى القصائد الأصيلة .. وفرسان الشعر .. والحب العذرى الرقيق الشفاف . فأنت فارس القصيدة الرقيقة ، وأنت فارس البراءة في عصرٍ جفّت فيه ينابيع الحب وجداول البراءة والنقاء.».



القسم الأول

الدراســات النقــدية



بـــوح البـــوادى

للشاعر عبد العزيز سعود البابطين

حوار بقلم

الدكتور مصطفى نا صف

بوح البوادىَ أهديه لمن عشقت صبا كواه النوى فى أمسنا وغد
إذ علمتنى صنوف الحب طاهرة كغيمة الصبح ، تسمو متعة الجسد
أحببتها عُمُرا مازال يعصرنى وقد تبدّد بين البين والجلد
أهفو إليها ، وتهفو النفس .. عذبها حبٌ مقيمٌ بقلب القلب والكبد
لولاه والله لم تخفق مشاعرنا ببيت شعرٍ ، ولا غنيت للأبد
رفيقة الدرب !! لوتدرى عواذ لنا أنا بنينا المنى من غصة النكد
إذن لضاقت بهم دنيا همو وغدوا كما الذى أتُلفت عيناه بالرمد
عصارة القلب أهديها لمن صبرت طول السنين تقضىّ العمر بالكمد
لازلت أذكر يوما يا مودعتى أشرتِ لى فيه أن نبقى يدا بيد
لآخر الدهر .. حتى راح يغمرنا طوفان هجر قضى قسرا على عددى
رفيقة الدرب لو أسطيع ملهمتى أقمت للشعر صرحا منك يارغدى
ليذكر العشق والعشاق كلهمو صبا كواه النوى فى أمسنا وغد.

تقترن البادية بالبطولة ، والعاطفة الجياشة ، والمغامرة الساذجة ، والروح الحرة . هذا الانطلاق فى أفق خال لاتحده حدود ، وجفوة الذوب فى المجتمع ، وما يشبه الاستعلاء على الذات ، والتحدى ، والاستبطان العميق ، ثم التطهر من أدران الحاضرة وصناعتها.

هذه مشغلة الديوان : روح البادية من حيث علاقتها بالصبابة . البادية شباب . البادية تعين على نشاط الروح الغامضة ومعاناتها ، تتمثل البادية فى صورة امرأة عظيمة لاتتاح إلا فى خيال شاعر عظيم ، تتطلع المرأة فى سر

وخفرِهما روح البادية.

البوح حديث السر ، وليس إفشاء السر . البوح معاناة التعرف ، واختيار الصديق ، البوح أسلوب لإخراج ماتتمتع به البادية من جهر عظيم مغلف بالسر العظيم . بوح البوادى . لا بوح إلا فى البوادى . هل كانت البوادى تشريف البوح وإجلاله وتنغيمه ، هل كان البوح تقاسم السر.

هل البوح بلاغ البادية ، وصورة مثلى لإنسان البادية . نداء ورغبة فى المشاركة وتطلع وتوهم.

البوح عود إلى السر ، وتلقفه. البوح رغبة فى الفهم والتواصل . الدرس الأول فى التواصل يستقى من الصحراء والبادية . هذا هو عمق الديوان مرة أخرى. لنتعلم قليلا من سلطان العشق، وجسارة العاشق ومغامرته

فى العشق يناجى الشاعر البادية ، وقد يخيل إليه أن البادية ملك له . يشكو الشاعر مافعلته البادية ، ويعظم أمرها ، ويسأل عن حقيقتها ، ويتلفت إلى نفسه فيراها كفاء هذا العالم الأعلى . غاية البوح إذن تصفية وتنقية ، وثقة فى المخاطب . البادية لاتبوح إلا لإنسان منصت مغامر يرى العشق شجاعة وكرما . البوح إنصات للطاقة الكامنة والسخاء والاعتزاز.

كيف نظر الشاعر إلى العشق : المعشوقة من حقها أن تتعمق روح البادية . الشاعر وسيط بين البادية والمعشوقة . المعشوقة قد تضل اذا لم تستعن بالشاعر . غاية العشق شعر ، والشعر أسلوب كشفته البادية ليبقى

جوهرها نقيا.

عمق الديوان أن الشعر دعاء للبادية بطول السلامة من عوارض المدن والحضارة . ولا سلامة إلا بالعشق : الصحراء عاشقة والحيوان عاشق ، والشاعر عاشق.

العشق « كى » مثل كى الحر والبرد . البادية جوهرها النوى . والصبابة هى روح النوى . لا شىء قريب إلا إذا ذاق روح النوى وتحديه.

ما النوى . أهو الأمس والغد . يجب علينا أن نساير النوى . وأن نخضع له قبل أن نشكوه . العشق كى بالنار . هذا أمر لايعرف إلا فى البادية. النار تخمدها الحضارة . النار كامنة فى عمق البادية تنضج أهلها ، وتحرق من كان وثيق الصلة بالحاضرة . النار إذن دفاع البادية عن نفسها . التقرب « بالكى » أعظم شعائر البادية والعشق . يساير الشاعر المضنى ، والتتابع ، والدورة المسماة بالأمس والغد من أجل أن يحسن الإصغاء والعشق فالمثل الأعلى للإنسان أن يكون شاعرا عاشقا يكتوى بالنار.

للتطهُّر آيتان هما النار وغيمة الصبح . أرأيت إلى الصداقة الغريبة بينهما . إذا كانت النار عالية قاسية فالغيمة فى مرآة العين عذبة صغيرة . النار علمت الشاعر أن متعة الجسد من صنع الحاضرة . متعة الجسد تكتوى بالنار ثم تكون أشبه بغيمة فى الصبح . العجيب أن يختفى ضوء الصبح بعض الاختفاء . إذا كانت الغيمة تظلنا من وهج النار ، فإنها أيضا تقينا من ضوء الصبح حتى لايضيع انتماؤها الأول.

يهذب الشعر ضوء الصبح ، ويبقى على جانب السر ، ويبتعد عن الضجة التى تنتاب الصبح بعد قليل . الغيمة تساعد الأصوات اللينة ، وتستبعد روح الخصام واللعب الذى يرتبط بالضحى . الحب أستار ونداء من مكان بعيد ، وسكينة ، لكن السكينة غريبة . احتاجت إلى أن تُكوى بالنار وأن تتسامى على الصبح المعهود.

لو ترك الصبح على سجيته لأوشك أن يضيع حقيقة الحب ، وما ينبغى أن نضيع حقيقة الحب لأن غيمة ترعاه ، ولأنه قد اكتسب من الكى بالنار قوة المراس ، وأطاع أحكام النوى ، وأنصت إلى تتابع الأيام والليالى ، وعرف أن الأمس والغد يصفوان لمن استطاع إلى العشق سبيلا.

البادية تعصر العاشق . والعاشق لايكون ابنا بارا للبادية إلا إذا سعى إلى الكى بالنار ثم اغتسل بغيمة الصبح . من خلال هذه الشعائر يستطيع العاشق أو الشاعر أن يصغى إلى صوت الزمن . والعشق فى شريعة الديوان تهذيب واستئناس لروح الزمان.

العشق ابن البادية القاسية ليتعلم أهلها مزيدا من البين والجلد . البين والجلد آثر من المتعة واللهو .. الغيمة قد يأخذها العطف وتسكب ماءها . لكن الماء يحتاج إلى أن يعصر بمعنى ما . لاخير فى ماء مسكوب ممدود يسير . لننظر فى دفاع البادية عن نفسها ، وحرصها على ألا تنقلب إلى قربة يأتيها الرزق والرغد اليسير.

البادية لاتحقد على أحد ، ولا تتشبه بأحد ، ولا تفنى فى أحد . من

شاء أن يوقر سننها فليفعل . سننها أن تكوى بالنار ، وأن ترى النار على غير ما يراها الغرباء .

النار قد تستحيل إذا هدأت وخشعت إلى ما يشبه غيمة . النار لاتذوب فى ضوء ساطع ، النار شىء آخر قد يتحول إلى ضوء حقا ، ولكن فكرة الضوء تلهى الناس عن حقائق الحب . هل يلهى الناس ماينزل من ماء الغيمة ؟.

يتشبث الشاعر بغيمة تعدل موازين الصبح ، ولا تغيم فيها الرؤيا لأن غيم الرؤية يعنى متعة الجسد ، الغيمة عطف بعيد قابع فى عمق النار . النار توقد لتحيى روح « البين والجلد » ، وتوقد لتقليب « القلب والكبد »، النار توقد ليكثر حديث النفس إلى النفس . فالنار لاتعكف على نفسها.

النار تتمثل فى هذه المثنيات ، وعلى رأسها الأمس والغد، أنظر أيضا إلى قول الشاعر « أهفو إليها ، وتهفو النفس عذّبها» وقوله «بيبت شعر ، ولاغنيت للأبد » . المثانى تؤول إلى الأبد ، والشعر يتصل بالغناء ويتميز منه ، كأن الغناء الصرف حضرى يجب أن تخشى مغبته . لدينا مثان كثيرة . وقد حدثتك عن النار والغيمة . المثانى هى تقلب الليل والنهار ، المثانى هى العشق والعواذل . مشكلة العواذل شبه بدوية نشأت من الحوار الاجتماعى ، وإقامة فن العقبات فى وجه الشعر و وجه الحب معا . بفضل العواذل تبدو تجربة الحب غريبة محتاجة إلى تحية عكسية من بعض الوجوه . العواذل فى هذه الأبيات أصيبت بما يشبه الرمد . وهنا نجد اختلاط كلمة الرمد بكلمة

الرماد . هذا الاختلاط معبر حقا لأنه يسلم إلى تصور طبيعة العواذل الدنيوية التى لم تمسها روح النار السابقة.

لأمر واضح إذن تحرص الأبيات على مزية الصبر ، ويرى الصبر الماثل فى عصارة القلب . الرى لايمكن أن يتصور منفردا بنفسه ، فلابد له من عنصر آخر يناوئه . ويمكن أن تؤدى كلمة الصبر إلى كلمة الصبار الذى يحتاج إلى قليل من الماء . والصبار نبات بدوى . كذلك الصبر فضيلة بدوية من الطراز الأول.

وتستمر هذه المناوأة المشهورة فى قلب البداوة ماثلة فى عبارة «طوفان هجر» . ليس فى هذا الطوفان رى . الطوفان عبارة لا تخلو من مفارقة . والبادية أو الصحراء من حقها فيما يبدو أن تسخر من الماء ، وتتجلى السخرية فى اختيار كلمة الطوفان . والنار الأولى التى تحدثنا عنها تبدو هاهنا طوفانا ماحقا . للنار قوة التشكل ، وقوة العبث بفكرة الرى المادى والمعنوى . وللشاعر عُدده التى تتمثل فى الاستعداد للحب والمقاومة ، والنظر إلى رفيقة الدرب . رفيقة الرحلة المشهورة فى الشعر العربى . وليس فى الرحلة ثبات . إنما الثبات الحقيقى للشعر . ولهذا اختيرت كلمة الصرح . والصرح هو الهودج فى ذاكرة الشعر القديم.

إذا كان الشاعر يشكو من خلال هذا كله القسر فلا تنس أن القسر ابن البادية الذى لا يستغنى عنه . ولا يستطيع المرء على كل حال أن يحيى البادية إلا بالحب والشعر . ولا يستطيع المرء أيضا فى هذا المقام أن ينسى صورة التعاقد أو الحلف الطبيعى الذى تقوم عليه حياة البادية .

« أشـــــــرت لى فيـــه أن نبقى يدا بيد »

هذا هو الحلف الذى يتـجـدد فى صـورة الحب. . ليس هذا حلفـا خالصا للبداوة ، وإنما هو حلف ثان لحياة تتغير قليلا أو كثيرا . فقد استغنى الشـاعـر عن الصـاحب القـديم ، واستـغنى عن الحلف القـديم ، واستـغنى الشاعر عن كل أحد إلا العشق والعشاق ، فهم أكثر الناس صفوا واستعدادا للفناء والتسامى . ليقل الشعر إذن شيئا فى مسألة المنافسة بين هذه الروح والمرأة المعشوقة التى تنادى بأكثر من وجه بطريقة توحى أن تطور الحياة يعنى أن نطور الإحساس القديم دون أن نقتله . هل أصبح الإحساس بالبداوة صعبا فى بعض الأحيان بفـضل تطور اللغة ، وتزاحم الكلمـات العاطفـية ، وما يشبه منافسة بعضها بعضا ؟. هذا الولاء الجديد للعاطفة الخاصة التى تحتجز الشاعر ثم يحاول من خلالها أو على الرغم منها أن يبعث هذا البعد السلفى الذى نتحدث عنه . لدى الشاعر نوعان اثنان من الاهتمام : متابعة الحزن ، فالحزن أعظم من أن تناله العبارات . لأمر ما حرصت الكلمات على أن تبدو صغيرة بوجه ما ، تشبه الطفولة المشغولة بنفسها آناء الباحثة عن تأويل بدوى آناً آخر . وهكذا نوشك أن نتعلم شيئا من التضارب الذى حدث فى نفوسنا بين اتجاهين . لقد بدأ التضارب أحيانا واضحا أثيرا أيضا . هذا التضارب حقيقة لايمكن المماراة فيها . نحن فى قرارة أنفسنا ننتمى إلى البادية ، ونحن نشعر أن هذا الانتمـاء يتعرض لشىء من الصعوبة . فشعورنا الآن شخصى ، واتجاهنا داخلى ، والهجر القديم المتواصل يعنى أن اللغة القديمة أصبحت غريبة علينا من بعض الوجوه.حال تطور اللغة دون هذا البعد أو

وقف يناوئه. لنعترف إذن كما تريد القصيدة بأن الطفولة الجديدة أو المشاعر التى تغطينا لا تكتفى بذاتها . إنها تحتاج إلى دعم . ولكن الدعم ليس خالصا . نحن نحب البادية ، ونحن نريد أن تكون أولياء لذاواتنا وعلاقاتنا الشخصية ، نريد أن ننميها . فى قلب الشاعر اتجاهان قد يتعاونان وقد يتنافسان . لكن هذا التوزع هو مايمكن أن نسميه شرف الإحساس وصعوبته أيضا.

إن أجمل ما فى نفوسنا موروث من البداوة فالبداوة طهر ونقاء وأمومة عليا . ولكن هذا كله بات مهددا . إن الشعراء ليس من واجبهم أن يفضوا التناقضات . واجبهم أن يدلونا عليها وألا يتنكروا لها ، لقد أصبحت البداوة عزيزة المنال ، تخايلنا ، وتعاتبنا ، وتلفتنا ، وتقاومنا ، ونقاومها . نتقدم نحوها ونتأخر عنها . لا خير فى تفكير وحيد الجانب يتجاهل هذا النحو الإشكالى الذى يطل علينا . إن ضغوط الكبت التى تعبر عنها الكلمات : النكد ـ الكمد ـ الرمد نشأت من الولاء للعاطفة الخاصة ، والعاطفة الخاصة العابدة لنفسها مسألة محيرة : إما أن ننحاز إليها وإما أن نجعلها جزءا من الإحساس القديم.

لكن الحقيقة التى نتغاضى عنها أن القصيدة تقول شيئا مزدوجا لا أحب أن أمارى فيه كثيرا . لقد أصبحنا على غير ما كنا ، ثم انتبهنا إلى الفقد الذى أصابنا ثم استطاع الشاعر أن يومىء إلى أننا أصبحنا صغارا أمام هذا الإحساس القديم . لقد وجد الإحساس القديم ما يناوئه من بعيد ، ووجد الشاعر نفسه فى موقف قديم جديد ، موقف بدوى حضرى ، يريد أن يجمع بين الأمس والغد ، كيف يتركب من هذا كله وحدة منسجمة ؟.

الوحدة صعبة ، والوحدة مطلوبة . أخشى ما يخشاه الشاعر أن تستحيل علاقتنا بالبادية إلى مايشبه الغربة . فلا نحن أبقينا الولاء الساذج للبادية ، ولا نحن خلصنا لأنفسنا الطارئة وخواصنا الداخلية ، توزعتنا الهموم ، والغريب أن يتجاهل الباحثون ما يعترف به الشاعر ، وكأن الشعر رغم كل شيء أكثر نفاذا من كثير من الدعاوى السطحية . من نحن ؟ ماذا أصابنا ؟ لماذا لا يولى الباحثون هذا الانحناء القديم ، وهذا الانحناء نحو الطارئ الحديث عنايتهم ؟ هل نحن مقصرون إلى حد ما فى استخلاص حقيقة الشعر ؟ هل ينبهنا الشعر إلى أن البادية رغم كل ما يقال ماتزال قابعة فى عقولنا لجمالها وجلالها وحريتها وبراءتها من التناقض والتدافع ؟ هل نستوحش من زحام العاطفة الشخصية إلى حد ما لأن البداوة لاتنسى ؟ البداوة ماثلة فى عمق شعر كثير حديث ومعاصر ، لكن البداوة وجدت ما يزاحمها أو يخاصمها أو يحاول نسيانها . هذا الخصام كله يجب أن يلفتنا . أن نقف عنده لاننكره لكنه خصام ليس حادا فى القصيدة . أحرى به أن يكون رقيقا لايخلو من حيلة ومصالحة . أحرى به ألا يكون خصاما مزعجا «مغاضبا أو ثائرا» . خصام تحت السطح يحسن التقاطه والإشارة إليه.

- ٢ -

عرفتك قبل يعرفنى الغرام	أنا الصب المعنى المستهام
وطيفك حاضر أبدا بذهنى	وفى جنبىّ طاب له المقام
وحبك فى حنايا القلب باق	مدى الأزمان يرضعه الوئام
لئن جاد الوفاء وعشت فيه	على مر السنسن ، فذا الغرام

إذا ذكر الغرام ذكرت فيه فجسمي هذه - ويحي - السقام

وأذكر أنني قد عشت دهرا بقلبك حين حاربك المنام

وفي عينيك نمت قرير عين عزيزا - طول عمرك - لاأضام

فكنت إليك أقرب من قريب ولا بالود يعدلني الأنام

ولا أدري حبيبي إن سلوتم أم الذكرى يغذيها الضرام

أم الأطياف أزعجها صراع وطيفي في حناياك يسام

ففي قلبي وفي عيني وروحي منازلكم بأعلاها تقام

وحبي طهره باق لنبقى كبثنة أو جميل لا نلام

فهل بقي الوداد وأنت مثلي أنا الصبُّ المعنّى المستهام

ماينبغي قط أن ننكر أثر البادية في نفوسنا . البادية العظيمة هي التي خلقت فكرة :

« الصب المعنى المستهام »

وخلقت فكرة الطيف :

« وطيفك حاضر أبدا بذهني »

بل هي التي أذكت فكرة جنبي الشاعر ، والحنايا ، والسنين . إن الشاعر اكتسب فكرة الغرام من البادية . لماذا نماري في ذلك أو نستخزي منه ؟وهل كنا نعرف « للذكرى » طعما بمعزل عن هذا التراث ؟ هل كنا نعرف كرامة كلمة « المنازل » بمعزل عما اكتسبته على مر السنين ؟ هل كنا نفهم وقار كلمة السنين نفسها لولا ماصنعته البادية؟

روح البادية كما قلنا عميقة . إن الشاعر يتذكر ، ويعبأ بالتذكر والماضى ، ويحيى فكرة المنازل : « منازلكم بعينى » هذه المنازل ماتزال تجد مقاومة كالتى حكينا عنها فى الفقرات السابقة . إن الشعر يبدأ ويعيد محييا من حيث يدرى ولا يدرى فكرة البداوة ، ولكن الشعر مايلبث أن ينساق أو يتسلل إلى قوله :

« ففى قلبى وفى عينى وروحى »

هذا التوجه العميق نحو الذات له حقوق أو مطالب . له جاذبية ما فى ذلك شك . هذا الظرف ظرف حضرى . لابد إذن من أن نخلط البادية بالحاضرة ، أن نخلط وقار البادية أيضا بقوله :

« وفى عينيك نمت قرير عين »

هذه لغة حديثة تثب وثبا خفيفا . هذا الاختلاط مقوم أساسى لنفوسنا . إننا قد تعلمنا مقاومة الظلام من خلال مشاعر الحب :

وفى عينيــــك نمت قرير عين
عزيزا طول عمـــرك لا أضام

ولكن الكلمات حضرية من وجه ، وبدوية من وجه ثان . لقد استحالت مقاومة الظلام ظرفا . أليس كذلك؟

ألح الشاعر على فكرة الزمان :

وطيـــفك حـــاضـــر أبدا بذهنى

وقوله :

« مـدى الأزمـان يرضـعـه الوئام »

وقوله :

على مـــر السنين فـــذا الغـــرام

وقوله :

وأذكـــر أننى قـــد عـــشت دهرا

وقوله :

عـــزيزا طول عـــمـــرك لا أضـــام

وقوله :

كـــبـــشنة أو جـــمـــيـل لا نلام

لكن الشعر يهذب الزمان إن صح التعبير . أليست تحمل الكلمة مشاعر الرهب المتوارثة ؟ هذا الرهب الذى خلعت عليه البادية مايشبه القداسة قاومه الشعر مقاومة ، وخرجت كلمة السنين من العتو والكبرياء إلى دائرة الملاحة والظرف . ولكن الكلمة ماتزال تشى بهذا الحرص على مصانعة البادية . فما تزال تجربة الحب هى تجربة السنين . إذا أردنا نفهم هذا الشعر فعلينا أن نتذكر الكلمات التى تستبعد والكلمات التى تختار . لعلنا لانبالغ إذا رأينا كلمة الحب نفسها محذوفة ـ هنا ـ وأن الكلمات المستعملة هى :

١ ـ الغرام ٢ ـ الصب . ٣ ـ المعنى .

٤ ـ المستهام ٥ ـ قرير العين . ٦ ـ طهره باق.

كل هذه الكلمات تقرب المعاناة والشدة بأكثر جدا مما تقرب المتعة ؛ لذلك لأن المتعة تكاد تشى بكلمة الجسد ، والشاعر حريص على فكرة المناجزة والمغالبة ، حريص من وجه آخر على إبراز شيء من الضعف . وفكرة الضعف الذى يلازم الغرام لايمكن أن تفهم فهما حسنا إذا نحن استبعدنا الكلمة الأساسية المحذوفة من هذه القصيدة ، وأعنى بها كلمة البادية . ففى حبنا الذى نتعالى عليه الآن عبثا نجد شيئا من الجفوة ، وشيئا من السنين ، وشيئا من « الود » ، أريد أن تشعر بخطر هذه الكلمة التى أوثرت إيثارا على كلمة الحب . كلمة الود تحمل فى ثناياها الشرف والعلو والالتزام ، وإخراج العاطفة من دائرة المتعة الخاصة الفانية . إن القارئ حريّ بأن يتأمل الكلمات التى تذكر فى ضوء الكلمات التى تحذف ، إن الكلمات التى تختار تناوش الكلمات التى توضع فى الهامش أو تختفى . الحب تجربة مألوفة جدا فى الحاضرة لكن الغرام تجربة قادرة قاهرة فى البادية . ونحن حراص على موروثنا ، حراص على أنفسنا ، وحراص أيضا على أن نستجيب استجابات ثانية . هذه المزاوجة مقوم أساسى لأنفسنا ، ولك أن تلاحظ مافى تتبع الإحساس القديم من تغيير ، إنه تغيير واع يمكن أن يكون قويا . كيف السبيل إليه إذا نحن تخلينا عن روح الدعابة والظرف ؟ فلنداعب أنفسنا القديمة ، ولنجعل للظرف الحضرى مرتكزا سلفيا ، ولنجعل لأنفسنا قواعد لاتخلو من هيبة ووقار ثم لا تخلو من مرح وطفولة . وبعبارة أخرى لنحاول التخلص من هيبة الحب قليلا : هذه المحاولة يتناساها بعض الناس إذا قرؤا.

لنقرأ هذا البيت أكثر من مرة :

فـهل بقى الوداد وأنت مـثلى

أنا الصب المعنّى المسـتـهـام

لنلاحظ عبارة :

وأنت مثلـــــى

ولنلاحظ قوله آخر الأمر وأول الأمر أيضا :

أنا الصب المعنى المسـتـهـام

لقـد تجـاور فى هذا الشـعـر الإيماء الى الذات والتبـاهى بهـا ، وهذه عاطفة يمكن أن نزعم أنها حديثة دون مبـالغة ، والصب المعنى من جهة ثانية . هذه هى المجاورة الشائقة التى يواجهها الشعر : لا يستطيع الشعر أن يتناسى وقار المعاناة والهيام ، فالهيام أصلى ، وليس فى التجربة الحضرية هيام حقيقى، التجربة الحضرية ليست خيرا كلها أو ليست برا بالنفس. « البر » بأنفسنا له مطلب ثان . مطلب المعاناه والرضا بالقليل ، والتذكر ، وفن إقامة المسافة، وإدخال التجربة فى إطار وراء الإنسان يرمز إليه بكلمة السنين . سوف يظل الدرس الذى يلقيه علينا هذا الشعر ذا شأن : هل من الخير حقا أن نكون تجربة حديثة على أنقاض تجربة قديمة ؟ أليس من الخير أن نعدل تركيب التجربة دون أن نعتمد على قسوة الحذف والمطاردة ؟ هل يخشى الشاعر مغبة حذف جزء من أنفسنا . أما ينبغى أن نربط بين الظرف والتوقر؟ أما ينبغى أن نتذكر جانبا من أنفسنا دون أن يستعبدنا التذكر أو نفنى فيه؟

هل يحاول الشاعر فى خاتمة المطاف أن يجرب الإحساس الدفين تجربة لاتخلو من المرح ولاتخلو من الاندهاش أيضا ؟ أنظر إلى توالى الكلمات السقام ـ لا أضام ـ الضرام ـ يسام ـ أهذا قبول محض للكلمات أم مناوشة طفولة أيضا ؟ لاخير فى تذكر يخلو من الفاعلية ، إذا بقى التذكر بقى معه تحول الشعر والتكوين النفسى . هذا التحول يعنى ألا يعبد الضرام ، والسقام والضيم ، والامتناع على الضيم . لنجرب فى لحظة خيالية معابثة أنفسنا : ولنسأل أنفسنا عما لحقنا من جراء نسيان أشياء عزيزة كالتى ذكرناها الآن : إن التذكر فن متغير، ومقاومة الذاكرة فن قاس لنتخير لأنفسنا . التذكر فريضة ورياضة ، رياضة نستبرئ فيها من جثوم بعض المشاعر ، ولكننا فى الوقت نفسه نحس ما فيها من أصالة . يجب أن نمارس الشعور بمافقدنا ممارسة حرة لايغلب عليها طابع الأسى والتشاؤم.

ياقارئى العزيز إن هذا الشعر يمثل تحديا صامتا لشعر آخر كثير . ليس كل تجديد مرغوبا فيه ، التجديد أن نقبل على القديم فهما . هذا الشعر يذكرنا بما فقدناه من أمر التواصل . العاطفة البسيطة هى الباب المشروع المفتوح لهذا التواصل . لا يرو عنكم المروعون.

هل أستطيع فى هذا السياق أن أسرد شواهد أخرى غير قليلة :

يانخلة فى نيس حان فراقنا

هل نلتقى يانخــلتى ونعود

مامعنى هذا . كيف حرص الشاعر على « النخلة » ؟كيف حرص

على ما يسميه الأثر أمهاتنا أو عماتنا ؟كيف حرص على النخلة التى تتسلق فى يسر ، النخلة التى تتعالى ، وتنظر شامخة مؤزرة موشحة محجبة بعض الشيء . وهو فى نيس . أليس هذا أمرا يوقف المتأمل؟

وفى قلب الشعر لافى قلب نيس يصح أن يقال :

ويضج فى نفسى الأسى ويسود

هذا شاعر عربى لاينسى فى شعره عروبته ،فالعروبة تحب ضجيج الأسى فى الغرام ، وتحب السيادة أيضا ، لكن انظر إلى هذا القول :

« لك يا نخيلة ماعساه جديد »

أهذا تصغير التمليح ؟ أرأيت كيف ينبغى أن يعاد تصور النخلة حتى تصبح نخيلة ؟ أرأيت كيف تعطى النخلة وقد كانت دائما تعطى؟!

تصغير النخلة من جهة ، ويستبقى الغرام سرا أو كالسر من جهة . هذا جمع لما يشبه المفارقات ، هذا إصرار على عنصر « الشك »

ويثور بى شك يواكبه اللظى

والقلب شاك غـــربة ووحيد

انظر إلى اجتمـاع النخلة أو النخيلة وهذا اللظى ، هذا اجتمـاع الترغيب والترهيب العميق فى النفس العربية ، فى هذا الشعر ننسى كثيرا أن نسأل سؤالا مهما :

هل الحب حقيقة أم وهم كبير؟

إن إصرار الشاعر على أن يلتبس الوهم والحقيقة معا يجب أن يدرس كعلامة من علامات تفكيرنا . إننا نقدس الحب، ولكننا فى الوقت نفسه نكاد نرتاب فيه ، ونؤثر ما نسميه الفصل على الوصل . هذا رهب ورغب لايريد معظم الدارسين أن يتمعّنوا فيه بعد هذا الزمان الطويل.

إن ماصنعه تطور اللغة أو ماصنعته عقولنا لم يدرس بعد ، نحن كسالى دون أن نعترف بهذا الكسل ، اقرأ الكلمات متمهلاً . من منا يقف عند قوله :

« شاك غربة ووحيد »

لم الجمع بين الصفتين؟ هذا هو الريب الذى طغى على تعاملنا مع أنفسنا ومع الكلمات : لا أحد يريد أن يعطى لهذا الريب بعض حقوقه . لا أحد يريد أن يدرس اجتماع مستويات متعددة للغة فى حديثنا المعاصر.

انظر مثلا إلى قول الشاعر :

ويضج فى نفسى الأسى ويسود

وقوله :

هل نلتقى يانخلتى وأعود

وقوله :

والقلب شاك غربة ووحيد

أظن أن هذين مستويان من اللغة وليسا مستوى واحدا ، لكنهما

يجتمعان ليتعارفا ، وليدل كل منهما بنفسه . يتعارفان ويتناكران . هذا هو الريب فى لغتنا الحديثة مع الثقة كل الثقة فى لغتنا القديمة.

- ٣ -

اذكـرينى كلمـا حن الفـؤاد　　وبدت بالأفق ذكـراى تطوف
وإذا مـا أتعب القلب البعـاد　　وتوارى قـمـرى عند الخسـوف
اذكرينى

اذكـرينى عندمـا تبدو الغيـوم　　فى سـمـائى وبهـا الطائر غـرد
ليناجى خله فـوق النجـوم　　مـسـتـثـارا هائمـا للحب أنشـد
اذكرينى

اذكـرينى كلمـا هبت صـبـا　　وسـرت فى ركـبـهـا روحى تطيـر
لمغـان حـيث حـبى والصـبـا　　قـد قـضـينا وطرا منه يسـيـر
اذكرينى

اذكـرينى كلمـا الطيـر شـدا　　نائحـا يبكى حـبـيـبـاً فـقـده
وإذا مـا لامس الورد الندى　　فـجـر يوم ناعس يبـغى غـده
اذكرينى

اذكـرينى كلمـا الورد تفـتح　　برياض كل مـافـيـهـا جـمـيل
وإذا مـا عطره يسـرى وينفح　　بمكان ضـمـنا عند الأصـيل
اذكرينى

اذكـرينى كلمـا جـاء الربيع　　ناثرا عطر زهور بالفـضـاء
يجتلى الروح طهورا كالرضيع　　يتـغنى بتـرانيم السـمـاء
اذكرينى

اذكــريني كلمــا غنى طروب　　ينفث اللوعــة في صــوت حــزين
ورنين العود قد أشجى القلوب　　فــغــدت تبكي على وقع الرنين
اذكريني

اذكـــريني كلمـــا ثار القطا　　يملأ الأفق صـــيـــاحـــا ونحــيب
يذرع الكون وقــد حث الخطى　　تائهــا يـبحث عن مغنى الحـبيب
اذكريني

اذكـريني كلمـا الفـجـر تنفس　　ومـــحب لـم يذق طعـم الرقـــاد
وإذا مـا الليل أغفى حين عـسـعس　　وجــثت روحك تـســقـينى الوداد
اذكريني

اذكـريني كلمـا العـمـر تصـرم　　وسـنـونـى رحـلـت خـلـف الـسنين
وشـبـابى بعـد عـز قـد تهـدم　　وضـــيـــاعى بين شـــوق وحنين
اذكريني

اذكـريني كلمـا صـرت وحيدة　　يعـصـر البـعـد فـؤادا مـسـتـهـام
وإذا مـاشـفك الوجـد فـريدة　　فـتـعــالى نشـرب الدمع مـدام
واذكريني

اذكـريني يا حـيـاتي مـدنفـا　　في هواك في صـبـاح ومـســاء
كلمـا أشـرق صـبح أو غـفـا　　في ليـالى السـهـد مصـباح السمـاء
واذكريني

اذكـريني كلمـا نجـواى شـابت　　وقــضى القلب عليـــلا يرتجـيك
وغنائي نغـمـة في الكون ذابت　　وفــؤادى يا حـيـاتي يفـتـديك
اذكريني

اذكريني إذ مدى العمر انقضى وثوينا بين أسداف اللحود
اذكرى أن زمانا قد مضى فيه روحانا إلى الحب تعود
واذكريني

ما أروع النفس العربية حين تخشى النسيان وتجله فى آن . نحن مازلنا غارقين فى أسطورة العاطفة الشخصية الخالصة : لانبغى عنها حولا ، ولانكاد نعرف أن لها باطنا من قوامنا العام هو ما سميته خشيتنا جميعا من النسيان وإيثارنا له .

اذكرينى ـ اذكرينى ـ اذكرينى

هذا هو التهديد الذى ورث النفس العربية أجمل شعرها ، ولكنه جمال حزين . أليس من الجائز بل من الواجب أن ننعم النظر فى هذا التهديد المستمر . الغريب أننا نحن حنينا إلى هذا التهديد.

اذكرينى كلما حن فؤاد

نحن نريد أن نكون أطيافا لا حقائق :

وبدت بالأفق ذكراى تطوف

نريد أن نذوب فى الأفق البعيد ، الأفق أوسع وأهم منا.

نحن نهفو الى الأفق والقمر :

وتوارى قمرى عند الخسوف

فهل توارى قمرى وبقى قمر ثان لايخسف ، وكانت تجربة الحب عارضة باطلة مهما يعظم شأنها فى بعض اللحظات؟

الحب ليس حقيقة ناصعة . الحب يتوارى ، ويغيم ، ويتنقل مسرعا كالطير ، الحب لطيف جدا يشبه الصبا والركب الذى لايستقر . الحب ملامسة خفيفة ونعاس . نعاس أكبر من اليقظة . نحن نريد أن نتوارى . هذه مسألة لايمكن أن تتجاوز تجاوزاً مستخفا . نحن نتوارى فى وردة ، ونتوارى فى عطر ، ونتوارى فى غيم ، ونتوارى فى طروب يتغنى ، ونتوارى فى رنين العود ، ثم نتوارى فى القطا ، وتنفس الفجر ، وعسعسة الليل ، وتصرم السنين . ثم نتوارى آخر الأمر أو آخر الحياة :

« وثوينا بين أسداف اللحود »

هذا التوارى إذن مظاهر مختلفة . وربما تكون أسداف اللحود سخرية من العطر والطرب والرنين والقطا ، وربما تكون أيضا شيئا « طبيعيا » ، وإقامة مريحة لاتخلو من هناءة . اللحد هو العاقبة الطبيعية للغرام ، وهو تتويجه الأعلى . المهم أن جماليات التوارى خليقة أيضا بالملاحظة . الكون أهم منا وأبقى ، مظاهر متلاحقة . فجر يتنفس ، وليل يعسعس .. والحب فى هذا الإطار كله لايستطيع أن يحقق شيئا كثيرا . الحب محاولة جادة لفهم هذا التتابع الرائع أو استيضاحه .

والفهم صعب . لا أدل على ذلك من قول الشاعر :

اذكرينى

اذكرينى

أعينيني يانفس على التذكر الذى هو لب الفهم . هل نسينا شيئا كنا نذكره يوما ؟هل ضاع منا شيء كنا يوما نملكه ؟ هل ذل العربى الذى كان يوما عزيزا ؟

اذكريـــــــــنى

اذكريـــــــــنى

لايغرنك ظاهر الشعر ، الشعر أو الشاعر يريد أن يستنقذ نفسه من الضياع . الشاعر يتوهم فى أكبر الظن أن انقساما قد حدث فى داخل النفس العربية . انقسم بين روح تطير هائمة (فى البوادى !) وعقل ثان له أحكام ثانية . انقسم بين الانتماء إلى الكون : إلى النجوم ، والطير ، والأفق، والصبا ، والانتماء إلى الذات العارمة المنهومة المفتونة بنفسها لاتبطل فتنتها . كيف نستحلّ لأنفسنا أن نأخذ شيئا ونترك أشياء ؟ لكن الشاعر فى هذا الزمان مايزال يأمل فى مستقبل أفضل . إن أحلام الماضى كما يقول الناس آمال المستقبل . والورد الذى تفتح لم يتفتح بعد حقا لكنما يراد له أن يكون خيرا مما كان بالأمس . والشاعر يريد لنفسه أن تتفتح وأن تنفح ، وأن تتعطر وأن تتنفس . يريد لها حياة جديدة . يريد أن تشق الظلام ، وأن تفهم فهما أفضل الجمال والمحبة والسخاء . يحلم الشاعر العربى أن يكون أغنية العالم وسره وروعته :

اذكريـــــــــنى

اذكريـــــــــنى!

تجددى يانفس يتجدد لك العالم ، الحلم الساذج الوديع أمارة العافية

والأمل ، يجب أن تتحول البادية فى عقولنا إلى روض وطير وغناء . ولكن لاتنس البادية يا عزيزى :

اذكريـــــنى كلمـــا ثـــار القطـــا .

القطا هو نفوسنا التى صاحت كثيرا تبحث عن حقيقتها الموغلة فى القدم . والقطا هو نفوسنا التى تبحث عن مكان أعز وأجمل بين الناس.

اذكريـــــــنى

اذكريني تتداعى مع الحنين : لقد ظل هذا الحنين غامضا حتى يومنا هذا . نحن نحب الحنين ، ونحب الحب نفسه بأكثر مما نحب هذا المحبوب، نحن نحب « الرقية » الغامضة أيضا : لا أفهم أن ينفصل الشيح والخزامى عن الرقية ، والهيبة والسر ، والإيماءة والتأدب أيضا . هذا الحنين الذى تصنعه صنعا هو فى حقيقته ولاء للزمان . الزمان ينبغى أن يكون راشدا متعقلا يأبى على نفسه هذا النسيان الذى يحيق به إذا هو عدا على الحنين عدوانا أو أبطله . نحن نحاور الزمان ونسمى هذه المحاورة حبا . وكما نحاور الزمان نحاور المكان أيضا .

ـ ٤ ـ

سل وادى الحب واسأل وردة فيه

ولانستطيع أن نأتى على الوادى كله ، ولانستطيع أن نسأل إلا وردة واحدة قد نؤثرها ، ولكننا على كل حال حراص أيضا على الوادى كله . ومادام الوجود كله ، زمانا ومكانا ونجوما ، يحيى الحب فمن حقنا أن

نطمئن . لكن الحنين لايعرف الاطمئنان أو لايأنس إليه تماما . لدينا هذا القلق . حقا إن الشاعر يقول :

سـل واديَ الحـب ياعـواد ينبئكـم
أن السـرور تنـادى في حـواشيـه

لكن حواشي الوادى ليست هي الوادى كله ، ومايزال الحب أقرب إلى أن يكون بقايا أو زوايا ، «وفي الزوايا بقايا من تنادمنا» .

الحنين أهم من التحقق . الحب ليس تحققا . الحب عاطفة يختلط فيها الزمان ، والوهم ، والحلم ، وشيء غريب قليل من الطموح إلى الفناء أيضا . كذلك الحب خوف من فكرة الجنة التى يألفها الناس ، ويكثرون من الحديث عنها إذا عرضوا للحب . نحن نحب الحب ، ونشفق من الحب ، وربما نجمع إلى هذا كله الخوف من الحب وكراهية الحب أيضا . هل الحب عسير أيضا من بعض النواحى بحيث يجب أن يذلل ، وأن يمهد له ، وأن يستعان عليه بالشعر ؟ هذا سؤال قد تراه سخيفا . ولكن الحنين فى الحقيقة ربما لايستقيم مع المودة الكاملة . الحنين يستقيم أكثر ما يستقيم مع ما نشفق منه ، وما نهابه ، وما نريد أن نبتعد عنه قليلا ، وألا نحتمل تبعاته . والشاعر يقول كل شيء ، ويتركنا لكى نؤول نظام كل شيء ، ونداخل أنسجته ونضاربها ، هل نحب القسوة ونجعل القسوة مثلا ، ونسميها حنينا ؟ هل نجمل العدم تجميلا ، ونجعله واديا أخضر ، له حواشٍ؟ ، هل كنا يوما ما نعيش فى هذا الوادى ونتنادم ، ثم خطر لنا ما خطر بحيث أصبح الوادى حطاما ؟

وفى الخبـــايا حطـــــام مـــن تأوهنـــا
خـــوف الفـــراق وأوجـــاع النـــوى فيـــه

هل هذا نوى أرفع و أوسع وأعمق من أى حادث جزئى يصيب هذا المحب أو ذاك ؟ هناك رحلة سابقة مقدرة صعبة تقر فى نفوسنا . هناك «بكاء» غامض يشفى نفوسنا من حب الأرض ، وحب الحياة ، وحب الناس. لكننا استطعنا أو استطاع الشاعر أن يوهمنا أن له محبا ، وأن خاض تجربة عزيزة على نفسه . وسواء أخاض الشاعر هذه التجربة أو لم يتح له إلا الشعر نفسه.

إن الشعر يدعم الشعر بأكثر مما يدعم التجارب الخاصة . النفس العربية لاتبرأ من الحنين إلى الجنة الأولى . طورا نسمى الجنة الأولى باسم البادية ، وطوراً نسميها باسم وادى الحب ، طورا تناديها ، وطورا نجفل منها ، وطورا نجمع هذا كله فى تركيب واحد . المهم أن العاطفة التى يزكيها كثير من باحثى الشعر يجب ألا تنسينا أسئلة مهمة . إلى أى شىء نَحِنُّ ؟ لماذا احتدم فى قلب الشعر العربى هذا الرفض العذب للحياة والأرض والبشر؟لماذا استعملت كلمة الروح استعمالا يذكرنا بالفرار من الممارسة البطيئة الخاضعة للمتابعة والتصحيح المستمر :

كم ذا وددت لهمس الروح تحفظه
لأستعيد صدى أمسى وأبقيه

إن صدى الأمس ينافس دائما صدى اليوم. وهمس الروح أو سرها فى الماضى ، وليس فى الحاضر . والروح فى هذا الشعر هى توزع العربى المفضل بين الحدس والمنطق الذى يناقض الحدس فى خطاه . لكننا فى الغالب لانؤمن إيمانا باطنيا بقضايا المنطق . إننا نرفع الحدس إلى أعلى درجة. رفعة الحدس هى التى نسميها باسم الحنين ، ووادى الحب ، والنجم، والقلب الواله الدنف الذى أضناه الحب، ورضى عن هذا الضنى نفسه . الروح فى الشعر هى نكران الحاضر ، ومشقة الانتقال الأساسى أو الخروج من البادية . نحن نعشق كل مايجعلنا غرباء عما ليس بدويا مهما نتتفع به ، ومهما يتزين ، ويتبرج ، ويدافع عن نفسه.

– ٥ –

كيف يمكن أن تربط هذه القصيدة بالسياق السالف :

كما ألف العذاب صميم قلبى	فقد سئم الفؤاد من العذاب
كلا الضدين مرا فى دروب	من الألم المعتق والسراب
فلم ييأس فؤادى من وصال	وقد مل العذاب من الحراب
وقد ظنت سنونى أن هجرى	ينيخ بشاطئى دون الإياب
ولم تدر السنون بأن قلبى	تجلد للعقاب وللعتاب
فعذبت العذابَ دروبُ عمرى	وقد خر العذاب صريع مابى
ويبقى الشوق ما بقيت حياتى	ويسمو الحب مرفوع الجناب
وتمرح بى صباباتى وأنسى	وتفتر الثغور عن العذاب
ونهنأ والليالى زاهيات	بوصل حلوه أحلى الشراب
ونبذ من سنين العمر عصرا	مذاق البين فيه جام صاب

وأقسم بالليالي العشر عشرا وبالفجر المقدس والكتاب
سأبقى والهوى صنوين حتى يموت الحب أو يدنو مآبى

هنا نجد غرائب النفس العربية الدفينة تألف الحنين الذى يسمى عذابا فى البيت الأول ، وتنكره بعض الإنكار أيضا ، النفس العربية باحثة عن ألم معتق لا ألم جديد . ألم استمر عبر العصور . ولم ييأس الشاعر من التوافق مع الحنين والوصال معا.

فلم ييأس فؤادى من وصال

يجب أن نصلح من شأن هذا الحنين ، وأن نفكر فى تحوله إلى أداة من أدوات التحقق والحاضر . لكن هذا التحقق له صورة خاصة . إن الشاعر يبحث عن بطولة من وراء هذا الحنين :

فعذبت العذاب دروب عمرى
وقد خر العذاب صريع مابى

هناك قوة عارمة أو قتال غامض . القتال فى الحقيقة ليس شيئا هينا أو محسنا خارجيا . القتال جزء أساسى من عاطفة الحنين . لا حنين إلا بالقتال . ويجب أن تستمر حاسة القتال فى النفس العربية . إذا فقد العربى هذا النوع من الجهاد ارتاب فى ماضيه ونفسه . القتال هو الشرط الأساسى للإشباع.

ونهنأ والليالى زاهيات

وزهو الليالى ليس يفترق عن زهو النصر . ويجب أن يرتبط القتال بإحساس روحى

وأقسم بالليالى العشر عشرا
وبالفجر المقدس والكتاب

هنا نجد محاولة عقد الصلح بين الإحساس البطولى المنتصر فى البيت السادس خاصة وتمثل الليالى العشر ، فالليالى العشر منتهى الحنين بعبارة أخرى : إن بطولة العذاب تصفو وتبلج ، فالليالى العشر ليست عدوا للصبابات ، والصبابات لاتخلو من روح الرعب ، وروح الرعب ذات أهمية عظمى فى التوقى . يجب ألا نضن على حدس الشعراء . ما يقولونه أعمق من أن يخضع لما يسمى هوى أو غرضا شخصيا . لدينا هذا الزهو بالرعب بمعزل عن الضعف . الرعب هو الإحساس بمسئولية التصدى ، والإحساس بأننا لانملك فى لحظة واحدة كل شيء . ويبقى الشوق : الشوق ليس خاليا من هذا الفزع الطيب الذى يبحث عنه الشعر فى جو خامل كسول . إن الحنين قوة وجسارة.

إن تحقق الوجود مكابدة مستمرة .. هذا خوف الاحتراق ، وخوف النضج جميعا . هذا هو مطلب النفس العربية ، أن تستوقى حظها من التوجس فى عالم تملؤه المكيدة الغامضة المصنوعة بإتقان .

« ويبقى الشوق » : يبقى السؤال والمكابدة ، والخوف الغامض ، والقوة الدافعة التى نسميها باسم الصبابة والحنين والحب والوصل . هذا المعجم الذى لايكاد يغنى ظاهره عن باطنه . وخاتمة هذا الحنين أو التوجس أو الشوق « قسم » . القسم هو الإحساس بالخطر . أليس هذا أوجب الأشياء علينا حتى لانضيع ؟

إن الشاعر من خلال معجم معين يعبر عن أزمة الانفصال عن هذا العالم . نعم فليس من العدل ولا من التريث أن تقف عند حدود هذا المعجم

لا تتجاوزه ، إن معجم الهجر والعذاب هو معجم الاغتراب عن حقائق كثيرة نراها ، ولا نكاد نسيغها على الرغم من تكرارها . إن الشاعر يلجأ إلى عاطفة بسيطة فرارا من عواطف كثيرة معقدة . هذا الملجأ الذى يتعرض له الشاعر هو صمام الدفاع عن النفس وسط عالم من العقبات والتصنع والرياء . من خلال تجربة الحب يحيى الشاعر أيضا نوعا من الغموض النادر الذى يهواه الإنسان إذا اتضحت له حقائق كثيرة . فغاية الاتضاح غموض ، وغاية الإلحاح على الحب الذى لاينال أننا قوم يصعب علينا أن نحقق أنفسنا أتم التحقيق . وتبقى الكلمة تراود العربى عن نفسه وحسه ، يتطلع إليها فتكون أشبه بالأوابد القديمة يظن أنه يقيدها ثم يرى بعد قليل من الصعب أن تحد وأن تعرف . إن السعى وراء الكلمة تصفية للحياة من أدران كثيرة ومآرب كثيرة . الكلمات تجر وراءها الكلمات . والشاعر يريد أن يخضع الكلمة ، ولكن الكلمة تأبى أن تخضع لأحد ، وتجود الكلمة على الشاعر بعض الجود فيرضى ، ولكنه يدرك أن الجود يأسره ، وأنه واقع فى قبضة قوة كبيرة.

الشعر يجرب الكلمات ، ويخضع لها ، ويهددها لعلها ترضى . الكلمات تومئ إلى الشاعر راضية وتومئ اليه غاضبة . الكلمات تقول للشاعر : اطرق الباب مرة أخرى عسى أن يؤذن لك بالدخول . فإذا دخل واطمأن أدرك أنه يسبح فى خضم أو ليل .

هذه الكلمات التى تتردد فى الديوان . والشاعر فى أثناء هذا قد يخاف الغرق . يقول إنه غارق فى الحب ، ويعلم إلى حد ما أنه غارق فى شىء

أهم من الحب وهو الكلمات . الشاعر يحاول اصطياد الكلمات أو تقييد الأوابد . والكلمات أقوى وأعتى من أن تذل تماما لشاعر أى شاعر . يتقرب الشاعر إلى الكلمات ببنات الكلمات ، وأخواتها ، وعماتها لعلها ترضى . الشاعر يسمى الكلمات عواذل ، ويسميها السنين ويسميها الليل أو الليالى، وقد يسمى موقفه منها باسم الصمود ، يقول فى ص ٤٨ :

عشقتك غرا ثم شابت ذؤابتى
ولازلت أصبو للمزيد من الحب

وهو فى هذا كالذى يقول فى صراحة حلوة الكلمات قلما تنقاد للغر، وقلما تنقاد لمن شابت ذؤابته . وسيظل الشاعر يصبو إلى مزيد من الكلمات. تتوالى الكلمات فلا تنضب ، ولا تسلس ، ولا تلين ، والشاعر ماذا يستطيع إلا الصمود . الصمود أمام الكلمات هدفه . فى هذا الجو نفهم قوله :

أنادى بأعلى الصوت ضاقت جوانحى

يوشك أن يقول : ضقت بجوانح الكلمات . فما للكلمات من توقف. هذه الكلمات التى تتباهى ، وحنين بعضها إلى بعض مشغلة كبرى ولكن فى الديوان أيضا مايشبه المحاكاة الساخرة لفكرة سحر الكلمة التى يتحدث عنها بعض النقاد المعاصرين ، وتتمثل فى اصطناع نوع من المحو أو التراجع أو اصطناع نوع من الحيرة أو التردد على كلمات بينها قدر من التشابه . وعلى هذا النحو يصبح الديوان مثيرا لقدر من التأملات التى

يتعاطاها محب الشعر . ولاشيء يحول دون هذا الافتراض لأن الشاعر لاتروعه قوة الكلمة دائما ، ولا ينسى أن اللعب بالروعة يعتبر غرضا مشروعا من بعض الجهات فى هذا العصر المريب.

لكننى مع ذلك أجد فى الديوان قراءة أخرى . المرأة كائن عظيم يعيش فى جوانحنا ، وعلى مقربة منا ، يجود علينا لكنه أكبر منا ، سنظل نسعى إليه كما سعى نحوه كل أجدادنا . لكنه لاينال . المرأة العظمى لاتنال مهما يكن ما تناله منها . هذا هو الهاجس الذى دب فى نفسى حين قرأت المطاولة المستمرة نحو المرأة . هذا باب يكاد الوجدان المعاصر يغفله . لقد غلبت الشهوات ، وابتذلت الشهوات ، وعبدت الشهوات. وتم لنا الاغتراب الموحش الفقير الذى نعتز به . مامن سبيل إلى إصلاح الوجدان إلا هذا السبيل ، أن نذكر حب المرأة الذى يحفظنا من الحقد والحسد والطمع والشح . حب المرأة الحقيقى يحفظ للرجل كرامته ، ويؤكد اهتمامه بكل قيمة نبيلة ، ويساعده على أن يدخل فى قلب المجتمع مسامحا ، راغبا فى أن يجمله وينصره . هذه رسالة ينساها الناس ، لقد نسوا أجمل مافيهم . فإذا ذكروا بها استوقفتهم لأنهم يدافعون عن التفكك والعرى والقبح ،ويرون هذا كله آية العصر . نحن نغنى للآلهة الممسوخة . هذا صوت ثان . أعيدوا إلى أنفسكم قوتها والتئامها . اخرجوا على سنن العصر فى شجاعة . أعلنوا أن العصر غريب مدمر . هذه الإيماءات التى لاتعز على قارئ الديوان تعيد إلى الحياء والكبرياء ما فاتهما.

لاتنس أن شعرا من هذا الطراز لايخلو أيضا من بعض البكاء على

العربية والعروبة . لكنه ليس بكاء صريحا غليظا . إنه يومض إيماضا من خلال تجربة العشق . لمن العشق ياسيدى . العشق للعربية والعروبة . هذا مستوى من المعنى لايمكن التفريط فيه . والعشق الآن نادر ضئيل . والفراق الذى يملأ الديوان فراق العربية والعروبة فى قلوب بعض الناس . الشاعر لايقول هذا قولا لكننى أستطيع أن أستنبطه أو ألمحه لمحا . هذا شعر يعود إلى عشق العربية وتراثها وعراقتها . هذا شعر يقول فى بعض نبراته أجافيكم ، وأريد أن أعرفكم معرفة أفضل من خلال أصول الانتماء ، تعالوا ننقذ أنفسنا التى زاحمها اللهث ودافعت عن الخسران.

الديوان بعبارة مختصرة رمز ما ضاع أو ما لا ينبغى أن يضيع ، رمز التفريق بين القشور واللباب ، بين الصحة والمرض ، بين الأصالة والطلاء ، بين الوجدان الرخيص والفقد العظيم ، الديوان فيما أعتقد توثيق البساطة والشجاعة والغناء . كأنما يبحث الشاعر عن ميلاد كامن فى عمق بعض النفوس . يتصور أحيانا بصورة « الطيف » الذى يتردد فى القصائد . هذا الطيف ينافس بعض المنافسة صاحبه أو صاحبته ، الطيف الذى استيأس منه الشعر لأنه استيأس من الماضى . لكن الشاعر يبحث عنه مكبرا له إكبارا يتجلى فى تقليب الكلمة فى اشتقاقاتها المتنوعة ، واستعمال كلمات أخرى بدائل تنوب عنه ، وترمز إليه من مثل كلمة الفجر والهمسات (ص ٦٨) ، هذه الكلمات تتواشج للتعبير عن السر الذى لايعيش الشاعر دونه . السر الذى يحفظه من التبذل وعدوان الإفصاح والتزيين . الطيف روح الزمان . أو روح العربية . الطيف ليس تابعا من توابع الحب فحسب . الطيف هو الحقيقة التى لم تتكشف بعد ، ومن حقها علينا أن تحتفظ بمكانها من

النفوس . الطيف مجمع الماضى والحاضر . الطيف أمام نفوسنا إذا غرقت فيما ترى وما تسمع.

لنحاول دائما أن نتحدث عن وظيفة الطيف فى حياتنا الحديثة . لا تظن أن الكلمة قديمة فات أوانها . إن استعمالها المتكرر يضفى عليها هما قوميا لايمكن التقليل من شأنه يأتينا من الماضى ، ولكن رحلته الطويلة تكسبه طموحا مستمرا . من عاش بلا طيف عز علبه أن يتفوق على نفسه . الطيف عود إلى الرحلة المستقرة فى قلوبنا ،كشف النفس رحلة أو طيف رحلة.

- ٦ -

هتف الحب وأغرى بى الهوى ... فتذكرت لقاء من سنين
كان قلبى طائرا مرتعشا ... فى حنايا الصدر يهفو للقرين
ولعش ضمَّنا يرنو لنا ... بالأمانى مفعمات بالحنين
ورمال قد جلسنا حولها ... نرقب الفجر وعطر الياسمين
أين منى عاشقٌ هدمه ... بعد نأى وبصمت لايبين
وتناءى والهوى جمرته ... تتلظى فى رماد مستكين
كيف ذكراى حبيبا ناسيا ... قصة العهد ثوى بين الجفون
قصة الحب الذى عشنا له ... فانطوى كالطيف فى ومض العيون
أين منى همسات خلتها ... خلدت كالشعر فى طى القرون
وأمان طوفت بى فى دنى ... ساحرات نابضات باللحون
وأغانٍ قد سمت أنغامها ... فتعالت بسماء العاشقين

ولقـــاءات تعـــالى ســـرها　　في ضـمـيـر العـشق تنأى بالظنون
وعـهـود جـددت عـهـد الهوى　　لـم يشـبـهـا البين أو زيف اليـمين
اين منى نـظرات أشـــعلـت　　مـهـجتى بالوجـد أو لذع الجنون

تأويل هذه القصيدة واجب إذا عرفنا أن كثيرا من المخاطبين مخاصمون . كيف يكون الحوار معهم ، هل يكون تخطئة وجدلا . أم يكون تذكرة بما نسينا ؟ القصيدة لاتفهم بعبارة أخرى إلا فى ضوء الخطاب . والمخاطب هنا قد يكون قاسيا غافلا مشيحا بوجهه . لكن القصيدة تتحدث إليه بروح الود والسذاجة . القصيدة تمحو ، على هذا النحو ، شعرا وفكرا واتجاهات أخرى، ببساطة عجيبة وإصرار عجيب أيضا .

أما الظاهر فواضح جد الوضوح . هذا حب يهتف وهوى يغرى . ولكن الكلمات تتواثب كما قلنا ، وتبعث أصداء عميقة تنبع من علاقة المتكلم بالمخاطب ، تنبع من التصادم بينهما ، يجب ألا ننسى هذا التصادم حين نسمع الطائر المرتعش والقرين والصمت الذى لايبين ، والرماد المستكين ، والظنون.

ماهذا القرين الذى نتتبع أثره ؟ ما الظنون والصمت ، ثم الجنون . كلمات تستخلص نفسها من أفق ، وتنزع إلى أفق ثانٍ . الجنون هو روح الشعر . والجنون بداهة قيمة أروع من التعقل والسكينة والاستقرار . لقد أبدل الشاعر من لفظ لفظا ، وجعل بين الجفون والقرين نسبا ،. هل نبحث إذن عن قرين (مجنون) لايعبأ بما يعبأ به الناس فى دنيا الغدر والكيد والمجون؟ هل نبحث عن الجنون الذى ضاع ؟ هل نبحث عن تجديد أنفسنا

من خلال سماوات غير السماوات المألوفة ؟ لا أستطيع أن أكتفى بظاهر الكلمات.

الكلمات تناوئنى على نحو ما أصنع أنا . لابد إذن من الاستمساك بشيء من روح الجدال بين عالمين . هذا كلام لا يمكن أن يفهم ، كما قلنا ، بمعزل عن المخالفة . بعض القراء موافقون ، وبعضهم مخالفون . وإذا قدرت الخلاف انبثق أمامك طيف من الجدل الكامن لمن شاء أن يكون متواضعا متسائلا ، هذا الطائر المرتعش ماهو ؟ أهو أنت ؟ هل كان هنا ثم اختفى ، وعدت عليه العوادئ ؟هذا القرين أهو الجماعة كلها ؟ أهو البحث عن المثنى المشهور فى العربية ؟ أهو الطيف العزيز ، أهو الشخصية التى تحتاج إلى أن تبعث . أليست الثقة الباحثة عن قرين أجدى عليك من الريب والنفى المتسلط ، والإصرار على المكابرة ؟ أليس فى هذا الشعر نوع من التحدى اليسير ؟ أليس دعاء لنا أن نتذكره ، ونعود إلى جنون الشعر ؟ أرأيت كيف تصر القصيدة على أن تسمى الكشف ارتعاشا ، وجنونا ، وقريناً ، وظنونا ؟!

القصيدة مناوأة وخشية وتوقف . يجب أن ندخل هذه العناصر فى بنية القصيدة . إن الشعر الآن يتنكر لفكرة الأغنية ، وفكرة التواصل ، وفكرة السذاجة التى تصل إلى الأعماق لأنها تنبع من الأعماق . كل سذاجة أصيلة مردها الاقتراب من روح الجماعة ، كثير من الشعراء الآن يتباهون بالمعقد لأنهم لايتذوقون نعمة النور والجلاء ، يتباهون بالاستخفاء المدهش لا يريدون أن يعرفهم أحد . كثير من الشعر الآن يخيفك أو يتسلط عليك فى الظلام . لا أريد أن أفاضل بين طرائق الشعر ، ولا أريد أن أغمط أحدا

حقه، ولا أريد إلا أن تتسع صدورنا لنقرأ هذا وهذا ، من الصعب الآن أن يتصور الأديب أنوارا بعيدة مخيلة مهيبة . من الصعب أن نتصور الحاجة إلى الاقتحام والصبر . إذا أنكرت هذا كله فأنت رجل لا ماضى له . للقلوب الورعة الحق فى التمثل ، وينابيع الثقافة تنتج شرابا مختلفا ألوانه .

ليس هذا الديوان بدعا فى ثقافتنا الأدبية الحديثة ، ما علاقة دفعة الحياة عند العقاد بما نحن فيه ؟ ثم ماعلاقة طه حسين وغنائية تركيب الجملة ؟ هل قرأنا الوعد الحق ، وكتاب على هامش السيرة قراءة مدققة ؟ ما ظنك بحماسة الرافعى ، والريبة المستكنة فى تغيير البيئة العاطفية ؟ لكننا بداهة لانخلط أوراقاً متفاوتة.

لاغرابة فى هذا الجو أن تجعل المحبة هياما وسرابا ثم تجعل السراب أنغاما وانسجاما.

يقال أحيانا إننا قابعون خلف ذواتنا ، أحرى بنا أن نجد و نحرك ذواتنا من الداخل تحريكا ، ونرى أن ساحة العالم يجب أن تتسع لجانب من ساحتنا.

هذا النوع من الرؤية يسلم إلى سؤالين : أولهما أن الإحساس بالتناقض بين التذكر والتحدى عيب في التلقى ، والثانى : أن محور الحياة الموحد ضرورى ضرورة الطعام والشراب . وإذا كان الشعر لايمحص شيئا تمحيص العلم والبحث فإنه يثير السؤال . ومن حق الحلم علينا أن نوضحه ونؤوله بعين البصيرة . بوح البوادى ، فى نهاية القول ، أريد به أن يطمح إلى

هذا المحور ، وأن يستعين القائل بالسامع من أجل النهوض بعبء عظيم ، أو تجربة عليا يعتبر ماعداها باطلا وتبذلا .

فـــأجـــاب الفـــجـــر فى هدأته

وخـــيـــوط النور تســـرى باليـــقين

هل ترى فى هذا قصة المثل الذى يقول «عند الصباح يحمد القوم السري »هل تحمد الجماعة العربية يوما سراها ؟ هل تجمع يوما بين اليقين والسري؟ كيف هذا الجمع الجميل بين الخيط الأبيض والخيط الأسود؟

التفسير ينى ويسهم فى كرم النفس وعفة الخلق . لا يدخل التفسير من باب العظة والعلو ، وإنما يدخل من باب الإيحاء والجمال وتسرب ثنايا النفس بعضها فى بعض :

ـ ٧ ـ

ياناى مـالك تبكى الوصل متـشـحـا

بالحـــزن والشـــوق والآهات والألم

تبكى الزمـان الذى ولى .... وتذكـره

فى كل آه بأشكال من الســـقم

فَبُحَّ صـــوتك من مـــر السنين وقـــد

شـاخ الزمـان بلحن فـيك منسـجم

يانـاى هـدئ .. وسلنى لا تـناوحنى

سلنى عن النوح والألحـــان والنغم

إذ جذوة الشوق فى نفسى قد اشتعلت
منذ الزمـــان الذى شطت به قـــدمى
فنبـرة النوح تشـجى .. بل تذكـرنى
أحبـاب أمس مـضوا فى عـتمة الظلم
يقطع القلب صـوت الناى .. يأخـذنى
إلى الوراء سنينا عـــاشــهـــا حلمى
لا النوح يجـدى .. ولا الأنغـام ترجـعـه
ولا البكاء على الأطلال من شـــيـــمى
فـالصــبــر عنديَ ينيـه التــجلد بى
والحـــزن يبـــقى ويبـــقى فىّ للعـــدم
أ أنت مــثلىَ ياناى الهـــوى حـــزنا
أم تطرب الحى فى مـــزمـــارك الهـــرم؟
نح مـــا تشـــاء فلن يجـــديك نوحك يا
رفـــــيق دربيَ ، فـــــالمكلوم لم يُلَمِ
فـــأنت مـــشـــتـــاق لاريب بذاك ، ولا
شك بشـــوقك ياناى .. فـــأنت ظمى
لكننى ـ والهـوى الغـالى ـ يبـرّحنى
مسٌ من الحب فـاق الحـزن وسط دمى
أنا الذى يتـــقـــضى عـــمـــره هزنا
بالحـزن والشـوق ـ مـهـمـا زاد ـ والألم

تستطيع أن تقرأ هذا الشعر مرتين . أما أنا فقد شغلنى أمر أريد أن أسره إليك . لماذا يتكثر الشاعر فى البيت الأول من كلمات ـ الألم ويحذرك أن تخلط بينها ، ويخيل إليك أنك مستعد لهذا الخلط ؟ كيف يرجع الشاعر إلى هذا الإحساس ، يريد أن يستوثق منه ، فإذا ارتاب أردف الحزن ، والشوق، والآهات ، والألم ؟ يذكرنى هذا التوالى ببعض شعر المتنبى الذى يقول فيه :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

من الحق علينا أن نفسر قولا قديما بقول حديث ، وأن نزعم أن المتنبى « يتألم » أو ينكر مايعرف . لا تستطيع أن تنسى المتنبى ، ولا تستطيع أن تلازمه وتحتفظ بصداقته . فالناى ربما يكون غريبا على المتنبى ، والشاعر المعاصر يستروح إلى رحلة تختلف عن رحلات المتنبى . فأداة الرحلة هى الناى ، والصعوبات المعاصرة مختلفة بعض الاختلاف . ولكن الناى مضطرب ثائر يحتاج إلى أن يهدأ قليلا أو كثيرا.

ربما نذكر المتنبى بين وقت وآخر ، ونذكر ظاهرة أخرى من قبيل ما يمكن أن نسميه التحكم النحوى :

- فالصبر عندى يدنيه التجلد بى

والحزن يبقى ويبقى فى للعدم

والمهم أن الرحلة فى القصيدة لاتعرف الخوف . البكاء ، والسقم ،

والنوح تتوالى كما تتوالى العقبات ، يحب الشاعر أن يتغلب عليها . وإذا بنا نجد الناى يناوئ أيضا ، وفى كل هذا الصخب يرتاح الشاعر ولا يحب السكينة ، وربما لايحب الناى حبا خالصا.

ماذا وراء هذه الكلمات ؟ ما الذى يحذفه الشاعر أو يؤثر الإيماء إليه إيشارا ؟ أهذا حب من الحب أم سخط عليك وعليّ وعلى الناس ؟ لكن الشاعر يتجمل ، وإذا أنت عنيت بالقصيدة وجدت حاسة التقطع . ورأيت الشاعر حريصا على التذكر كل شيء يمكن أن يكون عارضا لكن التذكر فى نفسه لايقبل التفريط . والتذكر غامض رائع لانكاد نحقق مدلوله . نحن نتذكر شيئا أجل من الوعى والحاضر والنور المألوف أيضا :

فنبـــرة النوح تشـــجى بل تذكـــرنى

أحبـاب أمس مـضـوا فى عـتـمـة الظلم

ما عتمة الظلم ؟ وما العلاقة الخفية بين الظلَم والظُلَم ؟وما رغبة الأحباب فى أن يستتروا عناء ؟وأن يخاطبونا من وراء حجاب ؟ وما لهم يزوروننا إذا أقبل الليل ؟ ماهذه الظلم ؟هل مضت الظلَم لأنها كبيرة ، وكل كبير مرتحل ؟هل مضت وخلفت وراءها كلمات إثر كلمات تتساوق، ويستعين بعضها ببعض ؟ هل كان الظلام الذى اكتسب لنفسه التأييد أقوى من النور والنهار . هل نحن نبحث فى أنفسنا عن ظلام بوجه النور والمألوف، والمحسوس؟ هل نحن حيارى فى هذا العالم الذى نسعى للحاق به، وما نلبث أن ننكره ، نريد أن نلحق بأنفسنا ؟ هل الحزن ،

والشوق ، والآهات ، والألم أشبه بالركب الذى ضل عنا ؟ أهذه الكلمات بقايا أشخاص ؟ أريد أن أسأل مرة أخرى عن حقيقة الناى فقد جعله الشاعر مزمارا هرما :

أم تطرب الحى فى مــزمــارك الهــرم

انظر إلى الحى الذى يكاد يغيب فى المزمار . ما هذا الهرم ؟ أنظر إلى العبارات الآتية :

شــاخ الزمــان بلحن فــيك منســجم

عجيب أن يتوافق الانسجام مع الشيخوخة . الشيخوخة استطاعت أن تنقى الانسجام . لكن الشاعر حريص على عهد متطاول أكبر من الأفراد ، والشعراء ، وأى ناى يصطنعه شاعر من الشعراء .

ثم أنظر إلى هذه الكلمات :

منذ الزمــان الذى شطت به قــدمى

أخشى أن نفقد فى لحظة هذا الشطط القديم . لقد حدثتك عن غرابة الحزن وعزته :

والحــزن يبــقى ويبــقى فى للعــدم

أكبر الظن أن الحزن قد نضج . وينبغى علينا أن نتذوقه على غرار ما يتذوق معظم الناس الشباب . هل الهرم هو ببساطة إصرار الذى يبحث عن وجوده ؟ إن أمرا أقل وضوحا يستطيع أن ينبثق هنا . وجدتنى أذكر قصيدة

البوصيرى الذائعة فى مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. :

أمن تذكـــــر جـــــيــــران بذى سلم

مــزجت دمــعــا جــرى من مــقلة بدم

نقترب منها وقد نبتعد عنها ، ، إننى أسبح فى عتمة الظلام نحو البوصيرى وحينئذ يكون الناى شيئا يشبه محبتنا للرسول ونداءنا له من حيث لاندرى . إن الشعر ينبه الشعر فى الظلام ، إن الشعر يستقى مادته أو بعض مادته من هذا التنبيه . القصيدة نسيب لاغزل . النسيب بحث عن النسب ، والشاعر يجرب النسب القريب حتى يصعد به الى النسب الموغل . والناى فيما أتوهم جزء من النسيب بهذا المعنى . وهكذا نتقرب إلى الرسول عليه السلام.

هل تريد من الشاعـر أن يعطيك كل شىء ؟ هل تنسى أن الشـاعـر يتسلل من خلال النغم . والحى ، والتذكر ؟ إلام نهفو وأصداء البوصيرى عطرة نافذة ، وأصداء شىء من كفاح الباطل تناوشنا فى القصيدة ؟ هذا بعض ماعنيت حين زعمت أن التفسير ينبغى أن يكون أداة لتنقية النفس والضمير . ولست أرى التفسير إلا محاورة لذات ، تصغى إليها ، وتلتمس مايزكى « الحديث » المتبادل . قرأت قصيدة عنون لها الشاعر باسم الوفاء ، وأخذت أقلب فى بعض أبياتها . ولست أريد أن آتى على أبياتها هنا، حسبى أن أقول مع الشاعر :

قــفــا نذكــر الأيام والوصل صــافــيــا

وودا عـــفـــاه الدهر أبعـــد نائيـــا

وحـبـا قـهـرنا الدهر حـتى صـفـا لنا

فـصـغنا عـبـيـر الزهر منه الأمـانيـا

لست تعرف عن الدهر شيئا يقينا ، فهو ينتصر فى بعض الرؤية وينهزم فى بعضها . ولكن فى هذا كله نبرة غريبة . إن الزهد يبرق فى القصيدة ، الزهد الثرى القادر يطالعنا . ليس الزهد عجزا عن الحياة ، الزهد أحرى أن يكون تعاليا على الصغائر . ومادة الزهد النشيطة هى هذا « الوصل » الذى لايعرفه الناس ، والإحساس بأن الحياة صفو . وأن عبير الزهر فى متناول أيدينا . هذا جمال الزهد إذا أردنا أن نعبر عنه لم نجد خيرا من معجم الوصل، والغلبة والعبير الذى نتنفسه رغم كل شىء . هذه نغمة الاستعلاء على متعة بعد متعة لكى نخلص آخر الأمر إلى كبرياء المتواضع ، وزهد المحب فى الدنيا وأعراضها . لنتعلم درس الزهد حيث لانحتسب . لا غرابة أن يأتينا الزهد من تكرار النغمة ، أو تقليبها على وجوهها ، تكرار النغمة يمكن أن يؤخذ على أنه توكيد النغمة . وهذا ما دأب عليه القراء منذ زمن قديم جدا فى البلاغة ، لكن التكرار يمكن أن يكون أيضا مساءلة النغمة . التكرار يشع موقفا « باطنا » مجاوزا للظاهر . الشاعر يستوقفنا عندما علمنا ليعبره إلى شىء أقل ألفا أو أبعد مومى . التكرار يسأل ، ويوحى على عكس التوكيد بالرهافة أو الزهد .

إذا أردت أن تزهد فعليك ببعض الود ، وتعمقه ، والتقرب إليه . عسى أن يزهد الشاعر فى الحب أيضا . عسى أن يوحى إلى الناس التقشف

والتسامى على اللين والرخاوة واليسر . ربما لايعترف الشاعر بالخوف اعترافه بالشجاعة الجميلة الساذجة ، ربما تكون المراودة المستمرة آية إجلال يشبه من بعض الوجوه الوجد . لنذكر أن الفقد ثمين ، واستيضاح النفس لايكل . النفس آبدة تسعى إلى أبوة واسعة لاتلهى ولاتغرى بالتدلل . هذا ولاء ومناشدة للناس أن يجتمعوا ليستمعوا إلى نبأ وسر لا مساومة فيه ولا بيع . السر محيط بنا يأخذنا من أطرافنا ، يومئ ، ويتحدث ، وسوف يستمر فى الإيماء والحديث عسى أن نكسب لأنفسنا شيئا من البراءة العزيزة التى تحصن من تشتت الهدف والضمير والزلل الأخاذ الذى لايكشف عن وجهه هذه هزة أشبه بالطقوس . من خلالها تصحو التقوى.

لعلها التجربة الأولى التى تعتمد عليها التجارب الأخرى . إذا قرأت الديوان وجدت عناوين كثيرة ما تلبث أن تلوذ بفكرة التجربة الأصلية التى تحتاج إلى حماية مستمرة . العناوين والتفصيلات والمجاهدات الموضعية تعنى أن هذه التجربة ذات طابع ملتبس منفتح دائما .

هناك دوافع كثيرة تعمل ضد التركز حول التجربة الأصلية . لذلك يجب أن تلتمس على الدوام للدفاع ضد أى قالب معين . ما أقل الشعرا الذين يشغلهم الحفاظ على كرامة وجودنا ، والكرامة تصنع من خلا الحفز والإثارة والتنبه إلى أصل أو سر أشبه بضمير الجماعة ، هذا الس لايخلو من توجس ، فالزمان يعوى ، ص ٦٤ ، والهم له سياط ، وأظفار وناب ، واجتياح ، وغول ، ورياح ، وضباب ، ولظى.

التوجس يبدو أكثر الأجزاء أهمية فى صناعة السر أو التجربة الأصل

الرهب أو الإحساس بالخطر يبدو بارعا مقتدرا مانحا . أكثر الناس يغرهم لفظ الحب ، والبين ، والهجر عن تأصيل هذا الرعب وإعطائه حقه من التوجيه . يتميز الرهب من الخوف والجبن . نفس الشاعر كالمستريحة إليه تستقيه ، وتعالجه ، ولا تستغنى عنه . الرهب قوة ليس من الحق أن تحمل على التدمير الصرف ، الرهب قادر على التحول الأساسى . الرهب لايخلو من العناد ، والإصرار على المواجهة القاسية والترفع على المصالحة . هذا الرهب يقلب كثيرا من موازين الكلمات التى تتبادر إلى الذهن. الموازين السهلة تجعل الرهب تحلية أو زينة تابعة . ولكن التأمل المثاير يجعل الرهب أصلا أحيانا تقع فى حواشيه كلمات طالما اعتبرناها هى الهدف الأول والأخير.

ألسنا محتاجين إلى شىء من هذا الإحساس لنقاوم الكراهة المتنكرة . لها كل يوم ظل وألوان؟

وبعدُ فهذا نمط من التأويل يخدم النصّ ، ويخدمه النص ، نمط من التأملات الحرجة التى هى سمة الثقافة الأدبية فى هذه الأيام.

بوح البوادى للشاعر عبد العزيز البابطين

دراسة تحليلية

للدكتور / محمد مصطفى هدارة

ارتبط الشعر العربى منذ نشأته بالبادية . فزخرت قصائده بخشونة الصحراء فى قُرها وحرِّها، وعواصفها ورمالها، ووحشها ووحشتها، وظهر أثر البيئة البدوية فى ألفاظه وصوره ، وكان الشاعر القديم عاشقاً لصحرائه، يجد متعة فى مكابدة مشقاتها، وبطولة فى الصمود لأهوالها. وهو دائب التغنى برفيقة حياته فى الصحراء ، يرى إشراق الشمس فى جمالها، وحَور الغزال فى عينيها، فلا يخرج بذلك عن حدود البيئة الطبيعية، فإذا نأت عنه المحبوبة وهجرت ديارها، وقف على أطلالها تهيج به الذكرى وينسرب الدمع.

ثم انطلق العرب من جزيرتهم بعد انتشار الإسلام فاستقروا فى المناطق الخصيبة المتحضرة، فأخذوا يبتعدون شيئاً فشيئاً عن الصحراء وظواهر الحياة فيها، وإلفهم لها. الا بقية منهم ، ظلوا على وفائهم لصحرائهم التى تمثل لهم الأصالة والقيم الرفيعة والجمال البعيد عن الزيف، والحب الطاهر الذى لايَقْربه خَنَثُ الحضارة ودنسها.

وعبد العزيز البابطين واحد من شعراء العرب المعاصرين المتيمين بحب البادية، تلك التى تسرى فى عقله ووجدانه حياةً ماثلة بكل مقوماتها، ووجوداً متصلاً بوجوده ، وهو فى ديوانه يكشف أدق أسرار النفس من خلال عشقه للبادية فتشاكل العنوان والمضمون (بوح البوادى)، وسمعنا فى

هذا البوح قصة حب طاهر لرفيقة الصبا يتآلف مع حبه للصحراء طبيعةً ورمزاً.

يضم الديوان إحدى وخمسين قصيدة ويمتد تاريخه نحو أربعين عاماً فأقدم قصائده فى عام خمسة وخمسين وأحدثها فى عام أربعة وتسعين، ونجد قصائد متوالية فى الفترة من عام ٦٣ حتى ٧٣ ، بينما تخلو السنوات من ثلاث وخمسين حتى اثنتين وستين مما يمثلها من شعر، وأغزر السنوات شعراً عام ثلاثة وتسعين إذ تبلغ قصائده سبعاً . وهذا الرصد لعطاء الشاعر إنما يقع فيما اختاره لهذا الديوان الأول ، وهو يؤكد هذه الحقيقة فى مقدمته إذ يقول (فاخترت هذه التى بين يديك – عزيزى القارئ – من بين المجموعة التى احتفظت بها على مر السنين).

وقد حرص الشاعر على تأريخ قصائده وليته حرص على تسجيل المواضع التى شهدت ولادتها،(*) ليتابع القارئ أسماء أماكن مجهولة فى صحارى الكويت والعراق والسعودية ومصر وليبيا ، تشهد بانطلاق الوحى فيها خلال رحلات القَنَص حين تكون النفس على سجيتها حرةً بلا قيود ، يقول:

ياصديقى حين أبغى قَنَصــا	**أطرد الظبى وصقرى والذئابا**
فلأنسى جُرحَ قلبى والنوى	**وهمومَ العشق تكوينى اغترابا**
فأنا فى البرِّ نفسى حـــــرة	**أبْعِدُ الغَربة عنى والعذابا (١)**

(*) تمت الإشارة إلى ذلك فى طبعة الديوان الثانية المرفقة بالكتاب.

ويمتزج حب الصحراء بحب رفيقة الصبا امتزاجاً عضوياً كما نرى في هذه الأبيات، فالصحراء شفاء لجرح القلب والغربة والعذاب . وإن كان الحب نفسه نفحةٌ من البادية تتمثل فيه خصائصها وسماتها. والبادية لاتغيب عن الشاعر في كل أناشيد حبه ، فنرى ونحس ونسمع كل عناصر البادية كالقطا والصبا والشيح والخَزامى ، والمهاة والربع والآتيّ والغيث والجدب، حتى الأفعال المرتبطة بالبادية يوظفها في أناشيد حبه كالفعل (أناخ) فهو يقول :

وقد ظنّت سنوني أن هجـرى يُنيخ بشاطئي دون الإياب [٢]

وتدخل البادية في نسيج صوره الشعرية يقول :

نكأت الجرحُ يازمنى بوصلي كومض البرق أسرع في فلاةِ[٣]

ويقول :

طواها المَحْلُ أعواما عجافا [٤]

ويقول :

امتطى الآمـــالَ حيـــنا فيجـــافينيَ ركبى [٥]

وحين يتخذ لمحبوبته رمزاً يتمثله في النخلة (هل نلتقى يانخلتى وأعود)[٦].

إن قصة الحب التي يهمس بها الشاعر في بوحه تبدأ في أيام الصبا حين كان الشاعر في الرابعة عشرة من عمره، يقول في (وعود):

هل ترجعين وقد شابت ذوائبـــــنا وتركعين لأنْسَى البينَ حين رمى
خمس وعشرون مرّت عاشها كمدى وتحـــلمين بأن تجنى بها نِعَما[٧]

ونراه يؤكد هذا التاريخ القديم لعشقه فى قصيدته (سأسلو) حين يقول:

ثلاثون عاما مذ عشقتك والهنا يُجافى وجودى والتباعد قاهرى[٨]

وعشق الصبا بكل مافيه من سذاجة وبراءة لا يُنسى، إذ تتعلق به النفس فى بداية تفتح براعم الإحساس، ويظل تعلقها مشبوباً مهما تطاولت السنون فما من حب جديد يمحو الحب الأول ، خاصة حين يفترق العاشقان فيعيشان على الذكرى المتوهجة أبداً بحرارة الشوق وإمكان اللقاء وتبدو عذرية هذا الحب واضحة فى قول الشاعر :

سأقنع بالوداد بلا وصـــال وقد يُنْمِى الودادَ هوًى وَصُولُ
ويحيا العاشقون على التلاقى ويكـــفِينى التنهُّد والقَبُول[٩]

وهو أشبه بقول جميل :

وانى لأرضى من بثيـــنة بالذى لو أبصره الواشى لقرتَ بلا بله
بلا وبألا أستـــطيع وبالمنـــى وبالأمل المرجوّ قد خاب آمـله
وبالنظرة العجلى وبالعام تنقضى أواخـــــره لا نلتقى وأوائله

وكثيراً ما يستدعي البابطين شعراء الحب العذرى ليعبر عن انتمائه إليهم، يقول :

وحبّى طهـــرهُ باقٍ لنبقـى كبُثْنَة أو جمـيل لا نُـلامُ [١٠]

وهو يسمو إلى مرافئ الحب العذرى فى آفاق علوية يحدو ركبه فيها الشعراء العذريون ، يقول :

وطرنا سويا نعتلى النجم والسـها ونُنْشِدُ فى الآفاق منا التـناجيا
وسارت قوافي الشعر خلف ركـابنا لتحدو بنا حتى عشقنا القوافـيا
وكان قرينَ الركب عمـروٌ وعـزةٌ وقيسٌ وليلى ينشدون الأغانيا [١١]

وتمضى به السنون وهو على عهده فى حبه :

بعفة عذرىٍّ وطهر بثيـنة وإخلاص قيس ذائع الشعر والحب
وشوق لِعشاق قَضَوْا مُذ كثيرٌ إلى يومنا ذاقوا الفراق بلا ذنب [١٢]

وتحرقه الأشواق ويكويه البعاد والذكريات فيذكر تباريح جميل وقيس ويراها دون مايحسه يقول :

عُذْرَةٌ بالطهر فى عـشاقها تزدهى بالفخر فى طول الزمن
بجميل وبثين والـهوى وبشعرٍ يتغنىّ بالأغـن
أين قيسٌ وجـنونٌ مسّه ومحـبٌّ تبعَ المجنون جُن [١٣]

وتبدو محبوبته فى عينه صورة سماوية تزخر بألوان النقاء والعفة، يقول:

رفيقة دربى أبيض الذيل ثوبها   وأذكرها حُسْنا يشــــعُ ككوكب

فراشة صبح يعتلى الزهرَ عـرشُها   كذا وصفتها نَسْمةُ الحب عن قُرْب(١٤)

وتعبيره عن محبوبته برفيقة الدرب تأكيد لمعنى بقاء الحب الأول على تطاول السنين مشبوباً لا تفتر حرارته ولا تسكن لوعته ، بل هو يزيد على الزمن اشتعالا ؛ يقول :

عشقتك غرا ثم شابت ذؤابتى   ولا زلت أصبو للمزيد من الحب(١٥)

والشاعر فى قصائد مختلفة يؤكد استحالة نسيان هواه القديم، كما نتبين فى هذا الحوار بين العاشقين :

تقول شوقاً فهل لازلت تذكرنا   أم هل نســيت تناجينا وذكرانا

وهل أبادت سنون البعد حبكم   وأطفئت شمعة فى درب مسرانا

وبات قلبك من قلبى بمظلمة   أم قد تجمد إحـساس لتنسانا

أجبت لا والذى يرعى محبتنا   لم أنس يوما تناجـينا ولقيانا

فمرّ أعوام بيْنَ عشرةً سلفـت   لم يمح ذكراكم رَوْحَاً وريحانا (١٦)

ويبلغ حبه درجة من السمو تنأى به عن الحسية إذ يقول :

تسامى الحب فى نفسى فأضحى   كنبـراسٍ علا فـوقَ العوالى

يضئ سماء دنيا كنت فيها   أعيش بظلمة والقلب خالى[17]

فإذا وجدنا فى القصيدة ذاتها ملامح حسية تحكى بالتفصيل مواطن الجمال فى المحبوبة يقول فيها :

جمال القد أهْيَفُ من غصون   إذا ماست بغنّـــج أو دلال

لها شعر كعمق اللـــيل داج   تناوشـــنى الســها فيه بدال

وصبحُ فى جبين الوجـــه باد   ربيـــعا مشرقا عـذب الجمال

وهُدْب واللحـــاظ غزت فؤادا   منيع الحـصن فى أعتى نزال

وخدّ خـلته وردا تُبـــاهى   به كلُ الورود زهـــا بخـال

وثغـــر باســم فيه لمـــاه   تزيّنه الشفـــاه مع اللآلى

وجيد أتلع يســـمو بهـــاء   يغار لحسنه جـــيد الغزال

وصدر نافر النهـــدين عاتٍ   برمحـــيه يُهيّئ للقـــتال

وخصـــر دق لو نالتـــه أيدٍ   تقصّف واهـنا صعب المنال

وطـــول يستـشير وقد تعالى   بخطـــوته جديرا بالتعالى[18]

أحسستا لأول وهلة بتناقض الشاعر، ثم لا نلبث – عند التحقيق – أن تتبين انتفاء التناقض لأن الشاعر يرسم صورة متخيلة مثالية للجمال ، وليست صورة المحبوبةِ ، كذلك اسم (سلمى) الذى ردده فى هذه القصيدة إنما هو اسم متخيل.

ومن الطبيعى أن تكون قصة الحب الأول التى لاتزال تملك على الشاعر وجوده فيفرد لها ديواناً زاخراً بالعواطف الذاتية التى تغنى بها الرومانسيون وكانت مثار مخاصمة الحركة الواقعية - غير مسببة للسعادة فى كل حالاتها، فكثيراً ما تهيج الظنون فى نفس الشاعر كما فى قصيدته (جمر الظنون) [١٩] على سبيل المثال ويحس لذع الألم والحزن والجراح فى عديد من القصائد ويشكو الفراق والنأى والعاذل ، وتنتابه فى بعض الأحيان روح تشاؤمية نحسها فى قوله :

يمر الليـــل يتـــبعه نهـــار وتتبـــع يومىَ الذاوى فصـولُ

وتمضى خلفها الأعوام حسرى ويمضـــى العمر يعقبه الرحـيل

وينطفئ التوهج حين تمـــسى حـــياة الناس يأسرها الأفول[٢٠]

وحين نتأمل معجم الشاعر نجد كل ألفاظ الحب ومرادفاته مرات كثيرة : الهوى ، الحب ، الغرام ، الهيام ، الصبابة ، العشق ، الود ، الوله وغيرها. ونجد فى الوقت ذاته مرات كثيرة أيضاً كل ما يدل على الألم والحزن اسماً أو فعلاً : الجرح ، الشجى ، الشجن ، السقام ، الهم ، الأسى، المعنّى ، كوى ، التباريح ، الأنين وغيرها . كما نجد فى داخل المعجم مايعبر عن الذكرى والشوق والحنين والوصال والنأى والهجر والسلوّ . وكل ذلك يؤكد لنا أن مضمون بوح البوادى قصة حب متكاملة تتحقق فيها كل حالات الحب المتغيرة وأطواره المتقلبة التى تعنى صدق التجربة الشعرية فى بوح الشاعر بأسرار نفسه .ويتآلف صدق التجربة مع الإيقاع المتناغم المنبعث

من تراكيب العبارات التى تخلو من التعقيد وتبرأ من التعثر ، والصادر من البحور الشعرية المتنوعة يأتى فى مقدمتها الوافر (ست عشرة قصيدة) ثم الرمل (إحدى عشرة) ثم البسيط (تسع) ، ثم الطويل (خمس) ثم الخفيف (ثلاث) ثم الكامل (قصيدتان) والمتدارك (قصيدة واحدة) . كذلك وظف مجزوء الرمل فى أربع قصائد ومجزوء الكامل فى قصيدة واحدة ، وكان الشاعر أكثر استخداماً للقوافى المتغيرة فى أنواع من التشكيلات، وأقل استخداماً للقوافى المتحدة .

ويمزج الشاعر فى العناصر الفنية التى يرتكز عليها أسلوبه بين المعاصرة والتأثر بالتراث . وقد سبق أن ألمحت إلى استدعائه للشخصيات التراثية لتأكيد عذرية هواه . كما ألمحت إلى استيحائه من التراث فى صوره التى يوظف فيها الصحراء ، ونجد عنده ذكراً للربع والطلل . وفى تخيله مثالاً جميلاً للمحبوبة لا يتجاوز المثال العربى القديم ، بل نراه متواصلاً مع التراث فى رمزه للمحبوبة بالنخلة وبالطائر فى قوله :

مغردتى بالغصن هيض جناحها يميـــنا سأبقى راعيا ثمّ حانيا

فإن عقنى حبـــى وشرّد طائرى فلست إلى طيف سواها مواتيا[٢١]

كذلك يتواصل مع التراث فى مخاطبته رفيقين كما فى قوله :

قفا نذكر الأيام والوصل صافيا وودا عـــفاه الدهر أبْعَدَ نائيا

خليلىّ رفقا فالحياة قصـــيرة ذرانى فلن أقضى حياتىَ باكيا[٢٢]

ويتواصل مع التراث فى قصيدته (بدر الليل) التى يقول فى مطلعها:

يابدر اللـــــــيل متى يوفى   محبوب القلب وأسعـــــــده[٢٣]

فهو يعارض بها قصيدة الحصرى القيروانى :

ياليل الصـــب متى غـده   أقيام الســـــاعة موعـــــده

ونرى التراث جزءاً من إطاره الشعرى فى نظره إلى بعض النصوص فيما يسميها النقد الحديث (التناص) ، فهو فى قوله :

فلا أجد الكتاب بسعْيِ عمرى   وأرضى م الغنيمة بالإياب[٢٤]

ينظر إلى شعر امرئ القيس .

وينظر فى قوله :

هاجنى الوجد لأزمان خلت   كزمـــان الوصل بالأندلس[٢٥]

إلى الموشحة الأندلسية المعروفة التى يضمن الشطر الأول فى البيت السابق إذ يقول :

(جادك الغيث حبيبى إذ همى) . ونحس قدرة الشاعر على التصوير برغم دوران المضمون فى حيز واحد محدود ، بل نحس قدرته على الخروج من إطار الصور الكثيرة التى يزخر بها شعرنا الغزلى التراثى فمن ذلك قوله:

اذكرينى كلما العمــر تَصَرّم   وسنونى رحلت خلف السنين[٢٦]

وقوله :

ذكرتها من صميم القلب أذكرها　　　والحب تأبى يد الأزمان تسفيه(٢٧)

وقوله :

سقيتهُ من رحيق العمر أطيبه　　　وما سقانى سوى وهم أعانيـــــه

إلفين كنا ونبقى مثلما خُلقا　　　الشوك فى الورد يُشقينى ويحميه(٢٨)

ومن صوره ذات الدلالة الموحية قوله (الألم المعتق) (٢٩) فهو يجعل الألم كالخمر مكروهاً ومستعذباً فى آن واحد وكأنه نوع من الإدمان لطول الصحبة.

أما قوله :

ياشقيق الروح لا تبرح دمى　　　فعروقى تشتهى فيهـــا تقيم(٣٠)

فقد نظر فيه إلى بيت إبراهيم ناجى :

يا غراما كان منى فى دمى　　　كيف يمضى هارب من دمه

ومن صوره المعاصرة قوله :

مراقص الحب تدعونا لحلبتها　　　فلنمرح اليوم إن العرس قد حانا(٣١)

وتبرز ظواهر أسلوبية خاصة فى شعر البابطين منها إضافة الظرف للفعل كما فى قوله (عرفتك قبل يعرفنى الغرام) (٣٢)وتوظيف الجناس توظيفاً واسع المدى بأنواعه المختلفة يقول فى قصيدته (منازلكم بعينى) : (وفى عينيك نمت قرير عين) و (فكنت إليك أقرب من قريب) و (وحيى

طهره باقٍ لنبقى) ، وفى قصيدته (ويبقى الشوق) :

فعذبت العذاب دروب عمرى   وقد خر العذاب صريع مابى

ونجد الشاعر فى بعض قصائده يتلاعب بالجناس كما نجد فى قصيدته (شقيق الروح) إذ يقول :

كن ودودا مثلما وَدّ وكُن   كُنْ رحيما مثلما كان الرحيم

ويبلغ التلاعب بالجناس مداه فى قصيدة (ترانيم) ومنها قوله :

سوف نمضى لست أدرى أين ما   قَصْدنا بالسَّيْر حتى أينما

كل مازاد بقلبى أى نما   علمُه الخالد ذياك الدفين

ومنها :

إنه الموت الذى ننتظر   ثم يأتى بعدنا المُنتظر

ونرى الحكمة فيمن نظروا   إنه اليوم الذى فيه اليقين

ويهتم الشاعر أحياناً بالترصيع بإيجاد قواف داخلية كقوله : (وفى الزوايا بقايا من تنادمنا) [٣٣] ومن الظواهر الأسلوبية المميزة فى شعر البابطين ما أسميه عوداً على بدء فهو يبدأ القصيدة ببيت أو شطر ويختمها به ونرى ذلك فى قصيدته (منازلكم بعينى) فعجز البيت الأول فيها (أنا الصبُ المعنّى المستهامُ) وهو نفسه عجز البيت الأخير . ونجد الشئ نفسه فى قصيدة (ولّه) و (نكأت الجرح) و (الوفاء الخالد) و (نداء) و (رنين السحر) و (حلم

العمر) و (صمود) و (شيبّت ليلى) و (غابت أنجم) و (أطلال الحب) .
ولعل الذى يعين على وجود هذه الظاهرة بُعدُ الشاعر عن الإطالة فى قصائده، فهى تتميز بالوحدة العضوية التى تعبر عن موقف نفسى واحد يفرغ الشاعر فيه تجربته ، التى قد يصوغها الشاعر فى أسلوب قصصى أو تخلقها نزعة درامية تتمثل فى الحوار .

إن بوح البوادى ترنمية حب عفيف فى زمن تُفتقد فيه العفة. ولكنه لايبدو كأنه آت من كوكب آخر غير كوكبنا الأرضى ، لأنه موصول بماضينا العريق وتراثنا الشعرى الخالد . فهو نفحة عطرة للحس الإنسانى الرهيف.

هوامش البحث

(١) قصيدة الوفاء الخالد – بوح البوادى : ٣ .

(٢) قصيدة ويبقى الشوق – بوح البوادى : ١٧ .

(٣) قصيدة نكأت الجرح – بوح البوادى : ٢٣ .

(٤) نفسها .

(٥) قصيدة رياح الشوق – بوح البوادى : ٢٥ .

(٦) قصيدة يانخلتى – بوح البوادى : ١٠ .

(٧) قصيدة وعود – بوح البوادى : ٥٧ وتاريخ القصيدة ١٩٧٥ وميلاد الشاعر ١٩٣٦ .

(٨) قصيدة سأسلو – بوح البوادى : ٦٠ وتاريخ القصيدة ١٩٨١ .

(٩) قصيدة حب قديم – بوح البوادى : ٤١ .

(١٠) قصيدة منازلكم بعينى – بوح البوادى : ٩ .

(١١) قصيدة وفاء – بوح البوادى : ٣٧ .

(١٢) قصيدة رنين السحر – بوح البوادى : ٤٣ .

(١٣) قصيدة تباريح – بوح البوادى : ٥٥ .

(١٤) قصيدة رنين السحر – بوح البوادى : ٤٣ .

(١٥) قصيدة صمود – بوح البوادى : ٤٨ .

(١٦) قصيدة لم أنس – بوح البوادى : ٢٤.

(١٧) قصيدة ربيع الجمال – بوح البوادى .

(١٨) نفسها .

(١٩) قصيدة جمر الظنون – بوح البوادى : ٣٨ .

(٢٠) قصيدة حب قديم – بوح البوادى : ٤١ .

(٢١) قصيدة وفاء – بوح البوادى : ٧٣ .

(٢٢) نفسها.

(٢٣) قصيدة بدر الليل – بوح البوادى : ٥٩ .

(٢٤) قصيدة وسط الضباب – بوح البوادى : ٥٣.

(٢٥) قصيدة الجمال الناعس – بوح البوادى : ٣١ والشطر الآخر فى قصيدة (والهوى ثالثنا) .

(٢٦) قصيدة اذكرينى – بوح البوادى : ١٣ .

(٢٧) قصيدة حنين – بوح البوادى : ١٥.

(٢٨) نفسها : بوح البوادى : ١٦ .

(٢٩) قصيدة ويبقى الشوق – بوح البوادى : ١٧ .

(٣٠) قصيدة شقيق الروح – بوح البوادى : ١٨ .

(٣١) قصيدة لم أنس – بوح البوادى : ٢٤ .

(٣٢) قصيدة منازلكم بعينى – بوح البوادى : ٩ .

(٣٣) قصيدة حنين – بوح البوادى : ١٥ .

قضايا نقدية حول ديوان بوح البوادى

للشاعر عبد العزيز سعود البابطين

بقلم الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

(١)

الشعر إبداع الموهبة أو العبقرية التى يعجز الناقد عن تحليلها ، لأنها هبة من السماء ، وهذه النزعة الأفلاطونية أو الرومانتيكية تنظر إلى الشعر على أنه « إلهام » ، وأنه إبداع عبقرية الشاعر . ومهمة الناقد هى تفسير ذلك الشعر باعتباره تجربة حية للفرد فى بيئته الخاصة ..

ويقول الشاعر المهجرى إلياس فرحات فى تفسير ذلك فى قصيدته «منابع الشعر» :

يقولـــون عمّن أخذت القريض

وممن تعلـــمت نظـــم الدرر ؟

فقلت أخـــذت القـريض صبيا

من الطيـــر وهى تغنى الســحـر

وعن خطـــرات عليل النســيم

يمرّ فيشفـــى عليـــل البـــشر

وهذا التفسير الذى يجعل الشعر « إلهاماً » ووحياً من السماء كما يقول أفلاطون، لايذهب إليه أرسطو ؛ فليس الشعر عنده حلماً وإلهاماً عبقرياً، ولكنه أثر للصنعة والتعلّم والمعاناة .. الإلهام هو الذى يمدنا بالتجربة الشعرية . أما الصنعة فهى أثر للجهد والتثقيف والمعاودة ، ولعمل الفنان والشاعر الخارق للعادة ؛ وفى التفسير الرومانتيكى الأفلاطونى جاءت فكرة «شياطين الشعر» و « عبقر » ، ونظرية الطبع ، وأن خير الشعر ماكان مطبوعاً، ومن التفسير الأرسطى جاء قول الناقد العربى القديم أبى سعيد الأصمعى : « خير الشعر الحولىُّ المحكَّك » وانبنى على ذلك فكرة « عبيد الشعر » و « الحوليات » التى شهر بها زهير وغير ذلك من الآراء النقدية المتعارضة.

وعندما نقرأ ديوان « بوح البوادى » للشاعر الكبير الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين « مؤسس جائزة البابطين للشعر والنقد » تراه لايستبد به تفسير من هذين التفسيرين المتعارضين ، وإنما يحمل الشعر مع ذلك تفسيراً جديداً ؛ فليس هو إلهاماً ، وليس هو صنعة ، ولكنه عنده هو الذكرى ، أو قل : « حديث الذكريات » أو قل إنه نبع يفيض من وجدان الشاعر ليقص علينا ذكريات حياته .. يقول شاعرنا الكبير (الديوان ٢٣) :

تذكرني فى صباى وفجر حبى وأياماً خلت حُفرت بذاتى

يذكرني أولئك عشق عمرى وماعشقى غريب عن حياتى

أراه بلسماً ينتاب جرحا تبسّم عن جميل الذكريات

فالشعر عنده هو حكاية جديدة لذكريات قديمة عميقة فى نفس الشاعر، وهو تصوير لعواطفه ومشاعره الوجدانية ، ويقول شاعرنا كذلك (ديوانه ٢٨) :

وأجترّ الحديث حديث أمسى وقد حجب الزمان صداه عنى

ولم أسمع من الأطيار شدواً ترجّعـــه على أوتار فنـــى

ويقول كذلك (ص ٧٠ – الديوان) :

أصوغ الـــشعر لحـناً سرمدياً

تدغدغه المنى والشـوق أوحـى

ألست أنا الذى هزئت جـفونى

بليل السهد حين الليل أضحى

ألم تـــر أننى شيّبت ليـــلى

ليبدو شيبـه الوضّاح صبحا

(٢)

وشاعرنا المبدع مرتبط بفلسفة خاصة ، هى فلسفة الحب ، والحب هو الذى يؤجج الذكرى ، ويشعل فى الروح لظى الأشواق ، يقول فيما يقول (ص ٥٩ – الديوان) :

وفؤادى مــن ســــــــــــيرقُ له

وضــرام العشـــق يهدهـــــده

ونعـــــيم الحـــب يعــاوده

وكتـــاب الشـــوق يخــلده

ويقول أيضاً (ص ٦٠ - الديوان) :

رحمـــت فؤادى وهو يشكو توجـدا

على فـــنن الذكـــرى بحيرة طائر

وقصائده (أطلال الحب - قصة حب - زمان الحب - حب قديم) وغيرها حافلة بآلام الذكرى وعمق العاطفة .. فشاعرنا فى قصائد ديوانه الاثنتين والخمسين يصدر عن مشاعره الحرّى ، وعن أحـاسيسه وحـده ، وعن ضـرام الذكريات فى نفسه ، وكلها فى الهوى العذرى ، إلا قصيدة واحـدة «أحـزان - ص ٥٣» فـهـى فى رثاء صـديق صبـاه ، وهـى نابعة كذلك من ألـم الذكرى، وتحمل وجدان شاعر ، وعاطفة حب ، وذكرى صـداقة.

ويؤكد الشاعر فى شعره أن عذرية الحب، وطهارة العشق، هى الروح الملازمة له ، فقصائده هتاف بحب قيس لليلاه ، يقول فى قصيدة الديوان الأولى (ص ٧) :

إذ علمـــــتنى صنوف الحبَّ طاهرة

كغيـــمة الصبح تسمو متعة الجسـد

ويقول من قصيدته « حنين » ص ١٥ :

يوم اللقـــــاء الذى قد كان يرقبه

عشاق (عذرة) فى الماضـــى ونحييه

وفى الزوايا بقــــايا من تنادمـــنا

وفى الدروب لحـــون مـــن أغانيه

ويقول من قصيدته « رنين السحر » :

بعفة عـــذرىَّ وطهر بثـــينة وإخلاص قيس ذائع الشعر والحب

قضينا سنين الحب نقطف زهرهُ كنحـل ورود الروض بالورد تختبي

ويقول كذلك من قصيدته « وفاء » ص ٣٧ :

وسارت قوافى الشعـر خلف ركابنا

لتحـدو بنا حتى عشـــقنا القوافيا

وكان قريـــن الركــب عمرو وعزة

وقيس وليلى ينـــشدون الأغـــانيا

وأحيلك إلى قصائد عملاقة فى الديوان ، من مثل : يانخلتى – لم أنس – ويبقى الشوق – مناجاة – قصة حب – وغيرها ، حيث تجد الشاعر وشعره الملتهب حرارة ، والمتدفق شعوراً وعاطفة ، والمشبوب لظى ولهيباً فى إثبات للشخصية ، وتحقيق للذات ، وتوثيق للوجود .. واقرأ له مثلاً أبياته :

لم يبـــق بالعمــــر إلا ماتجــود به

لـــيلات وصـــــل ولقـــيانا ونجوانا

وأغنـــيات بسمـــع الحب ننـشدها

يغصّ واشٍ بها ، أو عـــاذل خانـــا

مراقص الحـــب تدعـــونا لحلبتـــها

فلنمـــرح اليوم إن العـرس قد حانـــا

وقصيدته « قصة حب » فريدة فى الشعر الحديث ، وفيها تتضح شخصية الشاعر وعاطفته وموهبته وروحه القصصية العالية ... وكذلك قصيدته « رحلة على أنغام الناى » التى تعدّ من القصائد اليتيمة فى شعرنا المعاصر حقاً ؛ ففيها روح الشاعر .. ووهج الشاعرية .. وحرارة الوجدان .. وضرام العاطفة .

(٣)

وأندلسية الروح فى الديوان واضحة ، حيث يبدو تأثر الشاعر بالشعر الأندلسى ، وبابن زيدون خاصة ، وبعاطفة الشاعر عند شعراء الموشحات مما نجده فى مثل قصائده « اذكرينى – الجمال الناعس ، وهى التى يقول فى مطلعها :

هاجـــنى الوجـــد لأزمان خلت

كزمان الوصـــــل بالأندلـــــسِ

وفى قصيدته « والهوى ثالثنا » كذلك والتى بدأها بقوله :

جـــادك الغيـــث حبيـبى إذ همى

وسقى الغـيث مـــــراعى المقـــل

ممّا يذكرنا بموشحة ابن الخطيب الأندلسى :

جادك الغـــــيث إذا الغيث همـــى

يازمـــــان الوصــــل بالأندلـسِ

وقصيدته « وعود » التى يقول فيها :

لا تـــعذلونى فإن العـــذل يقتلنى

يامن قسوتم على روحٍ قضى سأما

شبيهة بقصيدة ابن زريق البغدادى الذى وفد على الأندلس ثم غادرها ومات فى الطريق وهو يردد قصيدة نظمها وقال فى مطلعها :

لا تعــــــذليه فإن العــذل يولعــه

قد قلت حقاً ولكن ليس يســـمـعه

وقصيدته « بدر الليل » :

يابــــدر اللــــيل متى يوفــــى

محبـــــوب القلــب وأسعـــده

وهى معارضة لقصيدة الحصرى الشهيرة التى تحسب مع القصائد الأندلسية فى نسق واحد ، ومطلعها :

ياللـــــــيل الصبّ متى غـــده

أقـــيام الـــساعة موعــــده

وقد عارضها البارودى وأمير الشعراء أحمد شوقى وأكثر من ستين شاعراً فى القديم والحديث ، ومنهم بعض شعراء المهجر الجنوبى .

(٤)

وموسيقى الشاعر الهامسة الحلوة واضحة فى شعره .. الذى يستحيل إلى ألحان وأنغام ، وكأنما كان كما قيل فى البحترى شاعرنا العباسى الكبير : « أراد أن يشعر فغنّى » ، ونلمس ذلك جلياً فى قصائده : اذكرينى

– حنين – ترانيم – لم أنس – نداء – القلب الظامى – قصة حب – رحلة على أنغام الناى – وغيرها ... والموسيقى هى جوهر الشعر وأساسه ، فلا شعر بدون موسيقى . وقد نظم الشاعر قصائده من سبعة بحور شعرية ، هى:

١ – الوافر ، وفى الديوان منه خمس عشرة قصيدة ، وفيه قصيدة واحدة من مشطور الوافر .

٢ – الرمل ، وفى الديوان منه أربع عشرة قصيدة ، ومن مجزوء الرمل قصيدتان.

٣ – البسيط ، وفى الديوان منه سبع قصائد .

٤ – الطويل ، وفى الديوان منه خمس .

٥ – الكامل ، وفى الديوان منه ثلاث قصائد .

٦ – الخفيف ، وفى الديوان منه قصيدتان، ومن مجزوء الخفيف قصيدة واحدة .

٧ – المتدارك ، وفى الديوان منه قصيدتان .

والرمل الوافر والبسيط من القصائد الرنانة ذات الموسيقى الإنسيابية ، الجميلة المؤثرة الحلوة النبرة والنغم .

(٥)

وعن قضية الشكل فى الديوان تتضح لنا روح العمودية فى قصائده بجلاء ، وعمودية القصيدة ميراث من روح العروبة والصحراء والموسيقى، وكل قصائد الديوان تلتزم الشكل العمودى الملتزم بالوزن الشعرى ، وبالقافية كذلك ، وعمودية القصيدة تؤكدها الروح الكلاسيكية المتصلة بمنابع الشعر الأولى، والملتزمة بكل أصول القصيدة الشعرية كما كان ينظم الشعراء فى القديم.

والقافية عنده قد تأتى موحدة فى جميع أبيات القصيدة ، أو تأتى على نظام المقطوعات فى القصيدة ، فينظم كل مقطوعة ولو كانت بيتين أو ثلاثة أبيات بقافية موحدة على أن تكون المقطوعات كلها فى القصيدة من بحر واحد اعتزازاً بموسيقى الوزن والقافية التى هى ركن أساسى من أركان الشعر العربى.

وقد تأتى القصيدة عنده على نظام الموشحات الأندلسية الجميلة المعروفة فى شعرنا العربى، وكل ذلك يدل على أصالة الشعر فى الديوان ، وعلى أصالة الشاعر الذى عاش بين المدينة والصحراء يستمد من كل منهما معانيه وصوره وخيالاته وتجاربه الشعرية الرفيعة، كما يستمد منهما كذلك موسيقاه .

أما قضية المضمون فى الديوان فهى قضية المعانى الموروثة والمتجددة بتجدد الحياة والثقافة والحضارة والفكر ، وفى معانى الشاعر روح العمق

الفلسفى والمنطق الشعرى المتصل بفكر الشاعر ومعارفه ، ولنقرأ للشاعر قوله (ص ٤٩) :

يســــائلنى الفــؤاد وقـــد تردّى
أنعقـــدُ والفـــراق الصعب صلحا
فقـــلت لــــه ، وفى حلــقى مرار
بحسّ مرهــــف ، والصــوت بُحّا
ظننتـــك يافــــؤاد مَعين صـــبرى
وأسمــــع منك رغــم البين مدحــا
ألم تر أن صــبرك عاش دهــــراً
وعشقــك قد بنى للحـــب صرحا
فليتك يافـــؤاد صـــبرت صـــبري
لتبقـــى فى فــــم الأيام فوحـــا

* * *

وحين يقول شاعرنا الكبير (ص ٢٣) :

نكأت الجــــرح يازمـــنى بوصل
كومض البـــرق أســـرع فى فلاةِ

تجده يبلغ غاية الدقة فى أداء المعنى وفى رسم الصورة ، فليس أسرع من البرق إذا ما لمع فى صحراء وميضاً واختفاءً .. ومن أجمل مارسمه الشاعر من صور قوله (ص ٣٠) :

أبحث اليوم وأمســـى وغداً   عن حبيبٍ تاه عن عينـى وغابا

أخذ اللب وروحي واختفى   هل يعيد الآن روحى واللبـــابا

ويقول فى لوعة وأسى (ص ٣٤) :

لو ان الطـــير يدرى كـــل مابـــى

علـى جمـــر الأسى ماكـــان غرّد

ومن أجمل مايقوله شاعر :

وراعنى أن أعـــوامى وقد مُزجـــت

بالمرّ والبـــين تمضـــى بالتناهيد

* * *

أما أغراض الشاعر الشعرية ، فهى تدور حول الوصل والفراق وألم النجوى ، ومرارة الهجر ، وأحزان الذكرى ، وأشجان الوجد ، وضرام الحب والشوق والهيام .

لقدأحب الشاعر الشعر منذ صباه المبكر ، وعاش مع دواوين الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين ، ولقد واصلت التجربة الشعرية عند شاعرنا

عطاءها بما يقرب من نصف قرن ، استطاعت أن تبلور مجموعة من المنطلقات والصيغ الشعرية المتنوعة للتعامل مع الوجدان فى آفاقه العالية بدءاً من التجسيد الحىّ المتوهج ، الذى ينحو إلى الاهتمام بالتفاصيل ، ومروراً بالبنية الدرامية التى تستخدم التراكم السردى للجزئيات لتفجره بدلالات شعرية عامة، ووصولاً إلى أشكال متعددة من التجريد الحسى الشعرى الذى يفتح منافذ التجربة على الآفاق الإنسانية الرحبة ، ويمكنها – عبر علاقات التجاور الجديدة بين المفردات والصور ، أو من خلال موجة الإحالات الثقافية الكثيفة – من التعامل مع العناصر الجوهرية فى التجربة الإنسانية ، مع الاهتمام بصيغ التجريد الشعرى المتعددة لإفادة التناسب بين العناصر الدرامية من ناحية ، والعناصر التجريدية فيها من ناحية أخرى.

(٦)

لقد كتب الشاعر محاولاته الأولى قبل الخامسة عشرة من عمره، وتتراوح قصائد الديوان مابين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٩٥ ، وهى تمثل إبداع الشاعر فى أربعين عاماً من سنى حياته الحافلة بالآلام والآمال . ولا ريب أن القصائد الأولى التى نظمها الشاعر كانت تنحو نحو التقليد والتأثر والإتباع الكلاسيكى ، أما شعره بعد ذلك فقد سار فى طريق التجويد والتجديد والتطور بخطى واسعة حتى صار اليوم فى عداد كبار الشعراء فى عالمنا العربى، أصالة شاعرية ، وإبداع مواهب عبقرية ، واستقلالاً فى الصياغة والأداء الموسيقى ، والتجارب الشعرية ، وعمقاً فى المعانى ، ودقة فى التصوير، وجموحاً فى الخيال.

وشاعرنا الكبير عبد العزيز سعود البابطين يُعَدّ اليوم في الطليعة من بين شعراء العربية المعاصرين ، وشعره ممزوج بالروح الكلاسيكي وبالتجديد الوجداني الذاتي الرومانسي ، وكما يقول في تقديمه لديوانه : « تلك مشاعري وأحاسيسي وحدي قلتها أو الكثير منها في صحارى وبواد عربية وأجنبية مختلفة ، ولاعتزازي السامي بالشعر ، ولمحبتي المتدفقة للشعراء ، أصدرت هذه المجموعة التي احتفظت بها على مر السنين »...

وأؤكد هنا أن المؤثرات التراثية كثيرة في شعر الشاعر ، ومنها معارضاته للشعراء من أمثال ابن زيدون والحصري وابن زريق البغدادي وابن سهل الأندلسي ، لم يلغ ذلك كله شخصيته المستقلة في الشعر ، وروحه المتجددة، وطبعه الأصيل القوي في نظم القصيد . وكانت هذه القصائد إعلاماً قوياً بشاعر كبير يصعد إلى القمة ، ويجلس في الذروة مع أنداده الرواد من الشعراء ، ويمشي في قافلة الركب السائر نحو كل القيم الرفيعة في الحياة ، والهاتف بكل معاني العزة والقوة والصمود ، والهادر بنداء الحب والحرية وبصوت العروبة والعرب في كل مكان .

إن رسالة الشعر ألزم ماتكون اليوم في مجتمع حضارة نهايات القرن العشرين وبدايات مطالع القرن الواحد والعشرين .

إن شعر الحب من أنبل مايكتبه شاعر في تهذيب عواطف الجماهير وفي الإرتفاع بمستواهم الأخلاقي والروحي والاجتماعي ، وهو يصعد

بالشباب إلى حب الأسرة ، وحبّ المجتمع وحب الوطن ، وحبّ الإنسانية كلها، وهو كذلك يقود إلى الاعتزاز بالروح العربية ، وبكل مقوماتها الأصيلة من نبلٍ ونجدة وشجاعة وأريحية وإيثار ، والعواطف يُعدى بعضها البعض الآخر ، وكذلك شعر الغزل يربى الذوق ، وينمى فى الإنسان قوة الشعور بالجمال ، ويدفعه إلى الطموح والعمل والبناء ، كما أنه يحبب الناشئين الشداة فى العربية ، ويطبع لسانهم على بلاغة القول ، وجمال الأسلوب، وحسن الصياغة ، وروعة النظم ، ومن أجل ذلك كله كان شعر الغزل أسمى وأكثر وأهم فنون الشعر العربى .

إن شاعرنا العربى الكبير عبد العزيز سعود البابطين يقدّم للشباب بديوانه الرائع « بوح البوادى » ملحمة رائعة من الشعور بالشخصية، وبناء الذات، والتطلع دائماً إلى المثل الأعلى ، وإلى حبّ البطولة ، وتمجيد الفضائل، والسعى إلى خير الأمة وسعادة البشرية .

وشعرنا العربى حافل بكل المثل الرفيعة والقيم النبيلة وبمختلف صور الفضائل الإنسانية السامية الداعية إلى الطموح والنبل واكتمال الشخصية. ويروى توفيق الحكيم عن الناقد الفرنسى « جول ليمتر » قوله : « إن الشعر العربى فى مجال الإحساس والشعور أنقى شعر عرفه الإنسان ، فالصدق والأمانة والشهامة والصداقة واحترام المرأة والجود وقرى الضيف وعظمة الفضل والبطولة والفخر .. كل ذلك بعض مايتغنى به هذا الشعر ، ويعبر عنه أصدق تعبير ؛ وهذا مايسمو به فوق شعر الأمم الأخرى فحولة ونبلاً » .

ونحن مع شاعرنا الكبير عبد العزيز سعود البابطين فى إجلال الشعر، والاعتزاز بمكانته فى الفكر والحياة والوجدان ، وبمكانة الشاعر الكبير فى المجتمع وبين جماهير الشعوب .

بناء الأسلوب الشعرى

فى ديوان « بوح البوادى »

للشاعر عبد العزيز البابطين

دراسة نقدية بقلم الدكتور / فوزى عيسى

العنوان هو المفتاح الذهبىّ أو الإشارة الأولى التى يرسلها المبدع إلى القارئ والواقع أنّ عنوان الديوان بتشكيله المجازىّ ودلالته الموحية ينقل القارئ مباشرة إلى عالم البادية أو الصحراء الرحب بامتداده واتساعه وأجوائه المثيرة. ويتحقق « التراسل » أو « التوحُّد » بين « الشاعر » و « البادية » منذ البداية. فـ « البوح » دالة مشتركة بين الطرفين (الشاعر / البادية) فكلاهما مسكونٌ بالغموض والأسرار ، وكلاهما يستثير الرغبة فى «الكشف» و «الإفضاء » ولذلك فالشاعر يتلبس بالبادية ويتسربل بردائها ويتماهى معها، فيذوب « صوته » المفرد فى صوتها « اللانهائى» لتكتسب تجربته أو «بوحه» شمولية وعمقاً وثراءً .

وباستثناء قصيدة واحدة هى قصيدة (أحزان) التى جاءت مرثية فى أحد أصدقاء الشاعر وكُتبت فى زمن متقدم (١٩٥٥م) ، فإن الديوان يقدم تجربة حبٍّ عذرى تحمل معانى الطهر والوفاء والصدق والإخلاص وهى القيم التى تُرضعها البادية أبناءها ، فيتوارثونها جيلاً بعد جيل. ومن ثمّ فإن

تجربة الشاعر عبد العزيز البابطين هي امتداد لتجارب شعراء الهوى العذريّ في بادية نجد بدءاً من جميل بثينة وكُثيِّر عزّة والمجنون وعروة بن حزام ومروراً بالعباس بن الأحنف وصولاً إلى شعراء منطقة الحريق بنجد كأميرها الغزلي محسن الهزاني والشاعر محمد بن لعبون خال الشاعر وأمير الشعر النبطي، فالتجربة واحدة بملامحها وقسماتها وأبعادها مهما اختلفت الأزمنة لأنهم ينهلون جميعاً من بئر واحدة [1] :

إنّ مابي من تباريح الهـــوى   يُلهم الخنـــــساء آيـــات الحَزَنْ

ونفاثات قصـــيدٍ قد حكـــى   حســـرة الشـــوق وقوفاً بالدمن

وجمــــيلاً وهو صادٍ يكتوى   أشعـــــلت أشـــواقه نار المحـــن

عذرة بالطهـــر فى عُشّاقها   تزدهى بالفخر فى طـــول الزمن

بجمـــيل وبثـــين والهوى   وبشـــعرٍ يتغـــــنى بالأغـــــنّ

أين قيـــس وجنـــون مسّه   ومحــــبٌ تبـــع المجنـــون جُنّ

ولهيب فى حريق جمــــره   أحرق المحسن فى عشق الحـــسن [2]

وأنين الخال قد أوجعـــــه   بُعد ميّ بين (طلحة) و (الحسن) [3]

لو جمعناها أحاسيساً فما   عـــدلت حـــساً بروحى مُرتهـــن

---

(١) قصيدة (تباريح) : ٥٥.

(٢) يشير الشاعر إلى منطقة الحريق بنجد وأميرها الشاعر الغزلي محسن الهزاني.

(٣) الخال هو خال الشاعر محمد بن لعبون وهو من شعراء الغزل ، ويشير كذلك إلى طلحة الصحابي والحسن البصري الزاهد.

إنَّ الهوى العذريّ بكل ملامحه وصوره ومفرداته هو الجوّ الذى يتنفّس فيه الشاعر ؛ وعشاق عذرة بقيمهم ومثلهم هم المثل أو النموذج الذى يحتذيه ويصل به تجاربه وحياته :

يوم اللقاء الذى قد كان يرقبه   عُشّاق عذرة فى الماضى ونحييهِ

وتتكئ التجربة الفنية على ثنائية الحضور والغياب ، فالذات ماثلة بقوة عبر مستويات اللغة المختلفة حيث تبدو متشبثة بالذكريات الغاربة ، ظامئة إلى اللقاء والوصال ، محلقة فى أجواء وعوالم رومانسية شفافة مرادفة لعالم الصحراء بنقائه ورحابته واتساعه ، بينما تغيب الحبيبة عن عالم الواقع وإن كانت صورتها تهيمن بقوة على وجدان الشاعر ومخيلته سواء عبر فكرة «الطيف» الحاضر أبداً أو عبر « إطلالتها » من الماضى أو عالم الذكرى . وتتجلى تلك الثنائية فى صور ودوال أخرى ؛ فوفاء الشاعر يقابله تجاهل الحبيبة ، ورغبته فى الوصال تتحطم على صخرة التمنُّع والهجر ، والزمن الداخلى للذات ينهزم أمام الزمن الخارجى ، ولا تملك الذات إلا أن تلوذ بزمنها المنصرم أو تعاين واقعها فتشكو تباريح الهوى وعذابات الهجر وتسعى إلى تأكيد حضورها عند الطرف الآخر :

اذكرينى كلمـــا حنّ الفؤاد   وبدت بالأفق ذكراى تطوفْ

وإذا ما أتعـــب القلبَ البعاد   وتوارى قمرى عند الخسوفْ

ولإدراك تلك الغاية أى « الإلحاح » على حضور الذات فى وجدان الحبيبة الغائبة فإن بنية تلك القصيدة كلها التى جاءت على نمط « المسمط

المربّع » المقارب للبناء التوشيحي - تتشكل من تلك الدالة الحضورية «اذكريني» حيث يُستهل ويُختتم بها كل مقطع من المقاطع الأربعة عشر وبذلك يتحول النصّ إلى بناء « دائرى » يدور المعنى فى فضائه .

وتتعدد الدوال التى تؤكد حضور الحبيبة أو تجذُّرها فى وجدان الشاعر، ولكنها تتخفى فى الواقع وراء أقنعة ورموز تراثية ، فهى تارة « سلمى » وتارة أخرى « ليلى » ، وثالثة « دعد » ، فهن جميعاً « نماذج » للحب العذرى فى طهارته ونقائه وهو باستحضاره يضعه إزاء عالم الحب الراهن بصورته المادية، فالحبُّ فى نظره رهن بالقيم الأخلاقية النبيلة والمثل العليا :

عشقتُ الحبّ فى أخلاق سلمى   وسلمى حبها أزكى الخصال

والملاحظ أن حضور الحبيبة المعنوى أو الروحى أقوى من حضورها الجسدى ؛ فهى تغيب - جسدياً - فى معظم قصائد الديوان ، ولا تحضر بهذا المعنى إلا فى موضعين حيث تمثل فى أولهما من خلال التعبير بالإشارة :

لازلت أذكر يوماً يا مودعتى   أشرتِ لى فيه أن نبقى يداً بيدِ

ويتجلى الحضور الجسدى فى الموضع الثانى بقوة فى قصيدة (ربيع الجمال) حيث يلفتنا هذا التدرج الحسى المفرط فى تتبع أوصاف الحبيبة وكأنما استحالت عينا الشاعر إلى « كاميرا » تسلّط عدساتها بقوة وتنتقل بالتصوير البطىء ، وبشكل متدرّج عند كل جزئية أو موطن من مواطن الفتنة مكتفية بـ « المشاكلة » دون النفاذ إلى الجوهر أو الماوراء :

جمـــال القدّ أهيف من غصونٍ إذا ماســـت بغنجٍ أو دلالِ

لها شعرٌ كعمـــق الليـــل داجٍ تناوشـــنى السُّها فيه بدالِ

وصـــبحٌ فى جبـــين الوجه بادٍ ربيعاً مشـرقاً عذب الجمالِ

وهـدْبٌ واللحاظُ غـــزتْ فؤاداً منيع الحصن فى أعتى نِزال

وخـــدٌ خلتـــهُ ورداً تُـــباهِي به كُلّ الورود زها بخـــال

وجيـــدٌ أتلعٌ يسمـــو بهـاءً يَغَارُ لحســـنه جيدُ الغـزال

وصدرٌ نافـــر النهـــدين عاتٍ برمحـــيه يهيؤ للقتـــال

وخـــــصرٌ دقٌ لـــو نالته أيدٍ تقصّفَ واهناً صعب المنال

وطـــولٌ يستثير وقد تعـــالى بخطوته جـــديراً بالتعالى

يصوغُ الحسنُ منها كلُّ جـــزءٍ ليُذْهِلَ حسنُهُ سامى الخيالِ

وهذه الأوصاف لا تجسِّد - فى تقديرنا - حالة خاصة ، ولاتنسحب على امرأة بعينها أو تعاين واقعاً ملموساً بقدر ماتصوّر المثل الأعلى للجمال كما يراه الشاعر حيث لا تختلف صورته عن المقاييس الجمالية المأثورة ؛ فالقدّ كالغصن ، والشعر كالليل ، والوجه كالصبح ، والهدب أو الألحاظ كالسهام التى تخترق الحصون المنيعة ، والخد كالورد ، والأسنان كاللآلئ ، والجيد كجيد الغزال ، والنهدان كرمحين يتهيآن للنزال ، والخصر اللافت بدقته ونحوله ... إنها الصورة الموروثة لنموذج الجمال الحسىّ كما صورّه

الشاعر القديم مكتفياً بالرصد الخارجي .

وتلعب صيغ الاستفهام والأمر والنداء دوراً مؤثراً فى تأكيد حضور الذات وتجسيد معاناتها وعذاباتها لإحساسها بـ « الفقد » أو غياب الحبيبة ؛ وعلى سبيل المثال فإن الاستقصاء أو الإحصاء الأسلوبى يشير إلى استئثار الذات بكل أنماط صيغ السؤال عدا موضعاً واحداً يشهد إطلالة للحبيبة فى قصيدة « لم أنس » تقف فيه متساءلة عن أحوال العاشق : (ص ٢٤)

تقول شوقاً فهل لازلت تذكرنا أم هل نسيت تناجينا وذكرانا

وهل أبادتْ سنون العمر حبكم وأطفئت شمعة في درب مسرانا

وبات قلبك من قلبى بمظلمة أم قـــد تجمّد إحساسٌ لتنسانا

ثم تغيب الحبيبة أو تختفى بشخصها لتفسح المجال للعاشق ليؤكد حضورها القوىّ فى مخيلته .

وتتنوع أنماط بنية السؤال لتملأ فضاءات التجربة ، فبعضها يحقق الحضور المشترك بين الطرفين من خلال اشتباك الدوال خاصة الضمائر ويشير السؤال مدى التكافؤ فى العلاقة ، أو يشكّك فى استمراريتها وديمومتها : (ص٩)

ولا أدرى حبيـــبى إن سلوتم أم الذكرى يغذيها الضـــرام

أم الأطيـــافُ أزعجها صراع وطيـــفى فى حناياكِ يُسام

وفى حضور الحبيبة فى مخيلة الشاعر يثور السؤال المباشر مجسداً شكوك الشاعر فى مصداقية دور الطرف الآخر فى بقاء الوداد : (ص ٩)

فهل بقى الودادُ وأنتِ مثـــلى أنا الصـــبُّ المعنّى المستهامُ

وقد يأتى السؤال ليؤكد مصداقية الشاعر فى أداء دور العاشق الوفى الحافظ للعهد المستسلم لواقعه فى مقابل هيمنة الطرف الآخر الذى تُطلّ صورته بقوّة من خلال تصدُّر وسيطرة دواله فيكون السؤال تعبيراً عن عدم التكافؤ بين طرفى المعادلة : (ص ١٨)

أنت تحيا فى فؤادى والهــوى فيه أحيا كيف أسلو أو ألوم ؟

وكثيراً مايجسد السؤال الرغبة فى استدعاء صورة الحبيبة والوقوف على حالها فى ظل غيابها الجسدى ، وتتأكد « اللهفة » من الجمع بين أكثر من صيغة استفهام فى المقام الواحد : (ص ٧٤)

كيف أمسيت ؟ بماذا تحلمين ؟ ألحب الأمس مازال الحنينْ ؟

أم تراهـــــا ذكـــرياتٍ عصفت فبــــدا قلبك تذروه السنون ؟

وتتكشّف حاجة الذات الظامئة إلى « الآخر » ، المحاصرة بـ « الفقد » و « الوحدة » من خلال هيمنة صيغة السؤال (كيف أمسيت؟) على القصيدة كلها فتكرّس واقع الغياب الفعلى للمعشوق من جهة، وتشخّص أزمة الذات الناجمة عن هذا الغياب من جهة أخرى ؛ وفى قصر تلك الصيغة على لحظة زمنية بعينها (المساء = الليل) مايوحى بمعاناة الذات؛

فهى ما إن تخلو بنفسها فى ذلك الوقت حتى تستحضر صورة الحبيب الغائب فتهيج الذكرى ويعربد الأسى ويتضاعف الإحساس بـ « الفقد » الذى يظهر كذلك فى بعض تجلياته فى تراكم صيغ الاستفهام متجلياً فى إحدى دواله الموحية : (ص ٦٨)

أين منّى عاشـــقٌ هدّمــهُ بُعد نأىٍ وبصـــمتٍ لا يبينْ

أين منى همســـاتٌ خلتُها خُلّدتْ كالشّعر فى طىّ القرون

أين منى نظــراتٌ أَشْعَلَتْ مهجتى بالوجد أو لذع الجنون

أمّا دوال القسـم فتتبـاين مواقـعها بتباين مواقف العشق وأحـواله ؛ ففى مقـام تأكيد الذات على ديمومة مثول المعشوق فى وجدانه وتشبثه بالزمن « المنصـرم » بديلاً عن الزمـن الحاضر تأتى صيغة القسم بشكل مباشر : (ص٤١)

يمين الله أنى لســـتُ أنسى خليـــلاً ما نأى عنه الخليلُ

فإذا كان المقام يتعلق بموقف الشاعر من الحبّ كقيمة أبدية خالدة أو كمعادل للحياة فإن صيغ القسم ودواله تحتشد لتأكيد ذلك الموقف : (ص١٧)

وأقسمُ بالليالى العشر عـــشراً وبالفجـــرِ المقدّسِ والكتابِ

سأبقى والهوى صنوين حـــتى يموتَ الحبُّ أو يدنـو مآبى

وتكشف صيغ الأمر عن إحساس الذات بـ « الفقد » ورغبتها فى أن تظل ماثلة فى وجدان « الآخر » وقد تلعب الطبيعة دوراً موازياً فتتلبس تجربة الشاعر بتجربتها : (ص ١١)

اذكرينى كلما الطـــير شدا   نائحاً يبكـــى حبيباً فقـده

وإذا ما لامـــس الوردَ الندى   فجـر يومٍ ناعسٍ يبغى غـــده

وتوحى صيغ الأمر فى موضع آخر بأجواء أخرى حيث ترصد موقفاً «مغايراً » أو « مقابلاً » يشهد حضور العاشقين ، ويكشف عن الرغبة الجامحة فى ممارسة طقوس العشق : (ص ٢٤)

فلنغتنم ليلنا ، فالصبح فاضحنا   ولننس بعداً فإن البعد ينســانا

ولنهنأ الآن فالدنيا بنا رقصتْ   مـذ التقينا ونجم الحب يرعانا

غير أن الإحصاء الأسلوبى أو قياس معدل الكثافة الأسلوبية يؤكد أن الجوَّ النفسى السائد فى الديوان كله هو جو « الفقد » ، وأن هذا الجو المفارق – فى المثال السابق – لايعدو أن يكون « حلماً » أو استحضاراً لموقف زمنى أو مشهد « ماضوى » .

وكثيراً ما يقترن الأمر بالنداء تكريساً للواقع أو رغبة فى تجاوزه: (ص ٢٥)

يازمـــان الوصـــــل عُدْ لى   وأعد خفـــقاً بجــــنبى

ودع الزهرة تحيـــــا لأرى البـــذرة تنـــبى
وانثر الحســـن ربيعـــاً يزدهى الكونّ بخصــــبِ

وقد يأتى اقتران النداء بالأمر تعبيراً عن موقف السخط أو الغضب أو اليأس من تجاوز الواقع ، فتتخلى « الذات » عن هدوئها وتتلبسها حالة من الإحباط ، وتتملكها نزعة « انتقامية » أو رغبة « تدميرية » تشمل العالم كله: (ص ٢٥)

يارِيـــاح الشـــوق هبّى مزّقــــى أشـــرع حُبّى
أغـــــرقى الدنيـــا بنأىٍ مثلمــــا أغرقــت قلـبى
أبرقى ياســـحب هجرى أرعــــدى رعبـــاً برعب
أمطـــرى ســمّاً وشوكاً وازرعـى الأرض بجـــدبِ
وامنعـــى الزهـــرة تنمو أو أرى البـــذرة تـــربى
فلقــــد ملّ فـــؤادى هجــــر أحبابـــى وصحـبى

وتعدّ ظاهرة « النداء » أكثر الظواهر اللغوية شيوعاً فى الديوان، وتزيد نسبة ترددها عن الصيغ الأخرى بشكل ملحوظ ، وهـو أمر طبيعى يتسق مع مناخ الفقـد والغـياب السـائد فى الديوان ، وكـمـا اقتـرن النداء بالأمر أو الطلب، يقترن كذلك بالسؤال والاستفهام ؛ وهو لايكتفـى بتوجيه النداء إلى الحبيب الراحـل بل يشرك معه شـهود تجربته ، خاصـة مايتصل بالزمن ودوالـه : (ص ٣٩)

يا أنجم الليل هل شاهدتما دنفاً   مثلى طواه الأسى طيّا كمسحور

يا أنجم الليل هل نادمتما قمراً   مثل الحبيب الذى يهوى تعابيرى

وتتعدد مدلولات النداء وتتسع دائرته فتشمل البشر كالندماء ص ٣١، والأصدقاء ص ٣٠ ، وخليلى الشاعر ص ٣٧ ، ويستمد بعضها من الطبيعة كالطير ص ٣٤ ، والوميض ص ٦٤ ، والريح ص ٢٠ ، ومربع الحب ص ٣٦، أو من الزمن ص ٢٠ ، وسنين العمر ص ٦٧ ، أو أنجم الليل ص ٣٩، أو ليالى الشوق ص ٢٩.

وقد يعمد إلى وسائل أخرى تضاعف الإحساس بغياب « الآخر » كأن يمارس بنفسه « فعل « النداء فيردد الفضاء أصداء ندائه : (ص٤٨)

أنادى بأعلى الصوت ضاقت جوانحى   بقلب بـراه الشوق من غير ماذنبِ

ويقترب الشاعر من البناء التوشيحى فى قصيدة « ترانيم » ويرتكز التكوين البديعى فيها على خاصية « التجنيس » الذى يتحقق باطّراد فى الأشطر الثلاثة الأولى بينما ينفرد الشطر الرابع برویّ موحّد يطّرد كذلك فى سائر القصيدة ملتزماً الياء والنون الساكنتين فى آخره ؛ ففى المقطع الأول يتلاعب الشاعر بلفظة (التى) حيث تأتى اسماً موصولاً وفعلاً ماضياً واسماً : (ص ٢٠)

وغداً تأكلـنا الأرضُ التى   قد غلبـناها سنيناً ولّتِ

بعد أن تُكْسَرَ منّى آلتـى   فيضيع اللحنُ بالعمر الحزينْ

ويلتزم الشاعر بهذا النهج البديعي الذى يعكس مهارته اللغوية فى القصيدة كلها وإن كان يعوزه إتمام التجنيس فى أحد المواضع فيعمد إلى لفظة عامية : (ص ٢١)

كم وكم باع قلوباً واشترى　　غيرنا أخرى وباهى إيش ترى

قلتُ أستنكر هذا : عِشْ ترى　　عجباً فالحبُّ يهوى المخلصين

ويعتمد الشاعر فى أبنيته على عنصر « التضاد » الذى يؤدى دوراً نشطاً كمكوّن بديعى فى ترسيخ « المفارقة » وتأكيد ثنائية (الحضور - الغياب) : ص ٤٥

أناجى طيف محبوبى وحيناً　　يغيب فلا أنال به المرادا

وأركض خلف طيف الطيف ركضاً　　فأُخفق لا أرى إلا سوادا

فأُغضى كالذليل وكنت حُرّاً　　أبىَّ النّفسِ مقداماً جوادا

فكيف أضيع فى زمن بخيلٍ　　بإسعاد الأحبّة إذ تمادى

أحاول سلوة بعد التّنائى　　وأدعو للوصال هوىً مُعَادا

ولكنّى سأبقى طول عمرى　　أنادى للهوى من لا يُنادى

ومن خلال اتكاء الشاعر على عنصر « التضاد » تتحقق « الثنائية » أو « المفارقة » ؛ فالطيف يَمْثُلُ حيناً لكنه لايلبث أن يغيب ، والذات تسعى ولكنها تواجه « الإخفاق » والإحباط ، فتخضع للذلّ بعد الحرية ، وبينما

يـخل الزمن بإسعـاده يتـمـادى فى غيّه ، فيـصبح « التنائى » بديلاً عن «الوصال» ، وتبلغ المفارقة مداها حين ينادى الشاعر فلا يستجيب أحد لندائه ليكون « الفراغ » أو « الصدى » هو المشهد الختامى للقصيدة .

وتهيـمن البادية أو الصحراء عـموماً بمفرداتها ودوالها على خيال الشاعر لأنها الأم الرءوم التى ولد فى أحضانها ورضع قيمها ومثلها ، وترعرع فى جنباتها، فهو يعى كل تفاصيلها ومعالمها مما أتاح له استقصاء صوره ومشاهـده ، وتتبع الجزئـيات الدقيقة التى لايلتفت إليها إلا ابن البادية.

فالبادية هى النبع الثّر الذى يمتح منه صوره ، ويرفده بزاد وافر من الأخيلة.

وتكشف الصور الشعرية عن الأبعاد النفسية أو الشعورية فى تجربة الشاعر ؛ فهو يكثر من استدعاء صورة البرق أو المطر الذى يمحو جدب الصحراء ويجعله مرادفاً أو معادلاً للوصال، فكلاهما قادر على بعث الحياة من جديد : (ص ٢٣)

نكأت الجرح يازمنى بوصلٍ   كومض البرق أسرع فى فلاةِ
طواها المحل أعواماً عجـافاً   فجاء الومضُ بشـرى للحياةِ

ويرتبط اللقاء عند الشاعر بـ « الرىّ » و « النماء » ويستدعى صورة الوادى مرادفاً لعالم الحب : (ص ١٥)

سل واديّ الحب واسأل وردة فيه   عن اللقاء الذى لو عاد يرويه

وتكشف تلك الصور عن وجود علاقة اندماج وانصهار و « توحُّد » بين عالم الشاعر وعالم البادية ، حتى إن أى تحول يطرأ على تجربته الوجدانية ينعكس بدوره على الطبيعة ؛ فإذا ما ارتوى المحبُّ الظامئ ارتوت الأرض واخضوضرت وزها فى جنباتها « الشيح » و « الخزامى » : (ص ١٥)

سل وادى الحبّ واسأل وردةً فيه   عن اللقاء الذى لو عاد يرويه

تخضرُّ أرضٌ ويزهو فى جوانبه   شيحٌ وينمو الخزامى فى روابيه

وكما تتأثر الطبيعة بتحوّلات الشاعر الوجدانية فإنها تؤثر فيه أيضاً بتحولاتها؛ ولأن المياه هى قوام الحياة فى الصحراء بصفة خاصة فإن الشاعر يكثر من استدعاء صورها ودوالها ؛ وتنشأ علاقة جدلية متبادلة بينهما ؛ فالنبع وهو من دوال الماء مرادف للحياة والموت فى حالتى امتلائه ونضوبه : (ص ٢٩)

شبابى قد ذوى مذ جفَّ نبعى   وأُهدر ماؤه يوم التجنّى

ولكى يتحقق « التماثل » أو « التلاحم » بين العالمين : عالم الشاعر وعالم البادية ؛ فإن مفردات البادية وصورها تنتقل من عالمها الحقيقى إلى عالم آخر مجازىّ ، هو عالم الشاعر الوجدانى ، حيث تُخلق خلقاً آخر ، وتتشكّل من جديد ؛ لنفاجأ بعالم مختلف تتكون معالمه من سياط الهم، ورياح الهجر ، وسراب الوهم ، وغول البين : (ص ٦٥)

لقد جلدتْ سياطُ الهمّ قلبى   ومُزّق بين أظفارٍ ونــــابِ
وتعصف بالفؤاد رياحُ هــجرٍ   فيلْغُ عَصفــها لُبّ اللُّبَابِ
وتجتاح الظنونُ مدى خيــالى   فتُلقينى بوهــمٍ كالسَّرابِ
كأن الهجرَ لم يُخلقْ لغـيرى   وغولَ البين سُكْنــاهُ ببـابى

وتكشف الأخيلة عن جوانب نفسية عميقة خاصة فيما يتصل بعلاقة الشاعر بالصحراء فى تقلباتها وغموضها وغضبها، كصورة الليل بإيقاعاته النفسية المخيفة التى تتكرر كثيراً : (انظر ص ٢٨ - ٢٩). أو صورة الغول التى ترددت فى المثال السابق أو صورة سهم الموت ، أو صورة العواصف بإيحاءاتها المحبطة فيشاكل بين أثرها النفسى سواء على معالم البادية أو فى وجدانه : (ص ٧٤)

كيف أمسيت ؟ بماذا تحلمــين ؟   ألحب الأمــس مازال الحنينْ ؟
أم تُــــراها ذكــرياتٍ عَصَفتْ   فبـــدا قلبك تذروه السنــــون
إذ ترامــــى البُعْدُ فينا شــاسعاً   بفــيافى العمر طـول الأربعــين
ورمــانى ويحَهُ فـــى كبـــدى   ورماك البعـــد فازداد الأنــين

ويستدعى الشاعر صور الاجترار واللوك كدوال للتذكر والتشبث بالماضى : (ص ٢٨)

ألوك الهمّ فى أعماق نفــسى   فيُضنى واللواعـــجُ أحرقتــنى
وأجترُّ الحديثَ حديثَ أمسى   وقد حجبَ الزمانُ صداهُ عنّى

وتحتل صورة الطير والقنص مكاناً أثيراً فى مخيلة الشاعر، وهى تمثل امتداداً نفسياً وشعورياً لتجربته ؛ فغناء الطيور تعبير عن الحب فى حالاته المختلفة، وشدوها مرادف لشدوه (ص ٣٤) وكثيراً مايدعوها إلى مشاركته همومه (ص ٣٤) وتتردد صورة الطير المهيض الجناح أو المشرَّد كدوال للهجر والانكسار : (ص ٣٧)

مغرّدتى بالغُصن هِيضَ جناحُها ... يميناً سأبقى راعياً ثم حانيا

فإن عقّنى حُبّى وشُرد طائرى ... فلستُ إلى طيف سواها مُواتيا

ونلاحظ أن الشاعر يستدعى صورة الطير فى إطار دلالى عام ولايعمد إلى التخصيص إلا فى مواضع قليلة تتردد فيها ثلاث صور هى صورة القطا ص ٢٨ ، وصورة الحمامة أو الورقاء (دالة الساجعة ص) وصورة الصقر وتنفصل صورة القطاة عن التجربة الوجدانية : (ص ٢٨)

وما خفق القطا يبكى هوانا ... ولا نبض الحيا برواء غصنى

أما الورقاء أو الساجعة فهى دالة من دوال استثارة الشوق والحنين : (ص ٢٧)

وكلما هتفت فى الليل ساجعةٌ ... يحث شوقى خطاهُ حيث ألقاكِ

أما استدعاء صورة (الصقر) فيأتى فى إطار المشاركة الوجدانية : (ص ٣٠) وتلفتنا تلك « المفارقة » بين إطلاق الصقر فى الفضاء والأمل فى رجوع الهوى :

أطلق الصقر وفكـرى شاردٌ   أسأل الصقر ، تُرى حبّى آبا ؟

ويقينى أنّ مافـــات انقضى   وهـــــــوانا صار حلماً وسرابا

ويتردد الصقر فى صورة أخرى تدهشنا بفرادتها : (ص ٣٠)

أُطلق الصقر وقلـبى خلفه   طائراً يفتـــح لى بالأفق بـــابا

و « التـراسل » من الظواهر الفنيـة اللافـتـة فى الديوان ، ويأتى على ضربين، فثمة « تراسل موضوعى » تتوحّد فيه تجربة الشاعر مع تجارب شعراء الغزل العذرى ، ويتوازى معه « تراسل فنىّ » يتناصّ فيه الشاعر مع بعض قصائد وموشحات الغزل المشهورة ؛ كموشحة لسان الدين ابن الخطيب « جادك الغيث » حيث يستدعيها بصورها وموسيقاها فى قصيدتين، الأولى بعنوان « الجمال الناعس » إذ يُلمّ فى مطلعها بمطلع موشحة ابن الخطيب فيقول :

هاجنى الوجدُ لأزمان خــلتْ   كزمـــان الوصل بالأندلسِ

ويومئ إلى مطلع الموشحة ذاتها فى قصيدة أُخرى بعنوان :« والهوى ثالثنا » فيقول فى مطلعها :

جادك الغيثُ حبيبى إذ همى   وسقى الغيثُ مراعــى المُقلِ

ويتراسل مع قصيدة الحصرى المشهورة « يا ليل الصبُّ متى غده » فى قصيدة بعنوان « بدر الليل » يقول فى مطلعها :

يابدر الليل متى يوفى   محبوبُ القلب وأسعده

ويتحقق التراسل « الأسلوبى » بينه وبين شعراء الغزل فى غير موضع؛ فثمة تراسل مع قصيدة ابن زريق المشهورة « لاتعذليه فإن العذل يوجعه » حيث يستهل قصيدته (وعود) مقارباً تلك الصيغة ، فيقول : (ص ٥٦)

لا تعذلونى فإن العذل يقتلنى   يامن قسوتم على روح قضت سأما

وفى قوله : « ويبقى الشوق مابقيت حياتى » تراسل أسلوبى مع قول الشاعر « ويبقى الحبُّ مابقى العتاب » .

ويتناص أسلوبياً فى قوله « وفى الزوايا بقايا من تنادمنا » مع صيغة نزار قبانى « وفى الزوايا بقايا من بقاياه » .

ويتناص كذلك مع إبراهيم ناجى فيقول فى قصيدة « الومض الحارق» (ص ٦٤):

ياوميضاً كان قلبى يرتجى   قبساً منك لقلبى فاكتوى

فثمة إلمام بقول ناجى « ياغراماً كان منّى فى دمى » .

وفى تقديرى أن الشاعر فى كل ذلك لايقصد « المعارضة » أو «المحاكاة» بقدر مايقصد استحضار « النموذج الفنىّ » ليتكامل بذلك مع «النموذج الموضوعى» سعياً إلى بلوغ « المثالية » وهى الغاية التى ينشدها فى تجربته سواء على مستوى المضمون أو الشكل .

وإذا كانت القصيدة فى ديوان (بوح البوادى) تلتزم بالنسق البنائى الموروث – فى الأغلب الأعم – فإنها تبدو أكثر تنويعاً فى الإيقاع ؛ وتشير الدراسة الإحصائية إلى دوران الشاعر فى فلك البحور التالية :

(الوافر ١٦) – (الرمل ١٤) – (البسيط ٨) – (الطويل ٥) (الكامل ٢) – (الخفيف ٣) – (المتدارك ١) – (مجزوء الرمل ٣).

ومن الإحصائية يتضح أن بحور الوافر والرمل والبسيط تحتل الصدارة مما يدل على ثراء الإيقاع ، كما أن وجود الرمل فى المركز الثانى يفسِّر ذلك الإيقاع الشجىّ الذى يعمقّ الجو النفسى للتجربة التى نراها فى النهاية تجربة شاعر مرهف الحسّ يطمح إلى عالم مثالى موازٍ فى رحابته وامتداده لعالم البادية بقيمها ومثلها .

ديوان « بوح البوادى »

للشاعر عبد العزيز البابطين

قراءة فى المضمون والمؤثرات (*)

دكتور / أيمن محمد ميدان (**)

الشاعر عبد العزيز البابطين رجل أعمال كويتى استثماره الشعر ، أحب الشعر فباحت نفسه بمكنوناتها قصائد محكمة البناء ، ومقطعات تفيض صدقاً وعذوبة ، وازداد عشقه للشعراء فأنشأ مؤسسة ثقافية كبرى ترعى الشعر ومبدعيه ، مثرية الحياة الأدبية العربية بجوائزها القيمة ومهرجاناتها المتعددة وتكريم أعلام شعرنا العربى من خلال دراسة حياتهم وشعرهم ونشر تراثهم شعرياً كان أم نثرياً .

وعبد العزيز سعود البابطين شاعر مطبوع ، اتخذ من القالب الشعرى التراثى إطاراً إيقاعياً لتجاربه ، مطوعاً إياه لمقتضيات عصر يعيش بين أحضانه، يؤثر فيه ويتأثر به ، لديه القدرة على تطويع أدواته والاستفادة من مخزونه الثقافى الثرى.

والقارئ لقصائد ومقطعات ديوانه الأول (بوح البوادى) سوف يلمس

(*) نشرت فى جريدة (الشرق الأوسط) لندن ١٩٩٤/١٠/٩ قبل صدور الديوان.

(**) كلية دار العلوم – جـ[illegible] القاهرة.

– وبصدق – أنه فى رياض شاعر يخط قصائده بشلال من نزف شرايينه ، وخربشات قلمه تحاكى نبضات قلبه وانتفاضاته .

الصدق :

يغلب على عطاءات أبى سعود الشعرية كثرة المقطعات، وانتشار المقطعات والقصائد المتوسطة الطول لديه مرتبطة بتوفر عنصر الصدق – واقعياً وفنياً – والذى يعد أهم ملامح تجربته الشعرية ، فالقصيدة أو المقطعة لديه ترجمة صادقة لفورة وجدان أو دفقة إحساس ، أو مباغتة ذكرى ، لايقهرها شاعرنا ولايستزيد منها، فيأتى طول البناء اللغوى أو قصره مواكباً لمقتضيات هذه الثورة وتلك الدفقة ، لذا اتسم نتاج أبى سعود بالصدق والذاتية المغرقة فى الخصوصية، وهذا مايقرره شاعرنا نفسه بقوله : « كل مايهمنى فى القصيدة التى أبدعها .. هو الصدق والتعبير الواضح عما تختلج به مشاعرى.. ولا أجيز لنفسى التعبير عن مشاعر الآخرين الذين قد أتعاطف معهم، لأننى لن أكون قادراً على التعبير عن مشاعرهم بصدق كما لو عبروا هم» .

ثمة ظاهرة أخرى جديرة بالدراسة – ولها صلة بالصدق كأهم ملمح من ملامح التجربة الشعرية لدى شاعرنا تتمثل فى أن عدداً غير قليل من قصائده ومقطعاته كتبت فى أكثر من موطن أو مكان، وتفصل بين هذه الأجزاء مساحات زمنية قد تطول وقد تقصر ، ويعجب القارئ منا عندما يجيل البصر بين أشلاء هذه القصيدة أو تلك المقطعة فتبدو وكأنها بلورة

واحدة ، لكل زاوية وانكسارة فيها لون أو طيف مغاير لغيره مؤتلق معه، ومع ذلك فلا تبدو فيها آثار الصنعة أو آمارات الأماكن المتباينة، فمثلاً قصيدة (وضاع الدرب) صاغ شاعرنا الأبيات الثلاثة الأولى منها بجنيف (سويسرا) فى ١٩٨٩/٨/١٢م ، وظلت هذه الأبيات يتيمة لعامين متعاقبين بعدها اكتملت القصيدة فى ١٩٩١/١١/١١ بحباطة على الحدود الغربية لمصر، ومع ذلك فإنك لو طالعت هذه القصيدة وغيرها لما رمقت أثراً لذلك ، فالقصيدة تعبر عن دفقة شعورية واحدة يغلفها الصدق بغلالة رقيقة تشف ولا تفضح ، فقال :

خفق الشوقُ بالفؤادِ ففاضت ... ذكرياتُ السنين شوقاً لنائى

فادّكرت الوصال منكِ بعهدٍ ... كنتِ فيه كريمة باللقاءِ

لكِ قلبٌ كأبيض الثلج أصفى ... من زُلالٍ ينبوعُهُ بالسماء

أو كنورِ الصباح لامس ورداً ... ضَمَّخَتْهُ الأسحارُ بالأنداء

ويح نفسى حَسَدْتُ نفسى لأنّى ... قد تربّعْتُ ناعماً بالهناء

إذ سكنتُ الصميمَ فى القلبِ أحْسو ... أعذب الحب فى دُنَى الأهواء

فرضعتُ الهوى شهياً مُصفّى ... مذ تكحلتُ يافعاً بالسناء

وتدلّلتِ تطلبين وِصالاً ... وتمنعتُ هازئاً بالرجاء

ومضينا وضاعَ دربىَ عنى ... فمضى العمرُ فى دروبِ العناء

رُحتُ أهذى أسائلُ الدهرَ عنها فتلقّيتُ ضحكةًعن ندائــى

وتيقّنْتُ أنّ دربــى شـــطتْ فتضاحكْتُ ساخراً من شقائى

أتبعتنى الدروبُ سَعْـــياً دؤوباً أبحثُ اليومَ عن بقايا بقائــى

محاور تجربته :

كثيرة تلك الخيوط المكونة لنسيج تجربة شاعرنا الشعورية والشعرية، على أن أهم هذه الخيوط بروزاً ، الشيب ، والارتحال الدائم المقترن بإحساس حاد بالاغتراب ، والحب الأول الذى لم تخب نيرانه ، ولم يتصل ما انقطع من أحباله ، والقارئ لعطاءات عبد العزيز سعود البابطين الشعرية سوف يلمس مدى هيمنة المشيب على صندوق أصباغه ، وهو محور متداخل فى نسيج تجاربه منغمس فيه، متضافر مع غيره من محاور ، وإذا اقتربنا أكثر وأكثر لاستكناه سر هذه الهيمنة لوجدنا الشاعر لايخشى المشيب لذاته، وإنما الخشية نابعة من انزواء فعل الجسد وهرم القلب وخفوت جذوة الحب ، فها هو يقول :

ســـلى فُؤادى فقهْرُ البيْنِ عذّبه وســال جُرْحٌ يُبكّيه فيـــشقيـنى

ملّ اصطباراً وصار العُمرُ يهزأ بى إذ لاحَ فى مفرقى شيْبٌ يُعزينى

لكَ الخلودُ ويكفيــــــنا تألمنا فالنار قد أحرقت عمرى ويكفينى

ولننظر أيضاً كيف وظّف شاعرنا المفارقة التصويرية للتعبير عن فعل الزمن فى العاشقين إذا ما ترصدهم بيْنٌ عاتٍ :

كيف أمسيتِ وقد طال الأسى وسهرتِ الليلَ ليلَ العاشقين

وصروفُ الدهر عاثت بالمـنى عربدتْ عربدةَ المستكبـرين

غيَّرتْ فيك تصاريفُ الهـوى بهجة كانتْ تَسُرُّ الناظـرين

فغدتْ بَسْمَتُكِ الولهى شجىً وغدا لحـنىَ كالناى الحزين

وافتـــقدْناهُ وقدْ غـادَرَنا وصلنا الـتائهُ من غيرِ مُعين

فَصَبَرْنا وصـــبرنا ومضـــى عُمرُنا يجرى وبِتْنَا صابـرين

وكفـــانا عشْقُنَا خلَّدَنَا فمشـيناها دروبَ الخـالدين

كيفَ أمسـيتِ وقد لوَّعنى شوقىَ القاتلُ والحُبُّ الدفين

أتُراهـــا تعتريكــم مِثلنَا لوعةُ القلبِ شَجَتْهُ كُلَّ حين

فإذا ذُقْتُمْ عـــذابا مَسَّنَا وطغى الوَجْدُ من البَيْنِ اللعين

فاذكرونا مثلما نذكـركم رُبَّ ذِكْرى أغدقتْ للظَّامئـين

الرحلة :

وتشغل (الرحلة) حيزاً كبيراً من إبداعات الشاعر عبد العزيز سعود البابطين، على أن المجيل البصر بين أحضان قصائده ومقطعاته التى اتخذت من (الرحلة) إطاراً لها سوف يكتشف أن الشاعر لم يتخذ منها هدفاً لذاتها، بل أداة للكشف عما يدور فى أعماقه من هواجس ، ومايعتمل بين حناياه من أحاسيس موارة تقض مضجعه وتؤرق ليله ، متمثلاً فى صنيعه هذا خطى

الشعراء الرومانسيين الكبار عندما اتخذوا من الطبيعة مهرباً لهم من واقع عاتٍ لايرحم .

وشاعرنا – شأنه شأن العقلاء من بنى البشر فى كل زمان ومكان – كلما استبدت به الذكرى وتأجج ضرامها، حاول التعالى على ثورة الذكرى، وضرام الشوق بالتسلى بالحكمة حيناً ، أو التعلل بالقدر تارة ثانية، وتارة أخرى الانهماك بالأعمال الكثيرة والانتقال والصيد بين أماكن كثيرة ومتنوعة تفصل بينها مساحات شاسعة (الاسكندرية –عشق آباد – موسكو – جنيف – العراق – الكويت – براغ – فرنسا – لندن – كوبنهاجن – جدة ...) تعددت المواطن والدافع واحد يتمثل فى الفرار من تذكارات حب قديم تتجدد ، ويأس فى لقاء ، يقول شاعرنا فى قصيدة له بعنوان «الوفاء الخالد» :

يا صديقى حين أبغى قنصاً ... أطرد الظبيَ وصقرى والذئابا

فلأنسى جُرْحَ قلبى والنّوى ... وهموم العشقِ تكوينى اغترابا

فأنا فى البر نفسى حُرّةٌ ... أبْعدُ الغربَة عنى والعذابا

أطلقُ الصقرَ وقلبى خلَفهُ ... طائراً يفتح لى بالأفق بابا

ولكن طوفان الذكرى أعتى من أن يهدئ من روعه تَسلٍ بحكمة وتعللٌ بقدر ... وأنى لقلب العاشق أن يثوب وأن يتوب :

أبحثُ اليومَ وأمسى وغداً ... عن حبيبٍ تاه عن عينى وغابا

أخذَ اللُبّ وروحى واختفــى   هل يُعيدُ الآنَ رُوحِي واللُبـــابا

بَعْد عُمْرٍ قد تَقَضَّى وانقضى   أهرقَ الحِسّ بنفسى والشـــبابا

أُطْلِقُ الصقرَ وفكـــرى شارِدٌ   أســأل الصقر : تُرَى حِبّى آبا

ويقينى أنَّ مافــاتَ انقضـــى   وهَوَانا صار حُلْـــماً وسـرَابا

ويكتشف شاعرنا أنه ما ابتعد عن مرابع حبه إلا ليقترب منها أكثر وأكثر، وماهرب من ثورة الذكرى إلا لينغمس فى أتونها المستعر ، فيقول :

يهزنى الشوقُ والآهاتُ تنفجرُ   وتحتوينى هموم يومَ ذكـــراكِ

وتعصر القلبَ آلامٌ مبرحـــةٌ   يزيدها اليأسُ إيلاماً كأشـواكِ

وهذا المعنى ذاته يلح على الشاعر ، ومن ثم إبداعه ، فنراه مسفراً عن نفسه فى قصائده تارة ، ونلمسه تارة أخرى كخلفية موسيقية لحدث درامى، تغذيه وتنميه وتبرزه ، يقول :

سَلِي ليـــلى ليبلغكُمْ عذابى   ولوعةَ مهجــــتى بعد الغيابِ

لقد جلدت سياطُ الهَم قلبى   ومُزق بـــين أظفـــارٍ ونابِ

الغربة :

وهناك خيط آخر من خيوط التجربة لدى الشاعر عبد العزيز سعود البابطين شديد الصلة بالرحلة، مجدول معها، يتمثل فى الغربة، على أننى أسارع فأقرر أن غربة شاعرنا غربة نفسية لا مكانية ، تكاد تصبغ كل قصائد

الشاعر ومقطعاته، تبدو تارة سافرة الملامح ، وتارة أخرى تبدو كظل لصورة ، أو خلفية موسيقية خافتة وموحية – فى آن – للحدث المعبر عنه ، وهاهو شاعرنا وأثناء تجواله بين أحضان مدينة نيس بفرنسا هاج شجونه نخلة عربية السمات وسط بيئة كل ما فيها غربى، فاتخذ منها معادلاً موضوعياً لتجربة الاغتراب النفسى والمكانى التى يعانى منها ، فيقول فى قصيدة (ذكريات) :

يانخلة فى نيـــس حـانَ فراقُنَا   هــل نلتقـــى يانلختى وأعـودُ
أجترُّ ماضى ذكرياتى فى الهوى   ويَضجُّ فى نفـــسى الأسى ويسودُ
وتصيخ أحلامى وكلُّ مشـاعرى   لك يانُخَيْلَةُ ما عســـاه جـــديدُ
وترددين نصيحة لك ما خـبَـتْ   إصْبِر فما للصـــبرِ منك حـدودُ
فيؤوبُ إحساسى بِخَيَّبَةِ آمـــلٍ   صِفْر الـــيدين وحَظُّهُ منكـــودُ
وأظلُّ أسأل كيف مرَّتْ أشـــهر   بعدى علـــيك وهل أتتْـك وفودُ ؟
فتجيب بسمتُك الخجولُ لقد ثوى   عنـــدى هـواكَ وسِرُّهُ المعـــهودُ
ويثورُ بى شَكٌّ يواكـــبه اللظـــى   والقـــلبُ شاكٍ غُرْبَةً ووحـــيدُ
هل ذاع سِرّى للوفودِ فأســرعوا   يَرْوى الحـــديثَ قريبُهم وبعيـــدُ
وهمومُ نفسى بالهوى قد أُعْـلِنَتْ   والدمـــعُ منّى قَدْ رواهُ قـــصيدُ
أنا لا أعـــاتبُ يانخيـــلةُ خائفاً   قَوْلَ العـــذولِ يحفُّهُ التهـــديدُ
أغفيّتُ عنه مدى السنين فلم أعِرْ   سَمْـــعًا لمن لم يُغْنِه الترديـــدُ

بلْ كنتُ أخشى أنَّ سِرَّى بالهوى   إن ذاع رَدَّ به الحبـــيبَ صدودُ

تداعيات الحب الأول:

وأمام جبروت واقع لايرحم عاشقاً ، وأمام إخفاقات متكررة وإنكسارات دامية لايملك ذلك العاشق المُعَنَّى بصلف مَنْ يحب ويهوى سوى أن يشرع أشرعة النسيان مخلفاً وراءه على الشَطِّ رحلة شاقة، أضاع خلالها سنوات طوالاً من عمره، يبحث عن محبوب يوفى بوعده ، وينتظر طيفاً لايجئ ، لننظر كيف جَسَّد أبو سعود معاناة هذا العاشق عبر ليل طويل كليل الحصرى القيروانى أو امرئ القيس ، فيقول :

تُريدينني أسلو ؟ سأسلو فلا غَدٌ   يذكرنى أمسى ويُرْهِقُ خاطرى

سئِمتُ سُهاداً ألهبَ الجفنَ شجوُهُ   وأنهك منِّى القلبَ وانفضَّ سـامرى

مللتُ وداداً خِلْتُ أنَّ حُشاشتى   من الألم المضــنى بموقـــد ثائر

ثلاثونَ عاماً مذ عشقتكِ والهنا   يجافى وجودى والتباعدُ قاهرى

فلا ساهِراً أبقى فقيدَ بشـــاشةٍ   ولا الطيفُ يغنينى بروعـة زائرِ

ولا مهجتى ترعى بها نارُ حُرْقَةٍ   فتجأرَ تشكو الظلم فى حُبٍّ جائر

ولكن جبروت العشق عات ، ونيرانه لاتخبو ، لذا تعاود العاشق تذكارات حبه، معيدة إياه لذلك العمر الجميل ، وأمامه لايملك العاشق سوى الانصياع لتيار الشوق الجارف ، والارتماء فى أحضان العذاب الجميل، يقول أبو سعود فى قصيدة (ويبقى الشوق) :

كما ألفَ العذابُ صميمَ قلبى فقد سئم الفؤادُ من العـذابِ
كـلا الضّدين مـراً فى دروب من الألمِ المُعتّقِ والسـراب
فلم ييأس فؤادى من وصـالٍ وقد ملّ العذابُ من العـذاب
وقد ظنّتْ سنونى أنّ هجـرى يُنيخُ بشـاطئِى دونَ الإيابِ
ولم تَدْرِ السنون بأنّ قلبـى تَجلّدَ للعقـابِ وللعـتاب
فعذّبتِ العذابَ دروبُ عمرى وهاجرَ العـذابُ صريعَ مابـى
ويبقى الشوقُ مابقيت حـياتى ويسمو الحبُّ مرفوعَ الجـنابِ
وتمرحُ بى صبابـاتى وأنـسى وتفترُ الشـعورُ عـن العذابِ
وأقسم بالليالى العشر عـشراً وبالفجـر المقدّسِ بالكـتاب
سأبقى والهوى صِنْوَيْنِ حـتى يموت الحبُّ أو يدنـو مآبى

موقفه من التراث :

قلنا : إن شاعرنا شغوف بتراث أمته الشعرى متعلق به ، دائم الارتماء فى أحضانه ، يستحضر نماذجه فيعارضـها ، ويوظف شخصياته توظيفاً مفيداً لتجربته ، ومن هذه الشخصيات التى اسـتأثرت باهتمـام شاعرنا : كثير عزة ، جميل بثينة، مجنون ليلى ، الخنساء ، وبنو عذرة .. هـذا إلى جانب أمير شعراء النّبط بالجزيرة العربية محمد بن لعبون .. وغيـرهم ، على أننى أسارع فأقرر أن العذريين تركوا بصماتهم واضحة على خطـوط لوحات

شاعرنا، مهيمنة على صندوق أصباغه ، من ذلك قوله فى قصيدة (شكوى) :

مررتُ والنفسُ تدعونى كعادتها ... لوقفة قربكم تهنا برؤياكِ

لكن صددتُ عن اللقيا ينازعنى ... شوقى إليك وخوفُ العاذلِ الحاكى

أخشى عليكم نُسيّمَات مداجيةٌ ... من الوشاةِ تعادى صَفْوَ دنياكِ

وأَقْنِعُ النفسَ أنْ تنأى مجانبةٌ ... حلوَ اللقاءِ فلا تسعى لمغناكِ

أثوى وحيداً وأحسو الهَمَّ منهزماً ... وأرتضيه دواء يومَ ذكراكِ

وإذا كان الشاعر عبد العزيز سعود البابطين يحذو حذو العذريين عشقاً وإبداعاً ، فإنه يذهب إلى ماهو أبعد ، فمعاناته أعنف من معاناتهم وأن ما لقيه من ألم الجوى أفظع وأفدح ، فها هو يقرر ذلك قائلاً فى قصيدة (وسط العباب) موجهاً حديثه لمن يحب ويعشق :

سلى عمرى الذى قد طاف سعياً ... يُفَتّشُ فى الخبايا عن كتابِ

يصوّر عاشقاً صبّاً ولوعاً ... تلقى فى الصبابة مثل مابي

وأشعاراً يرددها جزوعٌ ... تماثل ما أردد فى انتحاب

تُصَوِّرُ لوعتى فكراً وحِساً ... وآهاتى ونَوْحى واكتئابى

فلا أجدُ الكتاب بسعي عمرى ... وأرضى م الغنيمة بالإياب

ولم يقف اهتمام شاعرنا بتراثنا الشعرى القديم والأصيل فى آن –

عند حدود توظيف شخصياته ، واقتناص لمحة من لمحاته أو لفتة من لفتاته، بل تعدّى ذلك إلى تضمين بنائه اللغوى بعض أبيات أو أشطر شعرية لشعراء العربية الكبار أمثال ابن سهل الإشبيلى الأندلسى وابن زيدون وغيرهما ، من ذلك قوله :(جادك الغيثُ حبيبى إذ همى) وقوله :

هاجنى الوجد لأزمان خلت كزمانِ الوصلِ بالأندلسِ

معارضاته :

وشاعرنا شغوف بالمعارضات كفن هيمن على عطاءات كوكبة من شعراء العربية الكبار، فراحوا يحاكون قصائد شعرية راقية المستوى لشعراء مرموقين، من بينهم : أحمد شوقى والبارودى ومن نهج نهجهم وهم كثر. والقارئ لما بين أيدينا من قصائد ومقطعات للشاعر عبد العزيز سعود البابطين سوف يلمس مدى هيمنة هذا الفن على عطاءاته ، فقد عارض شاعرنا ابن زيدون والحُصرى القيروانى وغيرهما ، فها هو من خلال قصيدة (بدر الليل) يعارض الحُصرى القيروانى فى رائعته الشهيرة التى يقول فيها :

ياليلُ ، الصَّبُّ متى غَدُهُ أقيامُ الساعةِ مَوْعِدُهُ ؟!

وإذا كان القيروانى سرعان ما انتقل من الغزل الراقى إلى المديح وهو الغرض الأساسى لقصيدته ، فإن شاعرنا قصر تجربته ومن ثمّ قصيدته على حديث القلب، وليل العاشقين الطويل الذى لاتنجلي ظلمته ، ولا يأتلق بين أسدافه ضوء نجم يؤذن بميلاد فجرٍ واندحار عتمة ، فلننظر كيف جسّد هذه المعاناة :

يابدرَ الليلِ متى يوفــي محبوبُ القلبِ وأسـعده

ومتى يابدرُ تدغـــدغه ذكرُ الأيـــام وترشـــده

ياويحى ضاع وواأسفــي محبوبُ الأمسِ وموعـده

قد نفد الصبرُ فلا أمـلٌ أن يحمى القلبَ تجـلده

أخشى تنهارُ صـــلابتُهُ ويذيـــب العـــزم تردُدُه

ياليلَ البدر أتوصــــله لحـــيا الأشواقِ وتورده

وهو الظمآن لذى مَرَحٍ بظـــلالِ الدارة مَقْعَدُهُ

إنْ ظلَّ البُعْدُ يؤرقـــنى فحبــــيبى أرّق مرقده

وحبيبى أدنفـــــه بيْنٌ يسرى بالجرحِ فيـوقده

وفؤادى من سيـرق لــه وضرامُ العشقِ يهدهـده

ونعيمُ الحـــبِ يعـــاوده وكتابُ العشقِ يخـــلده

ياعشـــقا هدّمــــهُ بَيْنٌ قد كان الوصلُ يشيِّده

ومُحباً أسقـــمه ســـهْدُ يحكى الأحـزانَ تَنَهُّدُهُ

وكلانا أنهكـــــــه نأىٌ قد ضَلَّ طـريقاً مُرْشِدُهُ

الصورة :

هذا وقدأولى شاعرنا الصورة الفنية - كأهم أداة تميز الشعر عمّا سواه من فنون القـول - عناية خـاصـة ، ومع ذلك بدت صـوره - فى الأغلب الأعم - تلقائية تنساب عفو الخاطر ، لايجهد نفسه فى تعقبها واقتناصها، مرتبطة بتجربته الشعورية ، ممتزجة بالنسيج اللغوى منخرطة فيه، وعلى كثرة الصـور المحكمـة البناء الجديدة المنحى تقـفـز لمخيلتى صـورة أراها على سـعـة قراءاتى الشعرية جديدة وغير مسبوقة، فها هوذا يقول فى قصيدة له بعنوان (الوفاء الخالد) :

أُطلِقُ الصَّقْرَ وقلـبى خـلْفَهُ   طائراً يفتـــح لى بالأفق بابا

ومن ذلك أيضاً قوله :

كأنَّ الهجرَ لم يُخلقْ لغيرى   وغــولُ البينِ سُكْنَاهُ بــــابى

وأنّ وصــالنا انقطعــتْ عُرَاهُ   فتاهَ كزورقٍ وَسْطَ العــــبابِ

ومن الصور الرائعة أيضاً قوله : « رفيقة دربى أبيض الذيل ثوبُها » .

الحوار :

وإذا كـان الشاعر عبد العزيز سعود البابطين قد عنى بالصورة الفنية عناية خاصة، فإن اهتـمـامه امتـد ليشـمل تكنيكات أُخرى لهـا دورهـا فى إحكام البناء الشعرى والسير به قدماً صوب الغاية التى يصبو إليها الشاعر ويطمح، من هذه التكنيكات الحوار محكياً أو حقيقياً ، أو ديالوجاً داخلياً،

من ذلك قوله فى قصيده (لم أنس) :

تقول شوقاً : فـهل لازلت تذكرُنـا   أم هل نسيتَ تناجيـــنا وذكرانا

وهل أبادتْ ســنون البعـدِ حبُكمُ   وأطفئت شمـعة فى درب مَسْرَانا

وبات قلبك من قلـــبى بمظلمـةٍ   أم قد تجمد إحــساسٌ لتــسانا

أجبتُ:لا والـذى يرعـى محبتــا   لم أنس يوماً تناجيــنا ولقـيانا

فَمرَّ أعــوامٍ بين عشـــرةٍ سـلفتْ   لم يَمْحُ ذكراكم رَوْحاً وريحـاناً

لكنَّ نفــسي ولَذْعُ البـينِ فرّقها أودتْ بصفوى وهذا الشيبُ قد بانـا

ويرهف شاعرنا السمع لحوار دام بين صوتى العقل والوجدان راصداً إياه من خلال ديالوج داخلى ، مترجماً مايدور فى أعماقه من مشاعر متناقضة ومتصارعة فى آن ، فيقول فى قصيدة (شيبت ليلى):

يســائلنى الفــؤادُ وقد تردّى   أنعقدُ والفراقُ الصعبُ صُلْحاً

فقلتُ له وفى حلــقى مرارٌ   بحَسٍ مرهفٍ والصـوتُ بُحّا

ظننتكَ يافؤادُ مَعِــينَ صبرى   وأسمع منك رَغْمَ البينِ مَدْحا

وجدتكَ يارفيقَ العشقِ تشكو   فزدتَ بى الجروح أذى وجرحا

نسيتَ مشقة كالدهــرِ ولّتْ   وتجثو اليوم ما أقـــساكَ مزحا

ألم تر أن صبرك عاش دهراً   وعشقك قد بنى للحُب صرحا

وعدتَ اليومَ مهزوماً تُعــانى   تذيع السّرّ إعــــلانا وبَوْحا

فليتكَ ياحبيـــبى الآن قُربى   لتـــشهد كيف أن الصبر شَحَا

وليتكَ يافؤادُ صـــبرتَ صبرى   لتبـــقـــى فى فَمِ الأيّام فَوْحا

هذا إلى جانب كثير من التكنيكات الأخرى مثل : التكرار والمفارقة، لغوية كانت أم تصويرية . يضاف لذلك كثرة الأبيات التى انسربت بين حنايا نسيج أبى سعود الشعرى ، والتى يسهل حفظها وترديدها ، جارية مجرى المثل من ذلك قوله : (رُبَّ ذكرى أغدقت للظامئين) وقوله : (وأرضى م الغنيمة بالإياب) وغير ذلك بكثير .

وفى النهاية : كانت تلك الجولة السريعة رحلة ممتعة عبر آفاق الشاعر الكويتى عبد العزيز سعود البابطين ألقيت الضوء خلاله على جوانب تجربته الشعرية المثيرة والممتعة فى آن واحد ، ولا أزعم أن هذه الجولة غطت كل الجوانب أو توصلت إلى ماكنت أبغى وأريد ، ولكن حسبى أنها خطوة على درب الاقتراب من عطاءات شاعر تستحق عطاءاته أن نقف أمامها دارسين ومتذوقين وناقدين أيضاً .

قراءة فى ديوان
بوح البوادى
لعبد العزيز البابطين

بقلم الدكتور نبيل رشاد نوفل*

هذا هو الحب العذرى يعود إلينا عبر الزمان، عبر قرون من التحول والتبدُّل، يعود بعدها تحت شراع زورقه الحالم، يهز مشاعرنا ويوقظ بيننا أطيافا من الرقة والعذرية .

هذا ديوان «بوح البوادى» ينطق بلسان معاصر وقلب مُفعم بالإخلاص إلى ماض يغمره النقاء والصفاء يعيشه ويستعيده زماناً ومكاناً وعبقاً وألحانا .

وأول ما يلوح لقارئ الديوان هو هذا الحنين الصادق إلى أرض الحب العذرى ووديانه ومراتعه يقول الشاعر فى مطلع قصيدة تعبر عن ذلك وعنوانها «حنين»

سَلْ وادىَ الحبِّ واسألْ وردة فيهِ عن اللقاء الذى لو عَادَ يرويهِ

تخضرُّ أرضٌ ويزهو فى جوانبه شيحٌ وينمو الخُزَامَى فى روابيه

ويضيف :

سل وادىَ الحبِّ يا عوادُ يُنْبِئكُمْ أنَّ السّرور تَنَادَى فى حواشيه

* أستاذ النقد الأدبى بجامعة بنها .

فاصدح بلحنك يا عوادُ منتشيا ودعْ لُقانا على الذكرى نناغيه

ويتضافر الزمان والمكان الماضيان باستدعاءات حية لشعر الحب العذرى، تثرى تجربة الحب المعاصرة عند الشاعر، فيقول فى قصيدته أيام الوصال :

سقى اللهُ أيام الوصال بمزنةٍ ∴ هَطُولٍ فتحيا بعد جدبٍ مراتعُهْ

فتــزهُــر نُوّاراً وتنبــتُ برعمــاً ∴ وتَحيِى لنا حبًّا أبيدتْ مواضِعُــهْ

ويرتبط بالحنين إلى أرض العذريين : بإعلان الشاعر انتماءه لهم ولحبهم فيقول :

وحــــبى طُــهْـــرُهُ بــاق لنبقى كبثــةَ أو جـــميل لا نُلامُ

ويقول أيضا :

وسارت قوافى الشعر خلفَ ركابنا لتَحْدُو بنا حتى عشقنا القوافيا

وكان قرين الرَّكْــبِ عمــروٌ وعزّةٌ وقيسٌ وليــلى يُنشِدُون الأغانيا

ويؤكد صفاءَ حبه وعفّته كعفة العذريين وطهر عواطفهم فيقول فى أول قصيدته التى عنوانها «رنين السِّحْر»

بعفّــــةِ عــذرىً وطــــهــرِ بثينـــةٍ وإخلاص قيسٍ ذائعِ الشعرِ والحبِّ

ويختمها بقوله :

ويبقى فؤادِى طولَ دهرىَ عاشقاً بإخلاص قيسٍ ذائع الشعر والحبِّ

وتزداد حرارة الوفاء لذكرى الأقدمين لتصل إلى ذورتها فى قصيدته «تباريح»، التى تجسد الأنموذج العذرى

إنّ مابى من تباريح الهوى ... يُلهِمُ الخنساءَ آياتِ الحـــزَنْ

ونُفاثَاتٍ قصيــد قد حكى ... حَسْرَةَ الشّوقِ وقوفـا بالدّمَــنْ

وجميلاً وهْو صادٍ يكتــوى ... أشْعَلَــتْ أشْــوَاقَهُ نــارُ المِحَنْ

عُذْرَةٌ بالطُّهرِ فى عُشّاقها ... تزدَهى بالفَخْرِ فى طولِ الزّمَنْ

بجميل وبُثَــينٍ والهــــوى ... وبشـــعـرٍ يتغـــنـى بالأغَـــنْ

أيــن قيــسٌ وجنــون مَسّــهُ ... ومحــبٌ تبــع المجنــونَ جـُـنْ

وهذا الحنين الطاغى إلى البادية النقية فى العصر الذهبى لشعراء بنى عذره يستدعى من وراء الغيمة الندية لهذا الشعر العاطفى ثلاثة أمور

الأول : ارتباطه الوثيق بالماضى بكل تقاليده الحميمة وذكريات شعرائه العظام . فى كل قصائده نستشعر عبير الماضى يتغلغل صوره وعواطفه. ففى ثلاث من تلك القصائد يخاطب الشاعر صاحبيه على طريقة القدماء، وفى قصيدة رابعة بعنوان «وفاء» يدعو هذين الصاحبين للوقوف والتذكر فيقول:

قِفَا نذكرُ الأيامَ والوصلَ صافيا ... ووِدًّا عفَاهُ الدّهْرُ أبْعدَ نائيا

لكنْ من الإنصاف أن نقولَ إن الشاعر لا يقلد القديم بحذافيره ولا يحاكيه محاكاة تامة، بل إنه يستلهم روحه فحسب، ويمزج ذوقه المعاصرَ

بأطياف الماضى التى وَجدت فى شاعرنا خيرَ من يُحييها ويكسُوَها ثوبا جديدا وهذا جلى تماما فى المثال الأخير ولعل ذلك يفسر ازدحام المعجم الشعرى له بالذكرى ودلالاتها، حتى إننا نلحظ أن الشاعر يضرب أوتارها فى أربع وعشرين قصيدة من اثنين وخمسين هى عدة قصائد الديوان.

وأما الثانى من مظاهر اهتمام الشاعر بالقديم العذرى، فهو استدعاؤه لشعر حقبة تنتمى إلى العذرية بروحها ونبض فؤادها، هى حقبة الشعر الأندلسى، فهو يقرأ روائع هذا الشعر ويتأثر به فيفسح له مكانا فى تجربته فحين يقول ابن الخطيب فى موشحته المشهورة

جادك الغيثُ إذا الغيث هَمَى   يا زمان الـــوصلِ بالأندلسِ

يقول شاعرنا وقد وظّف إلهاماته القديمة خير توظيف :

جادكَ الغيــث حبيبى إذْهَمَــى   وسقى الغيثُ مراعِى المُقَلِ

ويقول أيضاً :

هاجنى الوجــدُ لأزمــانٍ خلــتْ   كزمــانِ الوصلِ بالأندلس

ويبلغ استلهام الشاعر للشعر الأندلسى ذروته فى قصيدته التى سار بها على درب نونية ابن زيدون . ويقول

تقولُ شوقاً : فهل لازلتَ تذكُرُنا   أم هل نسيتَ تناجينا وذكرانا؟

وهل أبادتْ سُنون البعد حُبَّكُمُ   وأُطفئَتْ شمعةٌ فى دَرْبِ مَسْرانا

ونلاحظ هنا أن الشاعر - كابن زيدون فى نونيته - قد خاطب محبوبته بصيغة الجمع، وهو أمر لاحظه البلاغيون القدامى كأبى على الحاتمى فى الشعر الجاهلى والإسلامى على السواء

وشاعرنا يعود إلى مخاطبة المحبوبة فى قصيدة أخرى هى «مناجاة» يتحول فيها أيضاً من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع فيقول :

كيف أمسيت وقد لَوَّعَنى ... شـوقىَ القاتلُ والحبُّ الدفينْ

أتراهـا تعتـريكُـم مثـلنـاَ ... لوعةُ القلبِ شَجّتهُ كلَّ حينْ

فـإذا ذقتـمْ عذابـاً مسَّنا ... وطغى الوجدُ من البيْنِ اللعينْ

فاذكرونا مثلمـا نذكُركُـم ... رَبَّ ذكرى أغْدَقَتْ للظامئينْ

أما الأمر الثالث الذى يؤكد أرتباط الشاعر بالقديم العذرى فهو تلك النزعة الموسيقبة التى تنساب عذوبة وانسجاما فى أبيات الديوان كلها، وهى ظاهرة لا تلازم إحساس الشاعر بالسعادة فحسب، فالعذريون قليلا ما يفعلون ذلك، ولكنها تلازم كل عواطفه المتقلبة، فهو يستشعر جمال الكون وتهتز نفسه وتطرب لكل لحن جميل، حتى وهو يشكو الهجر والنوى . يقول محّيياً موسيقى بحر المتدارك الثرية :

يـا بـدرَ الليـلِ متـى يُوفِـى ... محبـوبُ القلـبِ وأسْعِـدُهُ

يا ويحِـى ضاعَ ورا أسفى ... محبوبُ الأمـسِ ومَوْعِدُهُ

وبعد فإنني أحيى شاعر الكويت الكبير عبد العزيز البابطين على ديوانه الممتع الذى لم تتناول قراءتى له سوى جانب واحد من جوانب عديدة فيه تستحق الدراسة الجادة .

صدى التراث الشعرى

فى ديوان «بوح البوادى»

بقلم : خليفة الخيارى **

أصدر رجل الأعمال الكويتى عبد العزيز سعود البابطين صاحب جائزة الإبداع الشعرى، ديوانا شعريا بعنوان : «بوح البوادى» عن مطبعة المركز الثقافى العربى (بيروت 1995) ويذكر فى تصدير الكتاب أنه استمدّ هذا العنوان من خلال رحلات الصيد فى الصّحارى والبوادى العربية والأجنبية(1) . وقد آثر الشاعر فى وقت تدخل فيه القصيدة العربية تجربة ما بعد الحداثةو أن يستردّ سنن الشعر وأغراضه المتداولة فى حقبة تسبق الحداثة بقرون . فإذا سلّمنا بما صرّح به الشاعر فى تقديمه، جاز لنا مبدئيا أن نعتبر هذه القصائد من صنف الطّرديات ما دامت مستلهمة من رحلات الصّيد . إلاّ أن المتمعّن فى سياقات القول الشعرى لا يجد أثرا لا لعتاد الصيّد ولا لملاحقات حمر الوحش والغزلان ... وإنما يلاحظ هيمنة مجموعة من المواضيع ذات الطابع الوجدانى لا صلة لها بمصدر الإيحاء الذى ذكره الشاعر . بل بالتّقاليد الشعرية القديمة فى شكل صياغتها ومحاكاة أغراضها واستحضار بعض نماذجها الراسخة سواء من خلال التلميح إلى فترة معينة، أو الإشارة إلى تجربة شاعر بعينه أو استحضار ألفاظ شعرية ترتدّ بالذاكرة إلى مرحلة مّا من مراحل تطوّر الشعر العربى القديم .

---

* نشرت هذه الدراسة بمجلة «الإتحاف» التونسية – العدد ٦٤ ديسمبر ١٩٩٥ .

** ناقد اتونسى .

أ - التعلق بعمود الشعر ولوازمه :

لا توجد فى كامل المجموعة الشعرية قصيدة واحدة تخرج عن سنن الشعر العربى القديم . والشاعر فى تمسكه بعمود الشعر كان ملزما باعتماد مختلف المبادئ التى أقرها النقاد القدامى . وأولها البحور الشعرية : وقد استغلّ من مجموعها سبعة بحور أكثرها استعمالا الوافر (16 قصيدة) يليه الرّمل (15 قصيدة) . فإذا راعينا عدد القصائد المضمّنة فى الديوان (51 قصيدة) يكون هذان البحران قد هيمنا على نصف العدد الجملى . أمّا بقية البحور فنسبة اعتمادها محدود جداً، حيث تكّرر استعمال البسيط (ثمانى مرّات)، يليه الطّويل : (خمس مرات) وفى المرتبة الخامسة يستعمل الكامل والخفيف فى ثلاث قصائد لكل واحد منهما . أمّا المتدارك فلم يعتمده سوى فى نصّ شعرى واحد والملاحظ أن الشاعر يميل أكثر إلى البحور التى تتساوى فيها نسبيا المقاطع الطويلة والقصيرة، أو التى تطغى فيها المقاطع الطويلة : (الرمل)، ونادرا ما يشطر البحر أو يستعمله مجزوءا، أمّا المنهوك فلا يستعمله إطلاقا .

ولم يتجاوز الشاعر أيضا ظاهرة التصريع فى ثلث مجموع القصائد . فى حين أنه حاول تنويع القوافى فكانت على ثلاثة أصناف : الصنف الأول من القصائد يحافظ على القافية الموحدة فى كامل الأبيات المتتالية . والصنّف الثانى وهو قليل الشيوع يستلهم بنية الموشح الشرقى حيث تتحوّل القافية بعد كلّ بيتين تفصل بينهما لفظة متكررّة ولازمة .

اذكريني كلّما حنّ الفـــؤاد   وبدت بالأفق ذكراى تطـوف

وإذا ما أتعب القلبَ البعـــاد   وتوارى قمرى عند الخسوف

اذكريني

اذكريني عندما تبدو الغيـــوم   فى سمائى وبها الطّائر غرد

ليناجى خِلّهُ فـوق النّجـــوم   مستثارا هائما للحبِّ أنشـد

أذكريني (٢)

ويظهر الصنف الثالث فى قصيدة واحدة . وهو أيضا يحاكى بنية الموشح الأكثر شهرة . وتنقسم القصيدة إلى مقطوعات تتألّف كلّ واحدة من أربعة أبيات تتحدّ ثلاثة منها فى قافية . وينفرد الرابع بقافية مخالفة تتكرر فى نهاية كلّ مقطوعة :

أحــقــاً مــا ســمـعــت بما أتانى

وحـــقّا تلك، أم لعب الـزمـــان

يموت رفـيق عـــمـرى، عــزّيانى

فلا عيشى يطيب ولا وجودى(٣)

وكيفما كانت أشكال التنويع فإنها تظل فى منأى عن رأوة التجديد وملمح التعصير . ومنتهى ما تؤديه من دور لا يتخطّى دور القالب الفنى المرتب للتعابير أو بالأحرى الإطار الخارجى المنضّد لنهايات الأعجاز .

2- مجالات القول ومدارات التعبير :

إن أكثر ما يثير الانتباه فى مضامين هذا الديوان يتمثل فى انحصار الأغراض الشعرية فى مجالات عتيقة لا صلة لها البتة بزماننا، وانفصال مقالاتها شبه الكلّى عن مقامات الشعر المعاصر . ولئن كان لا يخلو عصر من ذكريات ماضية وأشجان مثيرة للأحاسيس الإنسانية، ومظاهر خلابة دافعة النَّفْس للتغنى بروعة الخلق، وحوادث فاجعة مرعبة تُشْكَى ويذمّ الزمان ويسبّ الدّهر من جراء ما تتركه من آثار قاسمة ولوعة .. فإنّ التعبير عن تلك الأحاسيس وتلك المظاهر وتلك الحوادث لابدّ أن يتغيّر بتغيُّر معطيات الوجود، وأن يتجدّد بتبدّل الأزمنة والأمكنة إلاّ أن مدارات التعبير عن تلك الأغراض فى «بوح البوادى» لم تختلف عمّا كانت عليه فى الشعر العربى حتّى القرن السادس الهجرى . والعنصر الجامع لها أنها تلتقى حول ما يحسّه الشاعر فى ذاته وبموحيات نابعة ممّا يتعلق به وحده دون اعتبار للمحيط الذى يعيش فيه ودون ذكر للشواغل والقضايا الإنسانية السائدة فى عصره وتتوزع هذه الإغراض الحميمية على أربعة مجالات :

أ - استحضار الماضى من الأيام والحوادث :

وهو المجال الأرحب الذى خصّه الشاعر بأكبر عدد من القصائد . ولمّا كانت أغلب القصائد مستلهمة من رحلات القنص ، فإنها ستكون بالطّبع وبتأثير الطبيعة مشحونة بالأحاسيس والانفعالات التى هى رجع صدى لرحابة الفضاء وعذرية الطبيعة ونقاوتها . وهو ما يدفع النفس إلى استرجاع الماضى

وتذكّر الحوادث الجميلة التى تظل عالقة بالوجدان . والشاعر لم يترك حادثة ماضية إلا واستحضرها : (اللقاء/المواعيد/مواطن الافتراق/جلسات الودّ/الرفاق/الحبّ/ملامح المعشوق/العتاب/التناجى ..ألخ) :

سل وادى الحبّ واسأل وردة فيه عن اللقاء الذى لو عاد يرويه

تخضرُّ أرض ويزهو فى جوانبه شيح وينمو الخزامى فى روابيه

لقيا تحدث عنها النجم ردها للقادمات من الأيام فى تيه

ذكرتها من صميم القلب أذكرها والحب تأبى يد الأزمان تسفيه(4)

ب- البينُ وفراق الأحبّة :

وهو مجال لا يقل أهميّة عن المجال السابق، بل إنه امتداد طبيعى له ووجه من أوجه التعبير عنه، ذلك أن الحديث عن مفارقة الأصحاب ونأى الأحباب لا يرد إلا فى صيغة الماضى . فالحديث عنه من باب استحضار ما مضى وتذكر ما انقضى :

نكأت الجرح يا زمنى بوصل كومض البرق أسرع فى فلاة

طواها المحل أعواما عجافا فجاء الومض بشرى للحياة

أيوم الوصل تعدل فى حياتى سنين البيْن تلك القاتلات(٥)

ح- الرّثاء وشكوى الزَمان :

وهما غرضان يلتقيان فى الشعر دائما لترتّب أحدهما عن الآخر .

والشاعر عادة ما يجد نفسه فى صدام مع الزمان حينما يأخذ منه حبيبا أو يفجعه فى شيء قريب من نفسه . وفى هذا الديوان ارتبطت الشكوى بمجالين: مجال الهجر ومجال الفقد فالشاعر يشكو زمنا خلوا ممن أحبّ ويعتبره أسوأ زمن :

يهزّنى الشوق والآهات تنفجر وتحتوينى هموم يوم ذكراك

وتعصر القلب آلام مبرّحة يزيدها اليأس إيلاما كأشواك

وينزوى الصبر مشدوها بزاوية من الفؤاد دهته أنّة الشاكى

. . . .

هى الحياة شديدات مضايقها وذروة الهمّ لا أحظى بلقياك(6)

وفى مجال الهجر يتنزل شكوى الزمان منزلة ثانوية مقارنة بالدوافع التى أدتّ بالشاعر للثورة على راهن حاله، أمّا فى مجال الفقد، أى الرثاء فالشكوى تلتبس بدافعها بحيث يحدث ما يشبه التعادل بين التعبير عن المفقود ووصف سطوة الأيام على أحاسيس الشاعر :

أيا قبر الرّفيق أخا الغوادى

ترفّق بالشهيد، فللعوادى

مرامات بنا، فهى الأعادى

سلام الله يا روح الفقيد(٧)

د- التغنى بجمال الكون :

كان من المفروض أن ينال هذا المجال حظا أوفر باعتبار الموحيات التى ذكرها الشاعر فى التصدير . إلاّ أن الأمر كان عكس ما يفترض لسببين اثنين : أولهما أن الطبيعة الخلابة فى شعر عبد العزيز سعود البابطين دائما تكون مثار ذكرى بحيث يخالط نقاوتها بين الحبيبة، فتوحى بعكس ما يتوقّع:

ومفتون بذكر الحبِّ يغـــرى ... بنا الشوق القديم وليس يخـمد

يهيّج فى الحشا منى القوافى ... فتسرى فى انطــلاق لا يقيّـد

فتسكبها طيور الروْض لحنـا ... يغنيـــه الربيـع هـوى مـــردّد

. . . .

وتهـتـزُّ الـرّوابـى مائسـات ... وقد رقص الجمال بها وأنشد

وتشجينا النسائم حين هبّـت ... تدغدغ ماضيا ولّى وأبعـد(٨)

وثانى السببين أن الشاعر لا يخصّ المنظر الخلاب بمجال شعرى مفرد وإنما يأتى الحديث عنه فى سياق أعمّ، ومنها السياق السابق الذى ينتهى مداره عند حدود ما يعكسه ذلك المشهد فى ذاته التائقة إلى الحبيب المفتقد.

والأغراض الأربعة إذا جاز أن نعتبرها كذلك مفصولة عن بعضها البعض، تقليدية نصيبها من الشعر العربى القديم وافر جداً ، ومجارى القول فيها تختلف فى عصرنا تماما عمّا كانت عليه يومئذ، لذلك لا يمكن

فهمها إلا على أنها من قبيل الصنعة الشعرية فى مستوى المضمون .

3 - الأسلوب الشعرى :

ليس هدفنا من هذا العنصر البحث عن خصائص أسلوب هذا الشاعر، لأن المدونّة المدروسة غير مؤهلّة لتكون مصدرا لذلك باعتبارها تجمع قصائد كتبت فى مراحل متباينة من تجربته . وإنّما نريد منه الإشارة إلى مظاهر التعّلق بالبيئة العربية القديمة فى مستوى العبارة الشعرية . وقد أمكن لنا رصد تلك الظاهرة فى نوعية الألفاظ والتراكيب وترديد العبارات الشعرية القديمة الجاهزة .

فمن الألفاظ المتردّدة فى «بوح البوادى» والمألوفة فى أشعار القدامى ما يتعلق بالعشق كالوصال والنأى والطّيف، والعذول والصبابة، والجوى، والتوجّد، والتسهيد .. فإذا كان من باب الإغراب فى التأويل تنسب هذه الألفاظ إلى الشعراء القدامى دون المحدثين، فلأن العشق بهذه الكيفية يختلف تماما عن أشكال التواصل العاطفى بين الجنسين فى عصرنا . وإذا سلّمنا بأن التعبير الشعرى عن الإحساس العاطفى لدى الإنسان طيلة هذه الأحقاب المتتالية لم يتغيّر ولم يتلوّن، نكون قد أكّدنا إحدى فرضيتين : إمّا أن الإنسان العربى لا يتطوّر بتطور الحضارات وتغيّر الأوضاع وإمّا أن الأنسان يتطّور والشعر العربى غير مواكب لتطوّر أحاسيسه . وكلا الفرضيتين تتعارضان تماما مع السيّرورة التاريخية للوجود الإنسانى واللغّة باعتبارها ظاهرة حيّة ملازمة له .

ومن التراكيب التى تستحضر فى ذهن القارئ قصيدة معينّة أو تقليدا شعريا معروفا .. نكتفى بثلاثة نماذج .

أ ـ الوقوف على الأطلال :

وهى ظاهرة تعبيرية موغلة فى القدم تعود إلى العصر الجاهلى ومعروفة فى المعلقات . ومنها مطلع معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

ونجدها فى هذه المجموعة تستجيب لمواصفات هذا النمط من المطالع القديمة مع فارق ضئيل يتمثل فى تغييب الدوافع الطبيعية للتذكّر كالمنازل والعرصات .. إلخ

قفا نذكر الأيام والوصل صافيا ووداً عفاه الدّهر أبعد نائيا (٨)

ب- مخاطبة الخليلين :

وهما شخصيتان تلازمان الشاعر . ويكثر القدامى من مخاطبتهما دون تحديد هويتهما أو التعريف بهما . وفعل الأمر فى بداية بيت امرئ القيس المذكور فى صيغة الأمر موجّه إليهما . وفى «بوح البوادى» هناك عشرات التعابير الموحية أو المصرّحة بالخليلين ومنها :

- **خليليّ لن أنسى على الدّهر ودّها ... (ص٢٦)**
- **يا نديمَيْ غَزَلَــى ..... (ص٣١)**

- **علّلاني بوصال مرتجى ... (ص٣١)**

- **يا خليلي ألا رفقا بنا .. (ص٦١)**

ج- ترديد التراكيب والصيَغ التعبيرية الجاهزة :

ومن التراكيب ما كان يستعمل فى القصيدة القديمة لغرض محددّ كاستعمال فعل دعاَ -يدعو فى صيغة الأمر للتخّلص من مجال قول ثانوى إلى مجال جوهرى فى نفس القصيدة . ومثلها فى الديوان قول الشاعر : «دعى الملام فإنّ اللّوم أرهقنى» (ص63) .

أما الصيغ التعبيرية الجاهزة المتردّدة فصنفان : صنف عامّ يرتبط فى الذهن بصيغ شعرية قديمة مردّدة فى أكثر من قصيدة . مثل صيغة التمنىّ فى العبارة التالية : «ألا ليت شعرى هل تعودن ليلة» (ص26) . والصنف الثانى خاص يستحضر فى الذهن نصا شعريا محددًا أو أسلوب شاعر معين ، ومن التعابير المستدعية لقصيدة محددّة، قول الشاعر مشبها فى مطلع قصيدته : «الجمال الناعس» .

هاجنى الوجد لأزمان خلت كزمان الوصل بالأندلس (ص١٣)

وقوله فى مطلع قصيدته : «والهوى ثالثنا» :

جادك الغيث حبيبى إذ همى وسقى الغيث مراعى المقل

وفى بيتها الختامى :

يازمانا قد تعفى وانقضى جادك الغيث بشهد العسل (ص ٤٠)

هذه الأبيات المتفرقة والمتباعدة لا نعتقد أن مطّلعا على مدونة أشعار العرب يتملاها دون أن ترد فى خاطره الرائعة الشهيرة للسان الدين بن الخطيب :

جادك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما فى الكرى أو خلسة المختلس

ذلك أن التجاوب بين الصيغتين التعبيريتين جليّ واضح المعالم فى الألفاظ المفردة.

(جاد / همى / الغيث / زمان .....) وفى التراكيب : (مخاطبة الزمان / تعدية فعل جاد ...) وفى البحر الشعرى : (الرمل فى كلا القصيدتين).

ويمكن اقتناص النموذج الأمثل لاستحضار أسلوب شاعر معين من قصيدة : ‹‹ وعود ›› حيث تعود بنا الذاكرة حالما نقرأ مطلعها :

لاتعذلونى فإن العذل يقتلنى يامن قسوتم على روح قضت سأما

إلى أسلوب محمد بن زريق البغدادى فى قصيدة مشهورة يقول مؤرخو الأدب إنه قالها عندما غادر بغداد فى اتجاه الأندلس للارتزاق ومات هناك .. ومطلعها :

لاتعـذليه فإن العـذل يولـعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

جاوزت فى لومه حدا أضرَّ به من حيث قـدرت أن اللوم ينفعه

[.....]

الله قسم بين الخلق رزقهم لم يخلق الله مخلوقا يضيعه (٩)

ومهما يكن من أمر هذه التراكيب المرددة وهذه التعابير الجاهزة ، فإننا لا يمكن أن ندعى عدم مساهمتها فى تغريب هذا الديوان عن واقع الشعر العربى ، وحاضر اللغة العربية بصفة أعم . وذلك أخطر مأخذ أسلوبى يحدُّ من جماليات هذه النصوص الشعرية . لأنها إذا أضيفت إلى الأغراض التى انتقى الشاعر القصائد الخاصة بها عن وعى ودراية ، وإلى تمسكه بالسنن الشعرية القديمة على مستوى الشكل ... يمكن أن يستشرف منها القارئ ملامح الهوة التى تفصل بين الشاعر ووجدانه ، فهو يعيش الحاضر بقضاياه وشواغل الإنسان فيه بجسده ويعيش الماضى بأحاسيسه ومشاعره ، ومن شأن هذا الانفصال أن يشكك فى التلازم الحتمى والحميمى بين التجربة الوجودية والتجربة الوجدانية.

*** الإحالات :**

١- عبد العزيز سعود البابطين : بوح البوادى - ط ١ - المركز الثقافى العربى (بيروت ١٩٩٥) - ص٥ .

٢- أذكرينى - ص ١١

٣- أحزان - ص ٥٣

٤- حنين - ص ١٥

٥- نكأت الجرح - ص ٢٣

٦- شكوى - ص ٢٧

٧- أحزان - ص ٥٤

٨- وفـــاء - ص ٣٧

٩- انظر نص القصيدة كاملة فى كتاب : أدبيات اللغة العربية - اعداد محمد عاطف ومحمد نصار - الجـزء الأول - المطبـعـة الأمـيـرية (مـصـر ١٩٠٦) - ص ٣٠٣ - ٤٠٣ .

جود الغوادى
فى
بوح البوادى

بقلم الدكتور عبد الملك مرتاض - الجزائر

ما أيسر أن نتحدث عن شاعر عادى يحترف قول الكلمة ، ويمارس نسج الأبيات ، ليعبر بها ، وفيها ، عما يختلج فى نفسه ، ويعتلج فى جوانحه أولا ، ثم ليبث ذلك كله بين الناس فيمتعهم بالعذاب ، ويسعدهم بالشقاء ويرويهم بالظماء ، فالشعر عذاب ومتاع ، وهو سعادة وشقاء ، فى الوقت ذاته، والشعر رسيس وتباريح إن شئت ، وشجون وشؤون إن شئت ، ولكنه ، أيضا ، أحلام وآمال، وأشواق وابتسام إن شئت ، أو لا شئت .

فالشاعر العظيم هو الذى يستطيع أن ينسينا المعاناة اليومية ، والابتذالات الجارية ، فيخدو بنا ، ويحلق معنا أيضا ، فى عالم سحرى : لحمته اللفظة البديعة ، وسداه النسجة الأنيقة فى أفضية نورانية ، وفى أحياز خرافية . إن الشاعر الحق هو من يجعلنا نعيش عالمه ، حين ينشئ بين أيدينا عوالم أخرى لنا ، لم نكن نعرفها ، ولم يك لنا من قبل عهد بها .

والشاعر هو الشاعر . ولاشئ أكثر من ذلك . ولاشئ أقل من ذلك .

والشعر شعر ، ولاشئ وراء ذلك . تزول الأشكال ، وتتوارى التصنيفات المدرسية الضيقة لدى مصادفة الشعر العبقرى الذى يأبى أن

يصنف في العمـوديات ، كـمـا يأبى أن يصنف أيضـاً في النثـريات ، أو التفعيليات ..... فالشعر إذن هو الشعر . وكل تعريف سيقصر دون تعريفه ، أو تحديده ....

لكن ... ما أعسر أن نتحدث عن شاعر ينسج الكلام كما ينسج المكارم ، ويدبج الصحائف ، كما يدبج المآثر : قلمه يكتب شهدا ، ويده تمنح الشعراء والنقاد رفداً ، في زمن شحت الأيدى على المبدعين فلم يعودوا يلقون من يرعاهم .. وهذا الشاعر هو عبد العزيز سعود البابطين .

لكن ماذا عن الشعر : شعره ؟ وهلا هجمنا على نص من أشعاره فحللناه أو أولناه أو علقنا عليه ، في أدنى الأحوال ، إذا تعذر علينا التحليل والتأويل ؟ وهلا إذا ضربنا صفحا عن هذا الحديث المنصرف إلى شخص الشاعر الذى ربطناه بتشجيع الشعراء الذين بدون هذا التشجيع ، وتلك الرعاية ، لايستطيعون الحياة إلا في شئ من الشقاء ، والعيش إلا في شظف...؟

وعلى أننا لا نبتغي أن ينزلق بنا الحديث إلى إشكالية انتماء النص أو غير انتمائه إلى مؤلفه ، ولا أن نناقش فوكو وفاليرى وطودوروف وسواهم من النقاد الفرنسيين الحداثيين الذين كانوا يزعمون أن المؤلف مات ، وأنه تفصيل لاجدوى ورائه ، وأن النص وحده هو الموضوع ، وهو وحده الذى ، إذاً ، يجب التوقف لديه ، والاحتفاء به ... فتلك أفة في معظمها عبثية قررت نتيجة لإصرار الاجتماعيين والنفسانيين على ربط الإبداع بالمجتمع

الذى نبت فيه ، بل لإصرار أولئك وأولاء على ربط المبدع ببيئته وزمانه ، بل بعرقه أيضا . وهو مذهب غير مقبول ، لأنه يفضى إلى الطوائل، وينشأ عنه الوقوع فى النزعة العنصرية المحرم الاعتقاد بها إنسانيا . فهذه الافكار (ولا أودُّ أن أطلق على مـا كـان ينسج بين من أقـاويل : نظرية نقـدية) استعمارية ، عنصرية ، بغيضة فى عنصرها الثالث على حين أن فكرة النقاد الحداثيين الفرنسيين ، هى أيضا غير مقبولة فى جملتها وتفصيلها لانها نسجت على عجل ، ولأنها قررت على عبث ، ولأنها لم تنهض ، قط ، على ما ينبغى أن تنهض عليه النظرية النقدية من تأسيس وتأصيل ، وليس علينا أن نتقبل كل ما يقرره أهل الغرب دونما نقد ولا تمحيص ، فنوشك أن نضل ضلالا بعيدا .

وإذا فنحن حين أومأنا إلى الشاعر ، ونحن نزمع الحديث عن شعره ، لم نكن نبتغى ربطه لا ببيئته ، ولابزمانه ، ولابعرقه ، كما أننا حين أومأنا إليه لم نكن نبتغى البرهنة على ضرورة ربط الإبداع بالمبدع ، ولا المبدع بالإبداع ... فإنما هى إذن إيماءة إلى تسجيل موقف هذا الشاعر للتنويه به...

ولنعد الآن إلى ديوان بوح البوادى الذى عقدنا هذا الحديث لنتناوله فيه ، ولنقدمه الى القراء تقدمة عجلى ، وهو الديوان الذى صدر ببيروت منذ شهور مشتملا على اثنتين وخمسين قصيدة ينتمين جميعا إلى ما يعرف فى التصنيف المدرسى الشعر العمودى .

وعنوان الديوان، إذا حق لنا الابتداء منه فى هذه القراءة العجلى، يجسد روح هذه القصائد البالغ عددُها اثنتين وخمسين : بكلّ ما فيها من صفاء البادية، وصدق العاطفة، ولوعة الشوق، وتباريح الصبابة التى نعهدها فى الرجل العربىّ منذ الأعصار الموغلة فى القدم . ولا تلبث هذه الصفات المتخفية أن تتكشف فيقع البوح بها، كما تبوح البادية المكشوفة بأسرارها البسيطة التى لا تخفى على الناس . إن كلّ ما فى البادية مكشوف كانكشاف فضائها الممتّد، وحيزها الشاسع وإذن، فكأن ما فى هذه القصائد لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر الحياة العربية البدوية الأصيلة فى بساطتها، وبراءتها وعفويتها : مما يجعل كلّ ما يقع، أو معظم مايقع، فيها باديا لنا ، شائعا بين الناس، متداولا بينهم منتشرا .

أما نحن حين جئناإلى هذه القصائد نقرؤها، لنسجّل بعض أطوارها فى هذه المقالة، فإننا تلطفا لها أردفنا عنوانها بعبارة تتلاءم مع طبيعة عنوانها هذا، وتقترب من دلالتها على الأسلوب التراثى الذى كان كُلَفَةً بالتناصّ، فى مثل هذه الأطوار : فيظارف ويلاطف، والعبارة هى : «جودُ الغوادى» . وبعض ذلك اغتدى عنوان هذه المقالة على ما هو عليه . وقد وظفّنا السجعة وما تتركب منه لتتلاءم مع لغة البادية، ولتليق بإيقاعها، ولتقترب من لغة أعاريبها .

وقد لاحظنا أنّ هذه القصائد الاثنتين والخمسين - وهى مدونة هذا الديوان - تكاد تتناول محورا واحدا هو موضوع الشوق والحنين، كما

يتجسد ذلك مثلاً، فى قصائد «اذكرينى»، و«حنين»، و«يبقى الشوق»، و«رياح الشوق»، و«شكوى»، و«القلب الظامى»، «وتباريح»، وهلم جرا .

ولعل هذه القصائد أن تمثل تجربة الشاعر فى شئ من الصدق العاطفى باد، فهو يصور فيهن تجربته، يمارس عبرها التعبير عما يحسّ، وعما يهوى، وعما يتخوف منه، وعما يقلقه ويعذبه .. وإنما قلنا : تمثل تجربته لأنّ البابطين لم يخرج عن معاناته من حب، وشوق إلى حبيب، ومن ممارسات الصيد والنزهة .. فكان صادقا مع نفسه، وصادقا مع الناس أيضا فى تجربته فلم يلتمس ما لم يعنه من الموضوعات والتجارب فى شعره .

ولما كان من العسير علينا، وقد أَلفنا أن نحلل القصيدة الواحدة فى كتاب كامل، بل ربما فى كتابين اثنين (كما حلَّلنا ذلك فى تحليل قصيدة «أشجان يمانية») أن نتناول هذا الديوان بحذافيره، فقد كان لا مناص من أن نتوقف لدى قصيدة واحدة منه هى «عيون النرجس» . وعلى أنّ اختيارنا إياها لم يك على أساس أنها أفضل ما فى الديوان، فهناك قصائد أخرى لا تدنو عنها جمالا، وإنما اخترناها من بينهن جميعا لأنها أَسَرتنا من أول وهلة القراءة . وقد يكون لك عائدا إلى شدة ارتباطها بالتراث الشعرى، واعتمادها الإيقاع التقليدى للموشحات، وتوظيفها لألفاظ لطيفات المواقع، جميلات المخارج، شعريّات الظلال .

فالأولى : أن هذا الوزن التقليدى لإيقاع الموشحات الأندلسية، كما خلّدها أبو بكر بن زهر وابن الخطيب، وسواهما من كبار الوشّاحين، يستفز النفس ويحملها على الطرب والارتياح لما فيه من توالى الإيقاعات، وخفّتها،

وخفّتها، وتداركها، وتسارعها،و كأنها معزوفة سمفونية مشبعة بالأنغام

والثانية : ما فى هذا النص الشعرى من تناص يستلهم موشحة ابن سهل، شاعر إشبيلية وسبتة (ابن خلدون، المقدمة، ص. 1147) والذى يقول فى بعضها :

هل درى ظبيُ الحِمَى أن قد حَمَى ... قلبَ صبّ حلّه عن مكْنَسِ

فهو فى حرٍّ وخفْقٍ مثل ما ... لعبت ريح الصَّبا بالقَبَس

وهى الموشحة التى تناصّ معها ابن الخطيب ففاقها، وخصوصاً حين خُلِدَّتْ بالغناء، والتى مطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس

ونصّ البابطين يتناصّ خصوصا مع بعض موشحة ابن الخطيب تناصّا واعيا، وموظفاً، توظيفاً فنيا، كما يتمثل ذلك مثلا فى قوله : «خلس»، «عيون النرجس»، «كزمان الوصل بالأندلس» . أرأيت أنّ ابن الخطيب يقول : «المختلس» (أو خلسة المختلس)، «عيون النرجس»، «يا زمان الوصل بالأندلس» .

إنّ التناص مع هذه الموشحة الخالدة، الطائرة الذكر، الذائعة الصيت، يجعل قصيدة «عيون النرجس» كأنها ملحقة بجمال هذه الموشحة، ويحملك على تمثلها مندمجة فى تلك الإيقاعات المتباينة والأنغام المذابة، والحق أن نّص البابطين هو الذى يبعث فى الذاكرة نص ابن الخطيب . ولأن النصّ

الأول يتمثل فى الآخر فإنه يجعلك تنتظم فى فضاء شعرى بدبع مفعم بالجمال والمتعة .

والأخرى: أن هذه الألفاظ الشعرية التى بنى الناصّ بها نصّه الشعرىّ، والتى دأب كبار الشعراء على اصطناعها فى أشعارهم مثل : هاجنى، والوجد، والعذاب، واللهفة، ونار تحرقنى، ولهيب النار والصبوة، والضّم، والهمس، والذوىّ، النأى، والذكريات، والرسم الدارس، والعطر، والجمال الناعس، والندامى ... من المغريات التى أغرتنا بالتوقف لدى هذا النص والاحتفاء به . نقرر ذلك على الرغم من أننا لا نعدم من يتسامح اليوم ويتساهل فى بناء اللغة الشعرية بحيث لا يرعوى أن يصطنع أرذل الألفاظ وأخسها، وأشدها ابتذالاً فى الحياة اليومية فيما قد يزعم للناس أنه شعر . ومن الواضح أن أمثال أولاء الناس يسقطون فى السهولة، كما يقول الفرنسيون، حين يعتقدون أنهم يستطيعون كتابة الشعر الجميل حقا بلغة يومية عادية مبتذلة مثل العدس والبصل والثوم والشعير .. إننا لا نقبل . هذا المذهب، ونراه حسيرا سقيما، إذ ما كان الشعر شعرا إلاّ لما تتميز به لغته أساسا من جمال فى النسج، وأناقة فى الأسلوب، والاّ لما أَعْجَزَ أيًّا منا أن يغتدىَ شاعرا، وهذا أمر مستحيل .

وإذن، فإنما قلّ الشعراء العظماء لأنّ اللغة الشعرية كثيرا ما تستعصم أمامهم، وشدّ ما تستعصى عليهم وقلمّا تستقيم السبيلُ بها لهم، ويستوى الطريق لها لديهم، ونحن حين نجئ لرصد اللغة الشعرية فى قصيدة «الجمال

الناعس» للبابطين نلفيها، في معظمها، لغة شعرية أنيقة، جميلة، موظفة في مواطنها، ومُجْتَعَلَةً في أماكنها التي تَقَرُّ فيها فلا يقلق بها المقام، ومن ذلكم، كما كنا لاحظنا بعض ذلك منذ قليل، هاجني الوجد - زمان الوصل - ندا ماى - أرشف الخمرة - من عذب اللمى - تناغيني عيون النرجس - لهيب النفس (بفتح الفاء) - وسكون ضمّنا - عللاني بوصال - ذكرياتي غربت - عطر فاح بالدرب - الجمال الناعس ..

الصورة والتصوير

ليست اللغة، حتى في حال وفور جمالها، واستواء كمالها، وامتثال انهيالها، هي العنصر الوحيد الذي يضع القصيدة الشعرية الجميلة، فقد تكون مفردات اللغة بالغة الجمال، ولكنها تكون قلقة الأماكن، شاحبة الدلالة، عتيقة المعاني، رديئة الانتظام داخل النسج الشعري فإذا هي كخضراء الدمن . وإذن، فلامناص من أن يُوفَّرَ لهذه اللغة سلوك شعري آخر هو القدرة الاحترافية على التصوير المذيع بحيث إن اللغة تغتدى، ونحن نقرؤها، كأنها - على القِدَم والبِلى - جديدة فتيّة، وعلى القرب بعيدة المنال، وعلى السهولة ممتنعة مستعصية . وإنما الذي يمكنّها من ذلك، كما أسلفنا القول، إنما هو التصوير البديع، والتعبير الأنيق، والنسج القشيب، فألفاظ مثل الوصل، والوجد، والرشف، والخمرة، والعطر، والجمال ... وردت في مئات من القصائد، منذ مئات من السنين .. وإنما الصعوبة تكمن في سعي الشاعر وكيف يستطيع أن ينفض عن مثل هذه الألفاظ الشعرية

التى كأنها محنّطة بظلام الزمن : غبارَ القِدم، ورتابة الابتذال، ويرقى بها إلى مستوى الشعرية الرفيعة بتحميلها بما لم تكن تحتمل، وشحنها بما لم تكن تشتحنه من دلالات وظلال، فإذا نحن كأننا نقرؤها لأول مرة، وكأن الشاعر الفحل أنشـأها إنشاء جديدا لم يُسبَق إليه .

ولما كانت طبيعة هذه القراءة تقتضى التعريف أكثر مما تقتضى التحليل والتشريح، فإننا سنضطر إلى التوقف لدى البيت الأخير فى قصيدة «الجمال الناعس»، وهو :

غير عِطْرٍ فاح بالدرب الذى .... مرّ فيه ذو الجمال الناعس

حيث إن هذا البيت تتزاحم فيه مشكِلاتٌ لصورة أدبية بديعة مركّبة من عناصر مختلفة تتضافر، آخر الأمر، بحذافيرها لتشكّل هذه الصورة الأدبية:

فالأولى : أننا نصادف فيها حركة حيزّية تتمثل فى هذا الدرب الجميل،الذى يشبه الطريق السحرىّ، والذى يسلكه هذا الكائن اللطيف الجميل .

والثانية : أنّ هذا الدرب لم يكن طريقا مسلوكا عاديا تمرّ به، أو فيه، فلا يلفتك إليه شئ، وإنما هو درب مضمّخ بالعطر، متضوّع بالمسك، فكأنه حيز امرئ القيس المضمخ العجيب :

إذا قامتا تضوّع المسك منهما ... نسيمَ الصَّبا جاءت بِريَّا القرنفُل

يبد أنّ عطر البابطين وُظِفَ على سبيل القلب فإذا هو لا يصدر عن هذا الكائن الإنساني ذى الجمال الناعس، وإنما الطريق الذى يسلكه هو الذى اغتدى عِطَراً كله، وكأنه تعطّر للاحتفاء بهذا الجميل، والاحتفال بمروره فيه . وواضح أنّ الكلام كله ماضٍ فى ذلك، كما قلنا، على سبيل القلب، أو ليس هذا الجميل المتعطر هو الذى أفعم هذا الدرب عطراً، وأغرقه شذًى، حين مرّ به ؟

والثالثة : أننا بعد أن صادفنا دربا مسلوكا، وعطرا مستورا، نصادف كائنا لطيفا جميلا عجيباً يتوهج فى هذا الحيز العبق لتكتمل الصورة الأدبية المركُّبة التى بعضُها خبرى، وبعضها إنشائى، وبعضها الآخر نثرى، لكن كلّ هذه العناصر تغتدى سحريا لهذا الكائن البشرى العبقرىّ الجمال، الناعس العينين .

والأخرى : أنّ التكثيف الذى خُتِمَ به هذا البيت منح الصورة الأدبية جسامة وأناقة وكثافة فإذا المعانى تتزاحم من حول لفظين اثنين كلّ منهما يحيل على شبكة من الألفاظ غائبة . وقل : إنّ النص الماثل يحيل على النص الغائب، أو على اللانصّ، وتلك هى سيرة اللغة الشعرية التى من أسسها المتفق عليها بين معظم النقاد هى التكثيف والإيحاء . أرأيت أن النص إنما كان يريد بقوله :

مـرّ فـيـه ذو الجـمـال الناعس

إلا أنّ الذى مرّ بهذا الدرب كان غاية فى الحسن والجمال، وأنّ من

بين الصفات التى يفتن بها عينَيْهِ الناعستين، فأولج اللفظ فى اللفظ، تعويلا على ذكاء ذهنه ولطف فهمه ؟

وبعد، فإنَّ ما كتبناه في هذه الأسطار لم نكن نريد به إلى تحليل للنص أو قراءة أو تأويل، فذلك أمر يفتقر إلى عمل آخر أرصن وأعمق وأغنى، وإنما أردتُ به إلى شئ من التعريف بهذا الديوان الذى نأمل أن يلقى عناية من النقاد والدارسين والقراء جميعاً .

القسم الثانى

الديوان فى الصحف والمجلات الأدبية

بوح البوادى

بقلم حمود البغيلى

أربعون سنة من الكتمان للمشاعر والأحاسيس اللصيقة بالروح تتفجر أخيرا لتصبح (بوح البوادى) .

أربعون سنة والعناق لم يفض بين الزهرة البكر والقلب المخضب بزهرة «الجحيل» وردية النظرة .

فبعد كل هـــذا الســفر على بســاط «الروض الأخضر» يأتى الشاعر عبد العزيز سعود البابطين ليعلن «البوح» تلبية لرغبة الإلحاح من الأصدقاء يوثق نفس الصحراء وعطر الخزامى وبسمة «الدبل» عند الصباح .

يقول البابطين :

«لم يدر بخلدى يوما ومنذ بدأت رحلتى قبل أكثر من أربعين سنة أن أصدر ديوانا يضم قصائدى» .

هكذا يبدأ الشاعر «أبو سعود» مقدمة كلمته الصريحة والواضحة حيث يكتشف القارئ بعدها أنه أمام تجربة طويلة وخبرة عميقة فى رياض الشعر و«خبارى» العطاء فالشاعر يعتقد أن تلك التجارب مشاعر وأحاسيس خاصة به وحده ويعتبرها من خصوصياته اللصيقة به ولا حاجة «للآخرين بالاطلاع عليه» .

لكنه البوح وبوح من؟!

---

* صحيفة القبس ـ الأربعاء ٢٥/١/١٩٩٥ العدد ٨٠٢٥

بوح البوادى الشاسعة المنبسطة.

بوح السهول والوديان القفار .

بوح البدوى صاحب الخيال الخصب والجبهة السمراء «بوح العطاء»

بوح ستين قصيدة موزعة بين «الحب القديم» و«عمق الزمن» و«جمر الظنون» ليختتمها فى «رحلة على أنغام الناى» .

بوح البوادى*

بقلم ناصر كرمانى

للصحارى والبوادى تأثير على أحاسيسنا بحكم تعايشنا مع البيئة الصحراوية من حولنا، فتراه يؤثر فى الفن سواء كان تشكيلا ولونا أو أدباً ومسرحا أو شعرا .وفى ساحة الشعر مثلا نتحسس الخزامى وبيوت الشعر وجذوع النخيل الباسقات فى الصور البلاغية للشعراء .

الشاعر عبد العزيز سعود البابطين أديب عذب تأثر برمال البوادى وهو يفرشها ليلا بجوار موقد نار العرفج العطر ليراعى النجوم الدرية، ومن فنجان قهوته العبقة برحيق الهيل تتجلى معشوقته لتتمايل فى شوق مع تمايل ألسنة اللهب الذهبية وتطلب منه أن يطيب شعرها الفاحم بطيب خزامى أبياته الشعرية، فيبوح لها من أسرار البيداء فيقول :

بوح البوادىَ أهديه لمن عشقت ... صبّاً كواه النوى فى أمسنا وغد

إذ علمتنى صنوف الحب طاهرة ... كغيمة الصبح تسمو متعة الجسد

عصارة القلب أهديها لمن صبرت ... طول السنين تقضى العمر بالكمد

ليذكر العشق والعشاق كلهمو ... صبا كواه النوى فى أمسنا وغد

---

* صحيفة القبس ـ الجمعة ٥/ ١ / ١٩٩٦ ـ العدد ٨٠٩٦

بوح البوادى*

لعبد العزيز سعود البابطين

الوصول إلى مرافئ الشعر عبر أول مجموعة شعرية

بقلم فيصل السعد

كنا قد ذكرنا فى أحد أعمدة «ضوء» أن ذوات العرب تمثل أجزاء من الذات التى تشاطرت ووضعت أجزاءها فى صدور الأفراد . وأكدنا على ضرورة أن يتحدث الكاتب عن ذاته بصدق من أجل أن يكون لصيقا بالآخرين الذين يحملون ذوات مشابهة لذاته .

ورغم تأكيدنا على أحزان الأخرين وأسباب هذه الأحزان السياسية فإن هذه الثروات تكون متشابهة حتى فى العشق . إذ أن القلب العربى أعتاد على نوع من العشق بحيث ترك صعوبة فى التمييز بين عاشق وآخر فدرب العشق واحد من شأنه أن يزرع فى القلوب جميعا أو الارتياح أحيانا .

من هنا عندما نقرأ قصيدة حب تجدنا نحزن نتألم نرفع حواجبنا استغرابا لقدرة هذا الشاعر أو ذاك وأحيانا نرفض بعض القصائد العاشقة لأنها لا تمثل القصة التى عاشتها قلوبنا .

الشعر والمرأة

عبد العزيز سعود البابطين أحب الشعر ومارسه منذ صباه فرسم بواسطته كل قصص حبه وعشقه وابتعد عن المواضيع السياسية وكأنه أراد أن

* صحيفة القبس ـ الخميس ١٩٩٥/١٠/٩ ـ العدد ٨٠١٩

يؤكد بأن الشعر خلق للمرأة فقط وهذا ليس مأخذا يبعدنا عنه فكما نكون بحاجة إلى شعر سياسى نحن أيضا بحاجة إلى شعر الحب الذى يؤكد إنسانية الإنسان. مارس البابطين كتابة الشعر بصمت ولم يعرف عنه إلا المقربون له الذين أغروه مؤخرا بإصدار مجموعة شعرية مطبوعة ليقرأها الآخرون وتعلن عنه كشاعر اتخذ من القلب منبعا لمفرداته الشعرية . فأصدر «بوح البوادى» من القطع المتوسط ضمن «٧٧» صفحة تتخللها بعض اللوحات الجميلة فى المجموعة توجد خمسون قصيدة كلها تتحدث بلغة القلوب . وما استطاع الشاعر أن يمنح شعره العاشق عمومية أكثر لأنه كان يتحدث عن ذاته هو وقد استطاعت هذه الذات أن تطرب الآخرين وتقودهم إلى استرجاع حب قديم أو تذكرهم بحب جديد .

تقول شوقا فهل مازلت تذكرنا — أو هل نسيت تناجينا وذكـــرانا

وهل أبادت سنون البعد حبكمُ — وأطفئت شمعةٌ فى درب مسرانا

وبات قلبك من قلبى بمظـلمة — أم قد تجمد إحســـاس لتنسانا

أجبت لا والذى يرعى محـبتنا — لم أنس يومـــا تناجينـا ولقيانا

ثم يؤكد الشاعر بأن الصحيح من شأنه أن يفضح العشاق لأنه لا يرتدى شمسا معتمة :

فلنغتنم ليلنا فالصبح فاضحنا — ولننس بعدا فإن البعد ينسانا

ولنهنأ الآن فالدنيا بنا رقصت — منذ التقينا ونجم الحب يرعانا

لو أردنا أن نبحث عن هذه الحكاية لو جدناها يقظة فى أكثر من صدر عاشق يمزقه عتاب حبيبته .

حالات مختلفة

ورغم أن الخيط الذى يشد قصائد الشاعر هو خيط العشق الا أننا نجد فارقا كبيرا بين قصيدة وأخرى يؤكد فيها البابطين بأنه يعيش حالات مختلفة فى عشقه ولكل حالة لونها ومفردتها وصورتها . فإذا كانت المتحدثة فى قصيدته هذه هى الحبيبة فإننا نجده فى قصيدة أخرى يبدأ الحديث بشوق أو عتاب أو رجاء :

يا بدر الليل متى يــوفى	محبوب القلب وأسعــده
ومتى يا بدر تدغــدغــه	ذكَرُ الأيــام وترشـــده
يا ويحى ضاع ووا أسفى	محبوب الأمس وموعـده
قد نفد الصبر فلا أمــل	أن يحمى القـــلب تجلده
أخشى تنهار صــــلابتـه	ويذيـــب العــزم تـردده
يا ليل البــــدر أتوصلـه	بحـر الأشـواق وتــورده

هذه القصيدة تؤكد قراءة الشاعر لدواوين الآخرين وتأثره بها ، فهذا التأثر إن دل على شئ فإنما يدل على أن الشاعر يستوعب ما يقرأ من أجل أن يطعم ذهنه بمفردات وصور شعرية .

فهو لا يقرأ من أجل القراءة فقط وإنما يقرأ من أجل منح الكتاب الذى بين يديه دراسة ذهنية قادرة على أن تسقيه تأثرا قد يطرأ على القصائد التى يكتبها فى المستقبل .

لذلك نجد شعر البابطين شبيه فى ألوانه بقصائد عديدة قالها الأولون .. وقلت شبيه فى ألوانه، لأن المواضيع التى يتناولها تبقى حديثة بمفرداتها رغم أن معظمها تتحدث عن الحب :

عشقتك غرآئم ثم شابت ذؤابتى　　ومـازالـت أصـبو للمزيد من الحب

ومازلت أكوى بالحـنين إليكـم　　ومازال يشكونى المسير إلى الصحـب

فقد مل منىَ السير والدرب ملنى　　كما كلت الأقدام مشياً على الدرب

تقولين لى لا سكن الله خافقـاً　　وفيـا سخيا مفعـم الـود للصـب

أكثر من لون

هناك أكثر من شاعر له لونه المميز فى الغزل ولكن البابطين له أكثر من ميزة فى هذا المجال حيث المتتبع لقصائد هذه المجموعة يجده يختلف من قصيدة إلى أخرى بحيث يضطر القارئ إلى أن يكمل المجموعة ولا يكتفى بعدد من القصائد اعتمادا على أن القصائد الأخرى تحمل اللون ذاته .

وجيد عندما يضع الشاعر لونا لكل موضوع يتناوله فى قصيدة فهو فى القصيدة التى تبدؤها حبيبته بالعتاب يختلف عن الأخرى التى يبدؤها هو ويكون هذا الاختلاف فى الوزن والقافية والمفردة والصورة وكأنه درس

الموضـوع الذى تحرك فى ذهنه واقتنع بما يحتـاج هذا الموضـوع من وزن ومفردة وقافية وصورة تختلف عن القصيدة السابقة .

وهذه الطريقة وحدها هى التى تشجع الآخرين على قراءة المجموعة كاملة من أجل الوصول إلى عالم الشاعر الذى منحه قصائد هذه المجموعة أو تلك :

قهرت الليل حتى شـاب ليلى　　　ليبـدو شيبـه الوضـــاح صبحـا

وأشقاني المسير طـــوال دربـى　　　يهيب به الشقاء صـــوى ومنحـى

تمنِّينى الـرؤى لقيـــا حبيـب　　　لـه ذكـرى بقلبـى ليس تمحـــى

مضت أعوامنا وغدت سرابـا　　　ويـومـى طولـه كالدهـر أضحـى

يسائلنـى الفـؤاد وقد تــردى　　　أنعقـد والفـراق الصعب صلحـا؟

فقلت له وفى حلقى مـــرارٌ　　　بحـس مرهـف والصـوت بحـا

ظننتك يا فؤاد معين صبـــرى　　　وأســـمع منك رغـم البين مدحـا

مرافئ الشعر

لقد استطاع الشاعر عبد العزيز سعود البابطين أن يصل فى مجموعته الأولى بوح البوادى إلى مرافئ الشعر التى تعتبر منطلـقا للإبداع فـى المستقبل.

ونظن أن تاريخه الشعرى ضم قصائد أخرى كثيرة ،لذلك نرى من

الأفضل أن تكون هذه المجموعة حاوية لأكثر من خمسين قصيدة ونؤكد على هذه الأفضلية بعد أن تأكدنا بأنه يحمل لونا فى كل قصيدة يختلف عن القصائد الأخرى .

لذلك فإن صدور هذه المجموعة يجب أن يمثل بداية لمجموعات أخرى فأعين القراء مازالت تبحث عن الجديد .

صاحب الشخصيات المتوازنة*

إقبال الغريللى

أهدانى الأخ «أبو سعود» عبد العزيز سعود البابطين نسخة من ديوانه «بوح البوادى» وهو أحدث ديوان شعر صدر عن المركز الثقافى العربى ببيروت ويقع فى تسع وسبعين صفحة من القطع المتوسط ضمت إحدى وخمسين قصيدة اختارها الشاعر من بين قصائد كثيرة كان قد نظمها على مدى أربعين عاما «كما قال فى مقدمة الديوان» غيب بين أبياتها بعض مشاعره وأحاسيسه .

وكنت قبل استلامى لنسختى فى بوح بوادى البابطين أتوق للاطلاع على قصائد الاقتصادى الناجح والمحسن الكريم ،ودافعى الوقوف على حقيقة ما حرك قريحته الشعرية أهو المال أو الإحسان؟ لكن البوح فاجأنى بما احتواه من قصائد تتلهف شوقا وتحترق غراما وتذوب لوعة هذا ، عدا القصائد التى تجلت فيها الحكم أو المرثيات . وقد كشفت قصائد «البوح» العاطفية عن شخصية جديدة للفاضل عبد العزيز البابطين فيها الكثير من المشاعر المرهفة والحس الرقيق مما يجعل هذا الرجل حقا صاحب شخصيات متزنة متعددة لا تطغى إحداها على الأخرى وإنما تكملها فتزيد من عمقه وتعدد عطاءاته .

* صحيفة الوطن الكويتية ـ الجمعة ٢٣ رجب ١٤١٦هـ (١٥ ديسمبر ١٩٩٥) العدد ٧١٢٩ / ١٥٧٥ ـ الوطن السنة ٣٤ ـ ص ٨

و«شقيق الروح» قصيدة نظمها البابطين بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢٦ يحاول فيها إقناع الحبيبة باستمرارها بحبه وتوفير مناخ لها يقنعها بالبقاء معه من خلال الأبيات التى يقول فيها :

يا شقيق الروح لا تبرح دمـى فعروقى تشتهى فيهـا تقيم

أنت تحيا فى كيانـى والهـوى فيه أحيا كيف أسـلو أو ألوم

فيه عمـرى وشبـابى والمنـى ومغانى الشعر فى الرؤيا تهيم

والقصائد الجيدة كثيرة فى هذا الديوان الذى سيكون له ركن مميز فى المكتبة العربية إذ ترسم أشعار البابطين صاحب الانتماء المنهجى من خلاله خطوات واضحة فى مجالنا الثقافى .

نعم لقد أبدع أبو سعود فى ديوانه وهو صاحب مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعرى .. وهو نفسه أحد صناع مئات إن لم يكن ألوف الوعاظ الإسلاميين فى هذا الزمن الذى غدا فيه الإسلام مقهورا ليس من قبل أعدائه وحسب وإنما أيضا من قبل أبنائه ممن يسلكون طريق الإرهاب باسم الإسلام والمتطرفين وأدعياء الإيمان، إذ يسافر الحاج عبد العزيز البابطين ومعه لجنة من الأفاضل مشايخ الدين عندنا فى الكويت - يسافرون - إلى العديد من دول العالم حيث الإسلام مضطهد فيها أو يكبله الفقر والحاجة وكثرة الأميين بحثا عن نوابغ الثانوية العامة من أبناء تلك البلاد لكى يدرسهم البابطين فى الأزهر الشريف بالقاهرة وغيره من المعاهد العلمية على نفقته الخاصة الكاملة لعلهم بعد تخرجهم ينفعون ديننا الحنيف

فى بلادهم بحيث يصبحون وعاظا وناشرين للدين السليم هناك . وهو بذلك يوقد شموس الإسلام فى الكثير من البلاد.

وبالطبع فإنه لم يخف على الكويتيين مساهمة الكريم عبد العزيز البابطين أثناء الاحتلال العراقى الآثم لكويتنا الحبيبة حيث كان يرسل بمظاريف تضم مبالغ مالية للكويتيين حال وصولهم إلى المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية بعد فرارهم من الوطن السليب فأعانت تلك المبالغ الآلاف على شئ من مصابهم الجلل .

هذا عدا مركز البابطين الطبى التخصصى .. ومساهمة الأخ عبد العزيز فى مشروع السور الرابع .

وبصماته الواضحة على الإقتصاد الكويتى .. و .. و .. ممايجعل الإنسان محتاراً بين شخصيات هذا الرجل المسلم الكريم التاجر الشاعر وإذا ما كانت احداها تطغى على الأخريات أم أنها حقا تكمل الواحدة أختها بل أخواتها .

شوارد

«بوح» الشاعر*

فى ديوانه «بوح البوادى» يعود لنا وجه الشاعر عبد العزيز سعود البابطين، من رحلاته الكشفية، ليحدثنا عن رحلته الشعرية، وكما يقول، فلم يدر «بخلده يوما . ومنذ بدأ رحلته مع الشعر قبل أكثر من أربعين سنة أن يصدر ديوانا بضم قصائده . إذ يعتقد أن تلك هى مشاعره وأحاسيسه وحده، ولا حاجة للآخرين بالاطلاع عليها، فهى من خصوصياته اللصيقة به، التى هى ليست بالضرورة نتاج تجربة شخصية، إلا أن بعض الإخوان والأصدقاء وبعض أعضاء مجلس الأمناء لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى، ألحوا عليه بأن يصدر هذا الديوان لاعتزازه الكبير بالشعر ولمحبته المتدفقة للشعراء .

وهكذا يضع الشاعر بين أيدينا إنتاجه الشعرى الذى نرى فيه رسالة تعبيرية تصل بين «الأنا» و «الأنت» ويفتح أمامنا عالمه فنفتح قلبنا له، ذلك أن السر «البائح» هو الذى يكسب رسالة الشاعر طابعها التواصلى، وكذلك الشاعر عبد العزيز سعود البابطين فى ديوانه «بوح البوادى» فنراه من خلال ذلك «البوح» حين ندرك ما فى عمله الشعرى من تعبير وجدانى، وبهذا المعنى يصح لنا أن نقول مع فلاسفة الجمال إن «بوح الشاعر» يعطينا درسا عمليا فى التواصل، لأنه هو الذى يخرجنا من قواقعنا الذاتية، لكى ينقلنا إلى تلك العوالم الفنية الجديدة التى قد تؤلف بين قلوبنا، وتوحد بين أفكارنا .

* صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٢٠/٦ ص ٨

وإذا كان صوت «الحاء» يوحى بالبوح الاعترافى على حد تعبير د. حسن البندارى، فإن تكرار الصوت المهموس، والذى لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال نطق الإنسان له، يدل حال توظيفة مكررا على طائفة من المعانى؛ يقول الشاعر عبد العزيز سعود البابطين .

بوح البوادي أهديه لمن عشقت   صبا كواه النوى في أمسنا وغد

إذ علمتنى صنوف الحب طاهرة   كغيمة الصبح تسمو متعة الجسد

أحببتها عمرا مازال يعصرنى   وقد تبدد بين البين والجلد

أهفو إليها، وتهفو النفس عذبها   حب مقيم بقلب القلب والكبد

وصوت الحاء تكرر فى هذه الأبيات الأربعة خمس مرات وذلك فى كلمات «بوح» «الحب» «أحببتها و«حب» و«الصبح» وكأنما جاء تكرار هذا الصوت تأكيدا للفكرة الأتصالية الاعترافية – التى توظف صوت الحاء المهموس توظيفا فنيا وشعوريا لمقتضيات تجربة بوح البوادى كما توظف أصواتا مهموسة أخرى إلى جانب الحاء مثل التاء فى «تهفو» و«عشقت» و«أحببتها» والصاد فى «صبا» و«صنوف» و«الصبح» و«يعصرنى» و«الطاء» فى «طاهرة» والفاء فى «صنوف» و«أهفو» و«تهفو» والقاف فى «عشقت» و«قد» و«مقيم» و«القلب» والسين فى «أمسنا» و«تسمو» و«الجسد» و«النفس» وكلها أصوات مهموسة، تشى بالتجربة الفنية والتواصلية فى الديوان ونعنى تجربة «البوح» حتى لنقول مع الشاعر :

رفيقة الدرب لو أسطيع ملهمتى أقمت للشعر صرحا منك يا رغدى

ليذكر العشق والعشاق كلهمو صبا كواه النوى فى أمسنا وغد

ديوان بوح البوادى*

بين الوهج الرومنسى والتفاعل مع الروائع

بقلم روضة عبد اللاوى

ديوان بوح البوادى للشاعر عبد العزيز سعود البابطين رجل الأعمال الكويتى، وهو رغم حياته المليئة بالإنجازات فى ميادين الاقتصاد والتجارة والحياة العامة، يحن إلى كتابة الشعر . وقد أنشأ عام ١٩٨٩ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى . ورغم اقتناعه بأن شعره يظل من خصوصياته ومشاعره وأحاسيسه اللصيقة الا أنه اختار لنا من هذه المجموعة هذا الإصدار الذى سماه «بوح البوادى» .

نرى أن مرجعية قصائد الديوان مستوحاة من النفس الرومانسى الحالم وهذه الرومانسية تعبق بها النصوص الشعرية فى أغلبها . حين قراءة النصوص ينتاب القارئ إحساس بحضور الرابطة القلمية مثل جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة فى «دروب» وكتاباته النثرية مثل «مرداد» . وفى بوح البوادى نحس منذ اللحظة الأولى لمعاينة النصوص وحتى العناوين أيضا بالمعانى الرومانسية التى تناولها الشّابى تبدو حاضرة بقوة وإذا قلنا الشّابى لابد أن يحضر فى أذهاننا النفس الشعرى لجماعة أبولو : على محمود طه وأحمد زكى أبو شادى وصالح جودت .

صورة الالم وسيطرته على الجو العام والغنائية المحضة التى بدت حاضرة فى هذه النصوص الشعرية هى من خصائص شعر الشابى :

* مجلة (حقائق) التونسية – بتاريخ ١٩٦٥/١٠/٦ العدد ٥١٨.

فغدت بسمتك الولهى شجى　　وغدا لحنى كالناى الحزين

من المعانى الرومانسية أيضا فى هذه النصوص الشعرية برزت صورة الحنين والشوق إلى الماضى والفردية والمواجهة اللامتكافئة بين الشاعر والواقع والتى تنتهى غالبا بتلاشى الشاعر :

ورماني ويحـــــه في كبـــــدى　　ورمـــاك البعــــد فازداد الانين

كيف أمسيت وقد طال الأسى　　وسهرت الليل ليل العاشقين ص /74

فالنصوص كما هو واضح، تبدو أشبه ما تكون بيكائية على ماض ولى ولكنه دائم الحضور يرفض الغياب، فصورة الماضى الجميل فى النصوص هى صورة وضاءة حيث يهرب الشاعر من حاضره موليا نحو الماضى لما يمثله هذا الأخير من رمز لكل شيء جميل :

ويبقى المرء للذكرى قروناً　　إذا مازانه العمل الجميل

ليعرف أننى وافٍ لعهـدى　　وبالحب القديم أنا القتيل

يبدو الشاعر فى هذا الديوان وقد مل حاضره موليا وجهه يرنو لأمسه الجميل، فهو يعقد موازنة بين ماضيه وحاضره ولا تكاد قصيدة من الديوان تخرج من إطار هذه الموازنة التى تنتهى دوما بتفضيل الماضى .

وإذا ما اكتفينا فقط بالمرور أفقيا بعناوين النصوص الشعرية فإنها تشى بحقل دلالى يقوم فى مجمله على أن الشاعر متيم بالماضى عاشق له، يحن دوما إليه . حيث أمسى الوفاء الخالد، وفاء، وتمضى السنون، حب قديم،

وضاع الدرب، وغابت أنجم، عمر ينطوى، زمان الحب، أطلال الحب، مناجاة،

خطاب الانثى :يبدو هذا الخطاب الشعرى رغم تعبيراته المختلفة مناجيا للأنثى التى يعمد الشاعر الى تجريدها من نفسه فتلهمه وتلهب الذكرى فى ذاته، ذكرى ماضيه الجميل، ماضى الوصال فى موازاة بالحاضر التعس، حاضر الهجر والبين .

الصورة الرومانسية الجميلة للأنثى : امرأة، طبيعية، هى صورة مستقاة من الموروث الرومانسى حيث الأنثى موطن الأسرار والطهارة التى افتقدها المرء فيغلبه إليها الحنين، هناك إذن ارتباط بصورة المرأة / الأنثى، وغيابها غياب لزمن الحب، فالعصر يعوزه الحب وأضحى زمانا للشجن ومن هنا، راح الشاعر يستثير ذاكرته ليبعث الماضى بما يحمل من معانى الحب والوصل . وهذا واضح من خلال هذه المعارضة فى قصيدة «والهوى ثالثنا» وخاصة فى مطلعها :

جادك الغيث حبيبى إذ همى وسقى الغيث مراعى المقل

وهى ترجعنا إلى رائعة لسان الدين بن الخطيب :

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلسِ

لم يكن وصلك إلا حلما فى الكرى أو خلسة المختلس

بوح البوادى هو فى نهاية الأمر تعبيرات فنية عن جمالية البداوة بما

فيها من عذوبة أفضت إلى رومانسية حالمة . ويكاد هذا الديوان يمثل إرهاصات الرومانسية العربية قبل أن تنضج على أيدى الشابى «جماعة أبوللو» ولذلك تبقى الصور أقل وهجا مما كانت عليه لدى هؤلاء من حيث عمق الصورة وقوة الحدث البلاغى .

بوح البوادى

ديوان شعر جديد*

بقلم حمودة الشريف كريم

بوح البوادى – ديوان جديد للشاعر عبد العزيز سعود البابطين وهو يحتوى على ما يناهز الخمسين قصيدة كما أنه من الحجم المتوسط وطبعته أنيقة جدا تنمّ عن ذوق فنى متميز .

والعنوان «بوح البوادى» خبر لمبتدأ محذوف مركب من مضاف ومضاف إليه فيكون هذا «بوح البوادى» وفى «لسان العرب» / دار المعارف/ ص 384 البوح . ظهور الشئ ، باح بسره وأشهره .

ومن العنوان يظهر أن الشاعر كان يمتلك سراً ولكن الشوق غلبه فباح به . وهذا السر يكمن فى العلاقة التى بينه وبين البادية فمنذ صباه وهو يعايشها ويتأمل جمالها ويتعشقها فهو خبير بدروبها، عالم بمجاهلها، حتى أضحت تعيش فى ذاته وأصبحا شيئا واحدا فهى سره وهو سرها وتعانقا حتى العبادة فكانت الجملة الإسمية التى تفيد الإطلاق والعموم .

بوح البوادى

نكرة معرفة

و«بوح» نكرة تدل على المجهول حيث يكون الغموض ولكن هذا

* الحرية التونسية ـ الملحق الثقافى ـ الخميس ١٩/١٠/١٩٩٥ ص ٦

البوح سرعان ما أفصحت عنه كلمة البادية عندما وقعت الإضافة فأضحى المجهول معلوما والغامض واضحا . وتبدّت الأسرار واتضحت العلاقة بين الشاعر وحبيبته البادية . هذه العلاقة التى كشف الشاعر سرها لم تكن وليدة الساعة . وإنما هى علاقة أزلية، علاقة حب قديم . ومن الطبيعى أن لا أحد يستطيع التحدث عنها حديث الخبير إلا هو وكأن البادية لا تبوح بسرها إلا له هو . فهى تحبوه بالفضل وتمنحه ذاتها حتى يكون العشق الخالص وهو نفسه يشعر بهذه المنّة . فلا يهدى سره إلا لحبيبته :

بوح البوادىَ أهديه لمن عشقت   صباً كواه النوى فى أمسنا وغد

أحببتها عمــراً مازال يعصــرنى   وقــد تبــدّد بــين البــين والجلــد

(ص 7 – الإهداء)

فالبادية تعيش فى ذات الشاعر، فى قلبه، وهو فى شوق دائم اليها يتذكرها فى سفره وفى إقامته وكل شئ يبعث الصلة يذكره بها وتتداعى الصور منسابة فى خياله وتتدافع الذكريات وتفيض، ففى قصيدته، يا نخلتى» (ص10) التى قالها يوم 1982/9/1 عندما كان بنيس .

يا نخلة فى «نيس» حان فراقنا   هــل نلتقــى يــا نخلتى وأعود؟

أجترُّ ماضى ذكرياتى فى الهوى   ويضج فى نفس الأسى ويسود

وتصيخ أحلامى وكل مشاعرى   لك يا نخيلة ما عساه جديــد

وهو يستخدم النداء الذى يدل على الحسرة والألم وكذلك الاستفهام

تعبيرا عما فى نفسه من مشاعر الأسى والحزن التى انتابته عندما رأى النخلة وحيدة غريبة ليست فى موقعها وتتتالى عليه الذكريات ويضج فى نفسه الأسى وتتمزق ذاته ويستبد به القلق وتغشاه الحيرة فيختل عالمه الداخلى ويضطرب ويكون التوتر بين عالمه الداخلى وعالمه الخارجى خصوصا ؛ فالفراق قد حان وتبرز الثنائية بين الماضى والحاضر .

الماضى	الحاضر
أحلام	أسى
ذكريات	حزن
مشاعر حالمة	مشاعر منكسرة

فالماضى سعيد وفيه ذكريات جميلة ومشاعر فياضة ويقابله الحاضر بما فيه من أسى وحزن (ويضج فى نفسى الأسى) وما فيه من اختلال للمعادلة، فهو أكثر إيلاماً وأشد وقعا على النفس .

والشاعر حاول أن يصور لنا هذا الموقف ويفصح عن مشاعره مستخدما فى ذلك آليات الفنان المبدع ولكن الشعر مهما يبلغ من مراتب الجودة فإنه ليس إلا ظلاً باهتاً لإحساس الشاعر الأول (الشعر كيف تفهمه وتتذوقه ص 28 ترجمة إبراهيم الشوش) .

كونه الشعرى

أزمة الشاعر حادة . فما أن تفارقه لحظة حتى تنتابه مرات وكأنها

ملازمة له، لأنه يعيش الوجود يعانقه يتفاعل مع كل موجوداته والصراع قائم في الذات بين الداخل والخارج، بين الأنا والآخر، والشاعر سرعان ما ينفعل لأنه كتلة من المشاعر المتدفقة، وهو يعيش حالة رفض . رفض الحاضر وتوق إلى المستقبل، إلى الأرقى والأحسن و لكن العالم الخارجي يصدمه فيكون التصدع في عالمه الداخلي، وفي قصيدته شكوى (ص27) يقول :

يهزني الشوق والآهات تنفجر وتحتويني همومٌ يوم ذكراك

وتعصـر القلـب آلام مبرحـة يزيدها اليأس إيلاماً كأشواك

فالشوق يهزه فتتفجر آهاته والآلام تعصر فيه ويزيدها اليأس إيلاماً جعل الفعلية تصور تصويرا باهتا ما يشعر به الشاعر من حاضر أليم يمزق ذاته ومتناقضات تعيش داخلها ويحاول أن يصور ما عاناه ويحاول أن ينقل لنا عملية الإبداع فيتوسل بجمل فعلية وهي وإن صورت ما يقاسيه الشاعر لكنها في الحقيقة عاجزة عن التصوير، لأن الشاعر عندما يدخل عالمه يقطع الصلة بينه وبين العالم الخارجي ويصطلي بنار الإبداع، فيكون غريبا عنّا. إنّ (الشاعر) عندما يندمج في عملية الخلق يصبح غريبا عن العالم الخارجي ويدخل في عالمه الحقيقي حيث تتحرر تجارب الحياة العملية عنده من سيطرة المكان والزمان لتتجمع في علاقات وصور جديدة وفي هذا العالم يصبح الشاعر وحيدا (ص20) نفس المصدر) .

إن الشاعر بطبعه لا يعجبه عالم الناس ولا يجد فيه الراحة المناسبة لأن المبادئ الزائفة هي التي تسيره ، ولا يجد تواصلا بينه وبين الناس فلحظات

العمر التى يعيشها تثقله وتشعره بالأسى والحسرة وفى قصيدته صمود (ص48) :

فقد مل منى السير والدرب ملنى   كما كلت الأقدام مشيا على الدرب

فقد حرف تحقيق تعقبها جملة فعلية تصف ما فى ذات الشاعر من قلق «الدرب ملّنى جملة» إسمية هى تكثيف لما يشعر به الشاعر من حيرة .

«كلت الأقدام » جملة فعلية تصف انكسار الشاعر ففى بيت واحد استطاع الشاعر – نسبيا – أن ينقل لنا تجربته وإن يصور لنا بعض ما يعتمل فى ذاته والثنائية التى تتخلل البيت هى التى تكشف علاقة الشاع بالآخرين

وإذا كانت ذات الشاعر ترفض حاضرها ورافضة لعلاقات الآخرين فمعنى لك أنها تهفو الى تجاوز الأزمة سعيا إلى عالم تنشد فيه الراحة المناسبة ولكن الشاعر يوهمنا أنه سيكون صامدا صبورا وسيتغلب على أزماته ولكن لا يكون كذلك لأن الأزمات تخرج من الذات وتعود اليها .

صمودٌ عنيدٌ يقهر الليل والكرى   وفى يجافى اللوم صبراً على الكرب

فعالم شاعرنا هو عالم القلب مضغة الآلام والأحزان، هذا القلب الذى لا يهدأ عن النبض .

اللا أدريـة

والشاعر بالنسبة لوردز ورث بشر يتحدث إلى البشر، (الشعر كيف تفهمه وتتذوقه ص 20 ترجمة إبراهيم الشوش) .

ففى شعره نعيش عالمه، ونتألم لألمه، ونفرح لأفراحه، وهو ذلك المتأمل الذى يعيش فى جوهر الوجود ويلامس الكينونة ويتعشق الذات العلية ويندمج فى كنه العالم فيشعر بروح الحياة . وأنه من العبث أن نفرح أو نحزن أو نحقد أو نبغض لأن الموت سينالنا ذات يوم وفى قصيدته ترانيم، (ص20) تبدو نظرته إلى الوجود أو فلسفته إن شئنا التوسع فى القول .

وغدا تأكلنا الأرض التى قد غلبناها سنينا ولت

أهى فلسفة المعرى؟ أم فلسفة الخيام ...؟ ونتقدم فى القصيدة فنجده يصور نظرية اللا أدرية :

سوف نمضى لست أدرى أين ما قصدنا بالسير حتى أينما

....

لست أدرى نلتقى بعدئذ أم أوارى لا أرى بعد إذن؟

فالمصير أمامه مجهول والنهاية غير معروفة والإنسان وجد فى هذا الكون، ولا حق له فى تقرير مصيره . ولا يستطيع معرفة ما ينتظره، فالعقل عاجز عن تأكيد ذلك، وعن العقلنة لأن ذلك يدخل فى عالم الغيبيات الذى لا يدرك إلا بالروحانيات والحيرة تنتاب الشاعر، ويستبد به الشك ولا يجد من خلاص من ذلك إلا بقوله، لا أدرى، أو :

كل ما زاد بقلبى أى نما علمه الخالد ذياك الدفين

ومسحة الحزن هى التى تهيمن أو تسود كل قصائد «بوح البوادى» ولذلك فلا غرابة أن ينتابه الأسى وتساوره الشكوك لتعصف بيقينه وترمى به

فى هوة سحيقة قرارها اللأدرية .والشاعر يشعر بذلك «ملَّ منى السير» وتتعمق فى ذاته الأزمة فيكون الإحباط فيرى أن وجوده سلبى فى هذه الحياة، وأن اللحظات المعيشة سرعان ما تزول ويشتد بؤسه فيخاطب حبيبته فى قصيدته «اذكرينى»(ص14) .

اذكرينى اذ مدى العمر انقضى　　　وثوينا بين أسداف اللحود

الشاعر يؤمن ببقاء الروح، والجسد لا محالة إلى الفناء صائر :

اذكرينى كلما هبت صبا　　　وسرت فى ركبها روحى تطير

الذكرى

وبالذكرى يشعر أنه يتجاوز الحاضر إلى الماضى ففيها يغالب الدهر وينتصر عليه وفى قصيدته «وفاء» (ص37) يقول :

قفا نذكر الأيام والوصل صافيا　　　ووداً عفاه الدهر أبعد نائيا

فالأيام الحلوة والوصل الدافق بالمشاعر كلها يستدعيها من الماضى لنرى الحاضر وما فيه من آلام، فمن الماضى غزل أحلامه وأمانيه وفى الماضى كان الحب الذى به تغلَّب على الزمان :

وحبّا قهرنا الدهر حتى صفا لنا　　　فصغنا عبير الزهر منه الأمانيا

إنّ الماضى هو ملجأ الشاعر، وهو الزمن المفضل لديه فلا يرى فيه غير الأحلام والذكريات الجميلة :

خفق الشوق بالفؤاد ففاضت ذكريات السنين شوقا لنائى

فادكرت الوصال منك بعهد كنت فيه كريمة باللقاء

هذه الذكريات تأبى أن تفارقه وهى تهاجمه فى كل الأوقات لأن له قلبا . هذا القلب الذى ينبض وفى نبضاته شوق وحنين (ص48) .

ومازلت أكوى بالحنين إليكم ومازال يشكونى المسير إلى الصحبِ

فالماضى يعيش فى حاضر الشاعر ممتزجا به حاضرا فيه، لا يفارقه ، يلازمه ملازمة الكلب لأهل الرقيم وهو وإن حاول تناسيه فإنه يعلق به ويبرز أمامه عملاقا جبارا عنيداً .. (ص57 وعود) :

هل ترجعين وقد شابت ذوائبنا وتركعين لأنسى البين حين رمى

خمس وعشرون مرت عاشها كمدى وتحلمين بأن نجنى بها نعما

فالإستفهام يعبر عن حسرة يعيشها الشاعر، عن شوق اللحن الماضى الناغم، عن الحاضر القلق الممزق ، وهو يهفو الى تجاوز هذا الأسى . ولا يكون إلا بالعيش فى رحاب الماضى . وتهيجه الذكرى وتضغط عليه الذكريات فإذا به يضج (ص62- «عمر ينطوى» :

أأيامى ويا فجرى بعدنا أما من عودة لرفيق نفسى

فقد ضاقت بروحى أمسياتى وليلى باع أحلامى ببخسٍ

إنها متاهة سحيقة فيها الضياع والأسى وقلبه لا ينى يتذكر لأنه يخفق

والشاعر يلتاع من هذه الذكرى (ص 64 – الومض الحارق) :

فاض قلبي بالتياعي والجوى وبرى جسمي وشوقي والنوى

ورغم ما يقاسيه من آلام، ورغم الأحزان التي تغزوه فإنه وجد في الحب سعادة، ووجد فيه المنقذ له . وبه سيؤسس كونا ناغما منشدا (ص30)

قلتها في كل شعري يا صديقي وسأبقى قائلا حتى المآبا

عشت للحب وفاء خالدا ردّه الآه فؤادي والعتابا

ونشيدي ليس يخبو طربا يرقص العشاق طُرّاً والكعابا

بنية القصيدة فى «بوح البوادى»*

بقلم حمودة الشريف كريم

شيبت ليلى

هذه القصيدة من وزن الوافر :

وهو يتكون من تفعيلتين الأولى :

مفاعلتن «وتد مجموع» + سبب ثقيل + سبب خفيف

فعولن «وتد مجموع» + سبب خفيف

وبذلك يكون الإيقاع متقارباً لأن فعولن هى فى الأصل مفاعلتن ولكن ورد هذا البحر مقطوفا .

وهنا نتساءل لماذا اختار الشاعر هذا البحر..؟

هذا السؤال يجيب عنه بعض النقاد بأن الشاعر يختار البحر الذى سيعبر بواسطته عن مشاعره . وفى الحقيقة فإن الوزن الخارجى يولد مع العبارة الفنية الشعرية ويتماشى مع مشاعر الشاعر ولذلك فطول الوزن وقصره يرتبط بعالم الشاعر .

يقول الدكتور محمد فتوح أحمد فى كتابه (شعر المتنبى قراءة أخرى ص140) .

«طول الوزن ووفرة مقاطعه يمنحان الشاعر مزيدا من المرونة فى التحرك

* الحرية التونسية – الملحق الثقافى – الخميس ١٩٩٥/١٠/٢٦ ص٤ .

عبر المسافة الموسيقية للبيت الشعرى» .

فالشاعر عبد العزيز سعود البابطين استقل البحر الوافر – وهو من البحور الطويلة – للتعبير عن مشاعره وهو وإن لجأ إلى الزحاف فى بعض الأحيان فإنما خلق بذلك إيقاعا داخليا خاصا به هو .

كما نلاحظ مبدئيا أن القافية كانت عصب القصيدة، والتوشيح مظهر أساسى، وله دور فاعل فى تركيبة القصيدة . وبذلك لعبت القافية دورا مهما فى الربط بين الإيقاع الخارجى والإيقاع الداخلى .

القصيدة تتمحور فى ثلاث حركات .

١) تبدأ من «قهرت» إلى .. «أضحى» .

٢) تبدأ من يسائلنى إلى نوحا .

٣) من تحدّيت إلى آخر القصيدة .

العنوان هو مفتاح القصيدة وهو يجمع أفكار الشاعر ويلخصها، وفيه تدور حركة القصيدة وسنرجع إليه لأن الشاعر ركز عليه فى البيت الأخير، وأعطاه أهمية الختام .

والقصيدة تبدأ بجملة فعلية تامة تتكون من فعل وفاعل ومفعول به «قهرت الليل» .

وهذه الجملة لها دلالة إعلامية، حيث أن الشاعر يعلمنا بموقفه من الزمن . ويدل على صراع حصل بين الذات والآخر، بين الكينونة والعدم

بين الانفتاح والانغلاق، بين الموت والحياة، بين النور والظلمة، بين الماضى والحاضر .

هذه الثنائية التى تظهر منذ منطلق القصيدة، ثنائية الليل–/– الصباح

الليل الذى يدل على الغموض والانغلاق وفيه تنعدم الحركة ليكون السكون . وهو علامة الحزن والعدم والموت . والأشياء فيه تكون مخفية، بينها وبين الأنا حاجز .

والشاعر أراد أن يثبت وجوده وأن يطلق «الأنا» فاستعمل الفعل «قهرت» الذى يدل على بذل الجهد واستنفاد الطاقة، فالأنا يعيش حيرة وقلقا فى توتر مع العالم الخارجى . والفعل استعمله الشاعر ليدل على إعادة التوازن وتفوقه على العالم الخارجى وإن كان الشاعر غير قادر على أن ينقل لنا عالمه الداخلى . وإذا كان الشاعر قد صور لنا المعركة مع الليل (زمن مطلق) فإنه يكشف لنا عن قدرته على امتلاك الزمن المطلق وإخضاعه إلى زمن ذاتى . يخصه هو (ليلى) وبذلك يقع التحول من المطلق الى الخاص .

كذلك يكون التحول من الظلمة الى النور، ومن الليل إلى الصباح وليبدو شيبه الوضاح صبحا وكأن النور يتولد من الظلمة والصباح يخلق من الليل . وبذلك يكون الانفتاح بعد الانغلاق وتكون الحياة بعد الموت . ويكون التحول من الليل إلى الصباح ويسهم الإيقاع الداخلى (اللام 5x الياء 5x الحاء 3x الشين x 2) والتجنيس فى الهندسة الصوتية (شاب شيبه) بهذا الكم الهائل من التنغيم الموسيقى . فتتبلور الصورة . كما لا

يخفى ما لعبته من تأسيس الوزن الخارجى (التوشيح) وبذلك تضافر الإيقاع الخارجى والداخلى فى إبراز مشاعر الشاعر .

والصبح يكشف عن ذات الشاعر وما فيها من تأزم الحاضر وانفتاحه على الماضى وإذا كان الليل قد أخفى الماضى فإن الصبح قد كشفه . وإذا كان الماضى قد تستر فإن الحاضر الأليم قد رفع الستار عنه . وتبدو صورة الدرب الطويل، ويبدو الشاعر منهكا متعباً . ويحدد الشقاء معالم الطريق وإذا هو يضغط على الشاعر ويملأ عليه حياته وتتدرج الصورة نحو الاكتمال من خلال رغبة الشاعر فى تحقيق أمانيه وإذا الحاضر والماضى فى ثنائية .

تمنينى

ذكرى

لخلق مستقبل يعيد التوازن لذات الشاعر ولكن المستقبل لا يتحقق للشاعر فيصاب بانكسار، وتتعمق خيبته عندما ينكفئ منكسراً ويقع التحول من الأمانى إلى الخيبة ومن أحلام المستقبل إلى الانفجار ويضحى حاضره مؤلما ويومه كالدهر طولا . فالحركة فى هذا المقطع تبدأ من الحاضر لتعود إلى الماضى ثم ترجع إلى الحاضر (يومى) والثنائيات هى التى تنهض بها لتحقيق المستقبل ولكن الحركة تبقى فى مستوى الماضى لتقبع فى الذات مصورة مشاعر الشاعر .

كما أن هذه الحركة تبدأ من ذات الشاعر وتتوجه نحو العالم الخارجى وتبدأ الثنائيات مصورة جهاد الشاعر، وعناده وكفاءة قدرته على المواجهة

وتتداعى الصور (المسير - الشقاء - الذكرى - الأعوام - السراب) لتشكل عالم الشاعر المليئ بالمتاعب والأوهام .

وإذا كان الشاعر قد أعلن عن قهر الزمن (الليل) فى بداية المقطع وبذلك يكون عهد الانفتاح على الصباح فإن هذه الثنائية تنقلب فى آخر المقطع لتصور مدى خيبة الشاعر والتحول الزمنى فى ثنائية مغلقة (يومى كالدهر) الليل مع النهار ليعيشا داخل ذات الشاعر .

فى المقطع الأول رأينا أن الأفعال هى التى قامت بوظيفة تصوير عالم الشاعر . وبها كانت حركة التداعى أو توليد الصور أو الدوائر التصويرية .

وفى هذا المقطع نجد نفس المسار الذى انتهجه الشاعر فى المقطع الأول فهو يبدأ بجملة فعلية «يسائلنى الفؤاد» وكما تدل عليه الصيغة الصرفية فإن السؤال يكون من جانب واحد وهو الفؤاد ليقوم بدور التوسط بين الشاعر والفراق . وبذلك يلعب دور الفاعلية .

الشاعر الفؤاد الفراق

والفؤاد بقطع النظر عن دوره فى تنشيط حركة الجسم فإنه مكمن العواطف والمشاعر ويلعب دورا خطيرا فى حياة الإنسان العاطفية وبه يكون اختلال التوازن أو الإنتظام .

والشاعر وجد نفسه فى مواجهة معه ولكنها ليست مواجهة الصراع وإنما قام الفؤاد بتحريضه ضد الفراق . إذن الثنائية تنطلق من المعاضدة

والتأييد للشاعر والعدائية للفراق .

وطبيعى أن تخلق هذه الثنائية حركة نحو التصعيد والتازيم إذ بهذه المفارقة تصبح لوما من المشاعر الى القلب وتتقلب المعادلة .

الفؤاد ← يتردى

الشاعر ← انكسار (فى حلقى مرار + الصوت بح)

الفؤاد ← لا يعين الشاعر

الشاعر ← يلوم الفؤاد

الفؤاد ← يزيد فى جروح الشاعر

وتبدو المواجهة بين الشاعر وقلبه أي أنها تجرى فى داخل الذات والحركة لا تتقدم الى الأمام بل تتكوّر الصورة على نفسها (الفؤاد يتردى) (الشاعر فى حلقه مرار) و(الصوت بح) ويكون التعبير الفنى بما يحويه من استفهام ونداء وهندسات صوتية (الجروح ـ وجرحاً) أو تكرار الحروف مساهما فى الصورة وتكون مأساة الشاعر فى الثنائية ثنائية، الحضور والغياب وصبر الشاعر وصبر الفؤاد، فشعور الشاعر بغياب الفؤاد عمق مأساته وجعله يشعر بالفراغ النفسى . ولذلك يكرر حرف التمنّى (ليت) ليفيدنا أن الاستحالة هى التى تسود عالم الشاعر . وتنهض الهندسة الصوتية الفاتحة (ليتك) والهندسة التأليفية (صبرت / صبرى) بدفق نغمى تعبيرا عن أزمة قائمة فى ذات الشاعر، ناتجة عن اندماج بين الشاعر وقلبه، والحركة وإن

انقطعت مع العالم الخارجى لكنها استمرت فى حركة شاقولية فى داخل الذات وتشكل ثنائياتها الصورة لتتدرج نحو الاكتمال .

وحركة الثنائية تبرز واضحة فى ذات الشاعر . فمن الواحد يكون المتعدد (الشاعر / الفؤاد) وقوة المأساة هى التى دفعت الشاعر إلى أن يشعر بالانشطار ليكون العالم الجديد عالم التمنى وطلب المستحيل فالمعركة إذن تتخفى فى ذات الشاعر ليفصح عنها التعبير الفنى الشعرى .

وفى المقطع الثالث يرجع الشاعر إلى تصدُّر الأحداث وينسب الأفعال إلى نفسه والحركة تتغير فبعد أن كانت تدور فى عالم منغلق وهو عالم الذات إذا بها تخرج من الذات الى ما هو خارج من الذات فى اتجاه أفقى .

الشاعر –/– السنون

الشاعر (جفونه هى جزء منه) –/– الليل

وثنائية الحركة تبدأ بصراع الشاعر مع السنين بفعل (تحديت) ومن ضمن الصيغة الصرفية التى تعيد قيام الفاعل بالفعل مع المبالغة تفهم أن هذه الحركة تكمن ضمن البنية اللغوية ثم فى الإضافة التى تبين النوعية (حديد الصبر) ثم فى هذا التنغيم الصوتى الذى يحدثه تكرار حرف الحاء (الحاء×3) وفى هذا التوشيح الذى يُختم به البيت (برحا) والذى يفهم منذ انطلاق البيت فقد أعمل الشاعر السين فى (السنين) ولم يتوقف عن ذلك (لا يهتز برحا) .

على أن هذا الصوغ المعنوى الذى استخدمه الشاعر ليس سوى الشعر وهذا ما تفصح عنه الدائرة التصويرية الثانية وإذا بالشعر تدغدغه المنى وما فى هذا التكرار (دغ-دغ) من ثراء صوتى موسيقى وتنفتح الحركة على الشعر وقد حلقت به الأمانى فى موكب حافل وتبقى الحركة فى حالة انفتاح على العالم الخارجى ويشعر الشاعر أنه أعاد اختلال التوازن وأنه حقق المجدولذلك يأتى بجملة استفهامية تقريرية (ألست أنا) ومنها تتولد الدائرة التصويرية التالية ويلجأ الشاعر إلى الاستعارة (شيبت ليلى) لأن مشاعره توهجت .

يقول الدكتور محمد أحمد فتوح : «التعبير بالصورة يتم فى تناسب طردى مع توهج المشاعر والاستغراق العاطفى . بحيث يميل المبدع الى اتخاذ ذلك التصوير قناعا يستتر به كلما غلبه انفعاله» .

والشاعر يعلن عن انتصاره وهذا ما يشترك فيه العنوان وآخر بيت من القصيدة ومن هنا نستطيع أن نقرر أن حركة القصيد هى دائرية تنتهى من حيث تبدأ وسأرجع إليها بعد قليل . وأريد أن نتوقف عند الجملة (شيبت ليلى) .

أ - شيبت ليلى - جملة فعلية تامة

الشاعر قام بالفعل

الليل وقع عليه الفعل

الليل أصبح ملكا للشاعر

شاب : المفهوم الدلالى

١– هرم

٢ـ البياض يهاجم السواد

الشاعر قام بعملية إجلاء الظلام

الشاعر : هو الذى كان وراء عملية الإصباح

الشاعر هازم منتصر ساهد

ب ـ شيبت ليلى : حزين

الشاعر : مكدود لم تغمض جفونه حتى الصباح

ساهر الشاعر مهزوم – مقهور

ج– الشاعر يوهمنا بالانتصار بينما هو فى الحقيقة مهزوم ولا يملك الليل بل الليل قاهره وأقوى منه والشاعر لا يملك إلا العواطف .

ويمكن أن نستخلص أن الثنائيات هى التى نهضت بالصور ودفعتها الى التشكيل وجعلت الشاعر يجرى وراء المستقبل ليخرج من أزمات الحاضر وبمثل ما بدأ الشاعر فى إيهامنا بالانتصار ختم قصيدته والانفتاح فى كليهما متوفر، ولكنه انفتاح فى عالم الشاعر فى دنيا العواطف .

والقصيدة تدور فى دائرة مغلقة هى دائرة الذات فقد بدأت بالعنوان

(شيبت ليلى) ثم (شاب ليلى) فى صدر البيت الأول وانتهت بنفس العنوان (شيبت ليلى) والمفهوم من هذا التكرار هو أن الشاعر يدور فى حلقة هى حلقة العواطف فهو ينطلق من الحاضر للتوتر ليدخل عالم الماضى عالم الذكريات وقصور الحب ثم يرجع إلى الحاضر وينظر إلى المستقبل بنفس متلهفة علّه يجد الخلاص ولكن المستقبل يمتنع عنه، فيكون التوتر بين الحاضر والمستقبل، بين نفس رافضة لحاضرها ومتمردة عليه ونزاعة الى مستقبل وحالمة بصباح جديد ويتوهم الشاعر شجاعة وقدرة فيتباهى ويعلن (شيبت ليلى) أنه امتلك المستقبل .

القسم الثالث

الديوان فى عيون الشعراء



(١)

بوح البوادى

قال الشاعر الكويتى سليمان الجار الله فى تقريظ (بوح البوادى)

قرأت لشعركم بـوح البـوادى   وهمت من النسيب بكل وادى

تعلمنـا به وبه درسنـــــا   عبــارات المحبـــة والـــوداد

وأعجبنى خيال فيـه يذكـــى   لكـــل متيـــم نــار البعـاد

ففيه الوصف كم أبدعت فيـه   ولـوعـات التـدلـــل والـعـنـاد

ونار الهجر كيف بكم تلظـــى   وكيـــف تكـون دومـاً باتقـــاد

خدوت كخدو خالك قبل حتى   أعـدت لمـا يقـول بـه تنـــادى

وصفت البعد فيه غريب وصف   كأنـك بعـض أبنـاء البـــوادى

(٢)

بوح البوادى

للشاعر الكويتى سليمان الجار الله

هــزنــى صــوتــك مــذ غنيت يــاذا الكــروان
عندما جئت بشعــــر هــدً فى النفس الكيــان
إن شــعــرا عاطفيــا قلــ ـتـه بالأمس فهو العنفوان
فيــه للعاشــق ســلــوى ولــه تهفــو الحســان

* * *

صــاح بالله تــرى أنــت ... هنــا فــى أى وادى
عندما بحــت لــنا يــا قيــس ... فــى بــوح البــوادى
قلبــك الخــفاق مــا أظمــأه ... للحــب صــادى
يا رقــيــقــاً يا لطيــفــاً يا صــدوقــاً فى الوداد

* * *

أنت أرجــعت لناقــيــســاً وليــلاه القــدامى
أنــت أذكــيــت لنــا فــى الحب نــاراً وغــرامــاً
عندمــا هجت دواعى الشــوق فى كل الندامى
لك من عندى التــحــيــات لكم منى الســلامــا

* * *

حينما غردت ليلاً أصبح الليل نهاراً

ورنت للصوت من حولك أحلام العذارى

فبدت ألسنة العشاق يهذون حيارى وسكارى

عندما أذكيت من جذوة ذاك الشعر للعشاق نارا

* * *

نغمات جئت فيها كل ما فيها عجيب

إن هذا الشعر حقا لهو النظم الغريب

أفهذا ما يقولون له شعر النسيب

إن في هذا لفعل السحر في قلب الحبيب

* * *

أنت من أين بهذا الشعر للناس أتيت

أمن البيد التى كنت لها دوماً هويت

كيف للشعر بذاك القفر أبياتاً بنيت

حضرى أنت فى المدن مقيم ماحييت

* * *

حسبك الصحرا أتى للناس بالشئ الفريد

فبدا شعرك مسبوكاً كما الدر النضيد

إن فيه من عجيب الوصف من شعر يزيد

سوف يقرا ويغنيه من الناس العديد

* * *

كلمات الشوق والحب وحرّ البعد من طول الحنين

زفرات الحزن والآه ونار السهد بل ليل الأنين

ولظى البعد وحر الهجر فى حيرة ليل العاشقين

كلها قد جمعت فى سفرك الغالى الثمين

(٣)

قصيدة الشاعر أحمد تيمور

إهداء إلى بوح البوادى

إهداء إلى من اضطر البوادى أخيرا إلى البوح الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين

صمتٌ .. فباحت إليكَ البوادى   بأسرارها .. يا لبوح البوادى

ويا للصموت الذى كنتَه .. شاء صمتُكَ أن يحتوى كلَّ شادى

صمت..فأنطقت صمتَ الصحارى وحَرّكتَ أشجانهنَّ الصوادى

وقالت لك الفلواتُ حنانيك ... إن على وجهك الوجَد بادى

أيا عاشق البيد والغيد .. ما البيدُ   والغيدُ والعشقُ إلا بلادى

من الماء للماء تعدو ظبائى   وقلبُك من خلفهِنَّ مُنادى

يصوبُ أسهَمهُ إثرهُنّ   بغى صَيدهنَّ فكان اصطيادى

أيا صائد الريم .. صار مرادُكَ   قلبى .. وقلبك صار مرادى

على العشق نحن التقينا ..عشيقاً   وعاشقةً تكتوى بالسهاد

فملءُ هضابىَ شوقٌ عظيمٌ   كظيمُ المعاناة ..جوعان صادى

وأنتَ سحابىَ ما كدتَ تقبلُ   حتىٌ عزَمْتَ على الابتعاد

فمالكَ لا تندْ يا حبيباً   هو الغيث .. والغيث يُحيى جمادى

وقد كنتَ حلمَ رمالي .... فمالي إذن .. لستُ أُوصيك بالاتئادِ

تسيرُ وئيداً جمالي ... وأعلمُ أن لنوقِكَ طبعَ الجيادِ

وأنك مسترسل كالرياحِ ترشرشُ أطيابها في الوهادِ

وأنك قافلةٌ من أناشيد تسرى إلى شفتيْ كلِّ حادى

وأن اتحادك بى عابرٌ يد أنَّ بشعرِكَ يبقى اتّحادى

فإن ثنائية العشقِ تمضى ويخلدُ فى الشدو صوت أحادى

سنفنى ازدواجاً .. ويبقى انفراد قصيدك فى الدهر مثل انفرادى

هو الشعرُ - يا شاعرى - سيدُ الوقتِ .. والوقتُ ظلى ومائى وزادى

ألم يك قيسَ وليلاه بنتُ بنى عامر من رعايا نجادى

ألم يعكف العمرَ كعبٌ على عتباتى إلى أن أبنْتَ سعادى

أما كان عنتر فارسُ عبسٍ يجاهد عنها وعنى الأعادى

وكانت بعينى عبلةُ عيناً أنّور أبيضها بالسوادِ

وأطبعُ فوق نصال السيوف ابتسامتَها حافزاً للجهادِ

فتُضحى الزنودُ امتدادَ الحديدِ وتُمسى المقابضُ بعض الأيادى

ويوسعُ عنترةُ البيضَ لثماً ومن يلثمُ البيضَ غير القيادى

أما كان من حالمىَّ جميل وكانت بثينة نقشَ الوسادِ

وكــــان كُثـــيِّرُ الجـــــرحَ فيَّ   وعـزةُ كانت لجرحي ضمادى

وكــــان بنو عـــذرة ســـفـــرائى   إلى مـدنٍ من ضبـابٍ رمادى

وكـانت قـصـائدهم - سطُرتهـا   مـواجُدهم - ورق الإعـتـمـادِ

فــإنى مع الروحِ ضـــدُّ زمـــانٍ   كثيفِ الضجيج عنيفٍ ومادى

أنا زمن رائعٌ مــــــســـــتـــــمّرٌ   فمن شاء رصدى عليه ارتيادى

فـمازال يعدو امرؤ القيس فـوقى   عـدواً .. على ظهر ذاك الجـواد

يكرّ - يَفـرُّ مـعـاً كـالرّصـاصـةِ   أرسلهــــا جـــاذبٌ للزنادِ

يطـارد كلَّ الأوابـد حـــــــتى   يقيِّـــدها بحـــبـــال الطرادِ

وينقـادُ للقــيـــد ضــوءُ النجـومِ   فـيـتـبـعـه اللَيلُ فى الإنقيـادِ

أنا أمنح الشـعـرَ سرِّى وسـحـرى   وسرِّى خلودى وسحرى امتدادى

أنا أمنح الشـــاعـــر العـــبـقّريةَ..   فـــالجن عندى فى كل وادى

صـمتٌ فـبـاحت إليك البـوادى   بأسـرارها .. يا لبـوح البـوادى

فـيـالك من صـامت دون عـينيـه   تسرى الرؤى رائحاتٍ غوادى

تفـيك الرمـالُ بأخـبـارها .. ليس   يُثنيكَ إغـراقُها فى التـمـادى

تتـابعـهـا باهتـمــام شـديدٍ   وصـبـرُكَ لا يشتكى من نفـادِ

ويالك من شـــاعـــر عـــربِّى   أصيل الهوى عشته غير عادى

صمتٌ .. فأنصتُّ حتى سمعتَ لصوت الفلا الخافت المتهادى

يقولُ أأنت هو البابطينُ الذى تتحدث عنه النوادى؟

أأنت الذى يجمع الشعراءَ بمعجمهِ المرجعىِّ الريادى

فمرحى بصمتك .. ثم غنائك إنك فى الحالتين عمادى

- ٤ -
نفحات

من «بوح البوادى»

للشاعر محمد بن صابر - تونس

ثاقب النجم فى سماء سعود قابس النور من سناء «سعود»
غمر الشرق بالضياء وغربا بعد لأى من الدجى والجحود
ذاك صرح على الأنام عصى كان حلما ومطمحا للجدود
أيها الشاعر الأرقَ شعورا بأحاسيس أهل شعر عمودى
إنّ أمواج بحر «بوح البوادى» خير أنشودة لسرّ الوجود
باح بالسرّ صدرها لمشوق فاصطلى وارتجى فناء شهيد
تلك أنشودة بها الدهر يشدو فتجيب الدنيا صدى الترديد
أنت فيها «أبو سعود» رعته كل أفلاكها بروج سعود
و«أبو منقذ السريّع» وافى مسرع العون مبدع التشييد
غائص البحر قانص الدرّ حزما ماضى العزم وفق رأى سديد
يا «أمينا» به الأمانة صينت من أباطيل كائد ومكيد
صنت فيها مجد العروبة تاجا لم يزل ساطعا بهيج العقود
خير ما جوزيت به شعراء قد تساموا عن تافهات نقود
شغلتهم عن كسبها خطرات بهم استأنست خوالى بيد

إن للشعر فى الشعور نعيما ... ناله بالشقاء كل سعيد

«معجم» قاهر لعجمة أعـ ... ـداء تراثٍ من طارف وتليد

ولقد سرّ من رآه وأمسى ... ناسيا فيه حسن «عقد فريد»

قد بدت شمسه فباد سحاب ... وكسا «الضاد» سندسى البرود

اعتلى الشعر عرش ملك عزيز ... فله الحكم خاليا من قيود

وأقيم «الفيروز» ما بين زهر ... باسم الثغر يزدهى بالورود

واحتفينا بعرس شعر ولحن ... فى انتشاء ونقر دف وعود

و«مزامير» بث فيهن سحرا ... صوت داود فى شجىّ نشيد

وجرى الماء فى الجداول يغرى ... بطويل ووافر ومديد

فإذا الشعر كالعرائس حسنا ... وعلى حسنه عدول شهود

أيها الشاعر المحلق نسرا ... فى فضاء الجمال دون حدود

لم يكن خلبا لغيثك برق ... فلقد جاء صادقا فى الوعود

لك بيض من الأيادى أزاحت ... سوء أيد حليفة التنكيد

فلتدم شامخا بقمة مجد ... ولك العز والعلى للخلود

إن يوم «البابطين» فى كل مصر ... هو عبر الزمان أسعد عيد

«تونس 1996/5/17)

(٥)

قال الدكتور فايز الداية «تحية ودّ للأستاذ عبد العزيز سعود البابطين صاحب (بوح البوادى) ولجهوده فى خدمة الثقافة العربية المعاصرة :

لمحتَ الوصلَ بوحـــاً للبــوادى	فـهـزَّ الشـوقُ أكبـاد الفـصـالِ
بوهج من صـمـيم القلب يفـشى	لـوادى الحـبّ أســـرار الظلال
وتلمح من صـقـور الصـيـد عينٌ	يســابق خطوها شـجنُ السـؤال
فـهل تنجـاب غـيـمـات البـعـادِ	وتجلـو الشـــمس أزهار الدلال
فـيـصـفـو بالوفـا عـهـد قـديم	وتنشـر مـبـحـراً جنح الليـالى
ومن أبصـــار رحّالٍ قـــديمٍ	عـرفت الشـعـر شـريان النهّال
ثقـفت الفن بنيـان الحـيـاةِ	ينافس رمح ســاحـات النزال
ورامَ تآزُر الأقـــران فـيـــه	تعـانق ســالف بجـديد حـال
تلمّ الشـمـل والكلمـاتُ تأتى	من الأرجـاء تخـفق فى الأعـالى
وتـنسـج بـرد أيامٍ غــــوادٍ	تـصـدّ الريح تقـتـحم المجـالى

القسم الرابع

رسائل وآراء ولمحات نقدية



إلى الأخ الكريم الشاعر

الدكتور عبد العزيز سعود البابطين

ص ب 599 الصفاة

الرمز البريدى 13006 - دولة الكويت

تحية طيبة :

وبعد، لقد تلقيت ببالغ الإعجاب ديوان شعركم الرائع «بوح البوادى» وتصفحت مضمونه الذى زادنى تعلقا بشخصيتكم وجعلنى أفهم أكثر حبكم للشعر وشغفكم بالبوادى .

وإننى إذ أشكركم على كلمتكم الخطية الرقيقة أعرب لكم عن تهانئى الحارة وتشجيعاتى الصادقة، كما أدعو الله أن يمتعكم بكامل الصحة وموفور السعادة

وتقبلوا أزكى التحيات وأسمى التقدير

محمد القباج

وزير المالية والاستثمارات الخارجية

ورئيس جمعية فاس سايس الثقافية

فاس - بالمملكة المغربية

سعادة الأستاذ الأديب الشاعر عبد العزيز بن سعود البابطين المحترم

تحية مفعمة بالود والحب والإخاء والتقدير وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد سعدت بمطالعة ديوانكم «بوح البوادى» واستعراض قصائده وما تحويه من حكم بليغة بل هى واحات ظليلة يستروح القارئ فى ظلالها ويزيل عن نفسه العناء . إن تلك القصائد ثروة أدبية لما تحمله بين طياتها من المعانى النبيلة فى بيان ناصع ومشرق كما أنها تنبع من عاطفة جيّاشة وإحساس صادق مما جعلنى أستشهد بقول الشاعر العربى القديم

ولولا خلال سنها الشعر مادرى   بناة الندى من أين تؤتى المكارمُ

وفى الناس من يستصغر الشعر رتبة   وما الناس دون الشعر إلا بهائم

والديوان بحق لوحة جميلة رائعة بريشة فنية مبدعة ومفعم بالأحاسيس والمشاعر الإنسانية والتباريح الجميلة وتصوير جمال الربيع وغناء الكون وأطلال الحب ورياح الشوق والوفاء الخالد، إلى غير ذلك من الأنغام الحلوة والقيم الأخلاقية والمثل الكريمة والمعانى الإنسانية النبيلة– والشاعر كما يقال – اشتمل مرآة عصره وعنوان لمجتمعه يعكس أمالها وبجسّد طموحاتها . ولقد اشتمل الديوان على نماذج جيدة تحفل بالصور الشعرية البديعة وسمو الخيال وبراعة التصوير وقد حلق بنا فى أجواء متعددة ذات صدى يتردد على مدى الزمان .

ودمتم موفقين في العطاء الفكرى وتقبلوا فائق تحياتى وتقديرى
والسلام عليكم ورحمة الله

أخوكم

عبد الله بن حمد الحقيل

رئيس دارة الملك عبد العزيز / الرياض

-٣-

إلى الأخ الكريم الصديق الحميم

الشاعر الموهوب عبد العزيز سعود البابطين

تحية طيبة وبعد

يسعدنى أن أكون من أوائل المطالعين لمجموعة «بوح البوادى»، المتكشفين على سرّ ما بها للشاعر من أحاسيس بعد أن اعتقدت بأن تلك إنما مشاعرك وأحاسيسك وحدك لا حاجة للآخرين بالاطلاع عليها، كما يطيب لى أن أكون ممّن حظوا بنسخة خاصة من هذه المجموعة فكانت هديّة جميلة تدعم الجهد الذى نبذله فى الكلية أساتذة وطلبة فى سبيل تحليل الشّعر ودراسة خصائصه والبحث فى قضاياه والتحقيق من رسالته .

قرأت هذه الأغانى فطربت لما فيها من تمجيد للمجد والحياة والشعر والفلاة فى تناغم أناشيد فى اللقاء والحنين إلى العهود العذبة وفيها وجدت صدقا فى اللهجة وثباتا فى الموقف ونقاء فى العبارة – كل ذلك فى طبعة أنيقة وخط رشيق ورسوم بديعة .

هنيئا بصدور الكتاب، وشكرا على الهدية وإلى اللقاء

مع مجدّد تحياتى وسلامى

محمد الهادى الطريسى

-٤-

الشاعر الكبير وكوكب النور الذى يشع فى عالم الأدب ..

الأستاذ الفاضل / عبد العزيز سعود البابطين

تحيه طيبة وبعد

تسلمت ديوانكم الجميل «بوح البوادى» بدهشة وغير توقع ودون انتظار .. ومما أثار دهشتى أنكم مازلتم تذكرون كلماتى البسيطة التى كتبتها عنكم فى صفحة الثقافة .

وتلك بادرة ضوئية انطلقت من قلبكم الى قلبى .. فاحتوتنى الصحراء الشاسعة .. وهمسات البوادى .. وتلك الصور الثرية التى ردتنى إلى القصائد الأصيلة .. وفرسان الشعر .. والحب العذرى الرقيق الشفّاف .

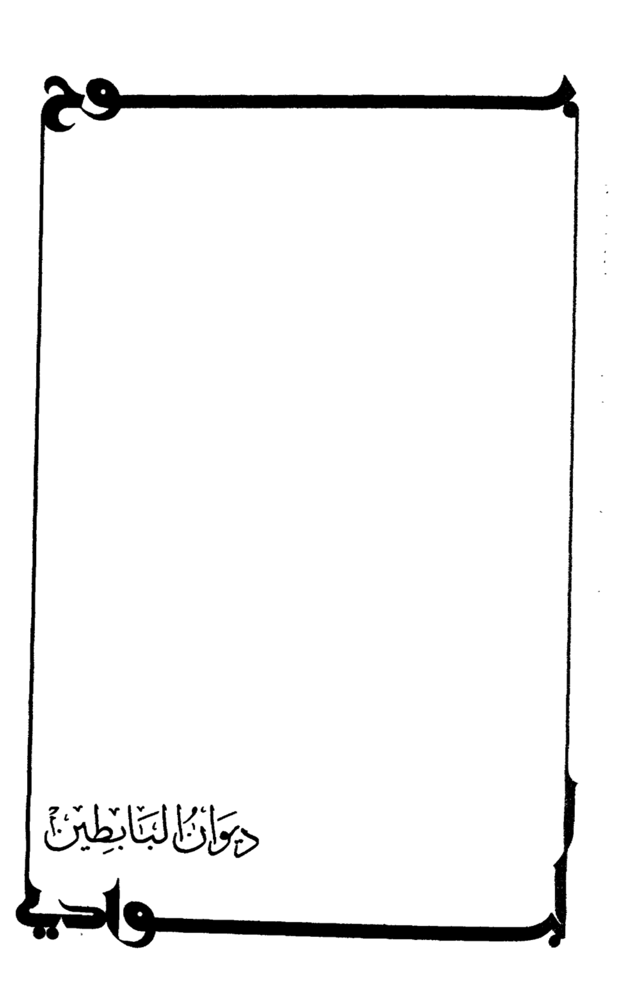
فأنت فارس القصيدة الرقيقة .. وأنت فارس البراءة .. فى عصر جفّت فيه ينابيع الحب .. وجداول البراءة والنقاء .

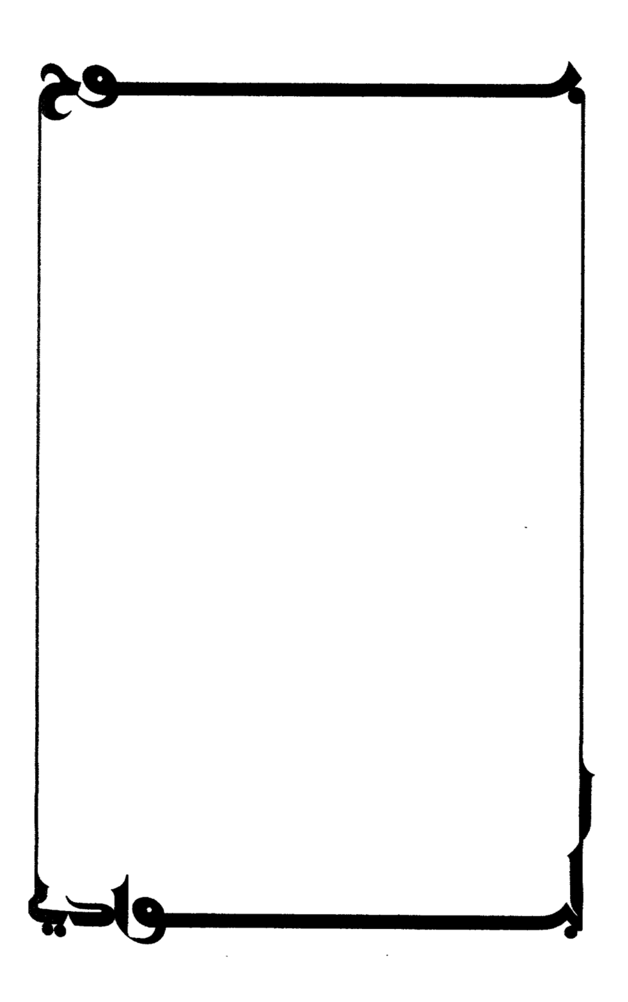
لا أدرى كيف أمد القلب اليك أغصاناً من الياسمين ليعبر لك عن عميق شكرى .. والفرحة التى زرعتها فى داخل حدائق الروح .. إنّ مهجتى تشكو اشتياقا إليكم كما جاء فى قصائدكم .. ومنكم الياسمين .. وتردّ إليكم عبقه

وظلت مهجتى تشكو اشتياقا إلى وصل الأحبة والودادا

على عبد الفتاح




بوح
ديوان البابطين


بوح
البوادي

عبدالعزيز سعود البابطين

بَوْحُ البَوادِي

بوح البوادي

للشاعر عبد العزيز سعود البابطين

الطبعة الأولى ١٩٩٥

الإخراج واللوحات: الفنان محمد شمس الدين

الخطـــــــوط : علـي عاصي.

المركز الثقافي العربي

□ بيروت/ الحمراء - شارع جان دارك - بناية المقدسي - الطابق الثالث.

• ص.ب./ 5158 - 113/ • هاتف/ 352826 - 343701/ • تلكس/ NIZAR 23297LE

□ الدار البيضاء/ ● 24 الشارع الملكي - الأحباس • ص.ب./ 4006/ • هاتف/303339 - 307651/

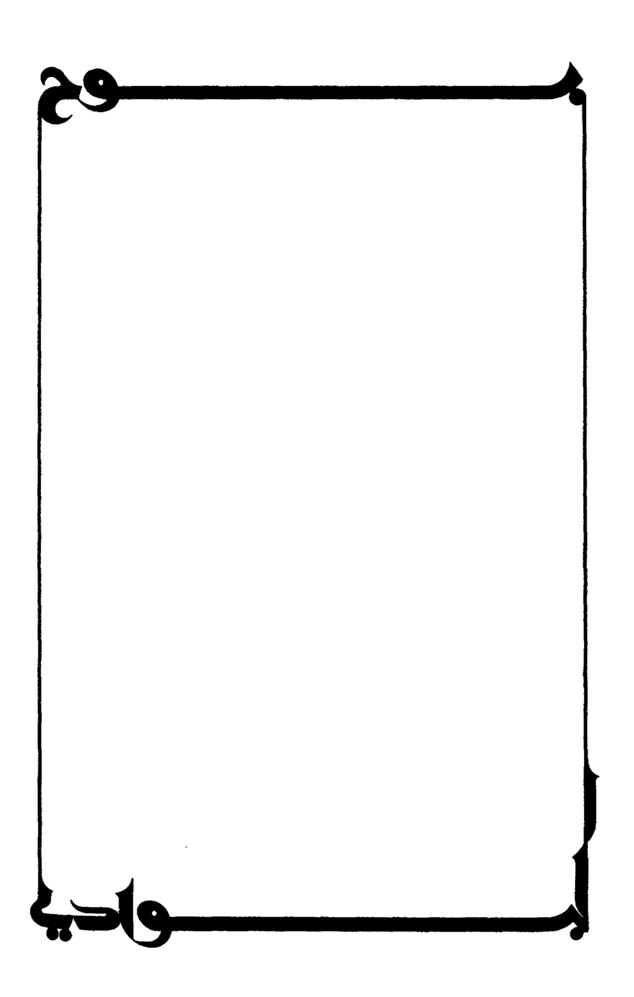
● 28 شارع 2 مارس • هاتف/271753 - 276838 / • فاكس/ 305726/



لَمْ يَدر بخَلَدي يوماً ـ ومُنذ بدأت رحلتي مع الشِّعْر قبلَ أكثر مِنْ أربَعين سنة ـ أن أصْدر ديواناًيضمّ قصَائدي، إذْ أنني أعتَقد بأنّ تلكَ هي مشاعري وأحاسيسي وخلدي، ولا حـاجـة للآخـرينَ بالاطّلاع علَيْهـا، فـهيَ من خصُوصيّاتي اللصيقَة بي، والتي هيَ ليْسَتْ بالضّرورة نتاج تجربَة شخصيَّة، إلا أنّ بعضَ الإخوان والأصْدقاء وبعض أعـضـاء مـجلس الأمنَاء «لمؤسَّسة جائزة عبد العَزيز سعُود البابطين للإبداع الشّعري» ألحّوا عليَّ بأن أصْدر هذا الدّيوان لاعتزازي السَّامي بالشّعر ولمحبّتي المتَدفّقة للشّعراء، فاختَرت هذه التي بَيْنَ يَديكَ ـ عزيزي القارىء ـ من بين المجموعة التي احتفَظتُ بها على مر السّنين. فكان هذا الإصْدار الذي سـمَّيْتُه (بَوح البوادي) لأنّ الكثير من قصائده قلتُها في صحاري وبوادي عربيَّة وأجنَبيّة مختلفَة خلال رحلات الصَّيد.

عبد العزيز سعُود البابطين

١٩٩٥/٦/٢٠


موج
الوادي

بوح البوادي

الإهداء

"بوحُ البوادي" أهديه لمن عشقت ... صباً كواهُ النوى في أمسنا وغدِ

إذ علّمتني صنوفَ الحبِّ طاهرةً ... كغيمةِ الصُّبحِ، تسمو منعةَ الجسدِ

أحببتُها عمُراً ما زالَ يَعصرني ... وقد تبدّدَ بينَ البَينِ والجلَدِ

أهفو إليها، وتهفو النفسُ.. عذّبها ... حُبٌّ مُقيمٌ بقلبِ القلبِ والكبدِ

لولاهُ واللهِ لم تخنق مشاعرَنا ... ببيتِ شعرٍ، ولا غنيتُ للأبدِ

رَفيقةَ الدربِ!! لو تدري عواذلنا ... أنّا بنَينا المُنى من غصّةِ النكدِ

إذَن لضاقت بهم دُنياهمو وغدوا ... كما الذي أُتلفت عيناهُ بالرمَدِ

عصارةُ القلبِ أهديها لمن صبرت ... طُول السنينِ تقضّي العمرَ بالكمَدِ

لا زلتُ أذكرُ يوماً يا مودّعتي ... أشرتِ لي فيه أن نبقى يداً بيدِ

لآخرِ الدهرِ.. حتى راح يَغمرُنا ... طوفانُ هجرٍ قضى قسراً على عُدَدي

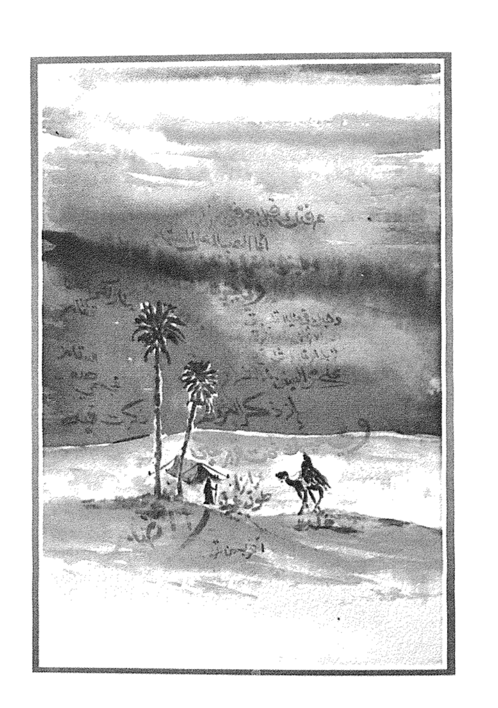
رفيقةَ الدربِ لو أستطيعُ مُلهمتي ... أقمتُ للشعرِ صرحاً منكِ يا رَغَدي

ليذكرَ العشقُ والعشّاقُ كلّهمو ... صباً كواهُ النوى في أمسنا وغَدِ

عبد العزيز سعود البابطين

١٩٩٢/١٠/٧

عشق آباد - تركمانستان



مَنازلكُم بعَيني

عَرفتكِ قبلَ يعرفني الغرامُ ... أنا الصبُّ المعنّى المُستهامُ

وطيفُكِ حاضرٌ أبداً بذهني ... وفي جَنبيَّ طابَ له المقامُ

وحُبّكِ في حنايا القلبِ باقٍ ... مدى الأزمانِ يرضعُه الوئامُ

لئن جاد الوفاءُ وعشتُ فيه ... على مرِّ السّنين، فذا الغرامُ

إذا ذُكرَ الغرامُ ذُكرتُ فيه ... فجسمي هدّهُ - ويحي - السُّقامُ

وأذكرُ أنني قد عشتُ دهراً ... بقلبكِ حينَ حاربكِ المنامُ

وفي عينيكِ نمتُ قريرَ عينٍ ... عزيزاً - طول عمركِ - لا أضامُ

فكنتُ إليكِ أقربَ من قريبٍ ... ولا بالودِّ يعدلني الأنامُ

ولا أدري حبيبي إن سلوتمْ ... أمِ الذكرى يغذّيها الضِّرامُ

أمِ الأطيافُ أزعجها صراعٌ ... وطيفي في حَناياكِ يُسامُ

ففي قلبي وفي عيني وروحي ... منازلكُم بأعلاها تُقامُ

وحبّي طهرهُ باقٍ لنبقى ... كبُثْنةَ أو جميلٍ لا نُلامُ

فهل بقيَ الوداد وأنتِ مثلي ... أنا الصبُّ المَعنّى المُستهامُ

القاهرة ١٩٩٣/١٢/٣٠.



يا نخلتي

يا نَخلةً في «نيسَ» حانَ فراقُنا ... هل نَلتقي يا نَخلتي وأعودُ

أجترُّ ماضي ذكرياتي في الهوَى ... ويضجُّ في نَفسي الأسى ويَسودُ

وتُصيخُ أحلامي وكلُّ مشاعري ... لكِ يا نُخيلةُ ما عساهُ جديدُ

وترددِّين نصيحةً لكِ ما خبَت: ... اصبِر فما للصّبرِ منكَ حدودُ

فيَؤوبُ إحساسي بخَيبةِ آملٍ ... صفرِ اليدَينِ وحظُّهُ منكودُ

وأظلُّ أسألُ كيفَ مرَّت أشهرٌ ... بَعدي عليكِ وهل أتتكِ وفودُ؟

فتُجيبُ بسمتُكِ الخجولُ: لقد ثوى ... عندي هواكَ وسرُّهُ المعهودُ

ويثورُ بي شكٌّ يُواكبُهُ اللظى ... والقلبُ شاكٍ غُربةً ووحيدُ

هَل ذاعَ سرِّي للوفودِ فأسرعوا ... يروي الحديثَ قريبُهم وبعيدُ

وهمومُ نفسي بالهوَى قد أُعلنت ... والدّمعُ منّي قد رواهُ قصيدُ

أنا لا أعاتبُ يا نُخيلةُ خائفاً ... قولَ العذولِ يحفُّهُ التهديدُ

أغفيتُ عنهُ مدى السِّنينَ فلم أُعِر ... سمعاً لمن لم يُعيِهِ التّرديدُ

بل كنتُ أخشى أنّ سرِّي بالهوَى ... إن ذاعَ ردَّ بهِ الحبيبَ صدودُ

نيس – فرنسا

١٩٨٢/٩/١.



أذكُريني

اذكُريني كُلّما حنّ الفؤاد ... وبَدت بالأفق ذكراي تطُوف
وإذا ما أتعبَ القلبَ البعاد ... وتوارى قمري عندَ الخسُوف
اذكُريني

اذكُريني عندما تبدو الغيوم ... في سمائي وبها الطائرُ غرّدْ
ليناجي خِلّهُ فوقَ النجوم ... مُستثاراً هائماً للحبِّ أنشدْ
اذكُريني

اذكُريني كلّما هبّت صبا ... وسَرَت في ركبها روحي تطير
لمغانٍ حيثُ حبّي والصبا ... قد قضينا وطراً منهُ يَسير
اذكُريني

اذكريني كلّما الطيرُ شدا ... نائحاً يبكي حبيباً فقدهْ
وإذا ما لامسَ الوردَ الندى ... فجر يومٍ ناعسٍ يبغي غدهْ
اذكريني

اذكريني كُلَّما الوردُ تفتَّحْ — برياضٍ كلّ ما فيها جميلْ

وإذا ما عطرهُ يَسْري وينفخْ — بمكانٍ ضمَّنا عِند الأصيلْ

اذكُريني

اذكريني كُلَّما جاء الرَّبيعْ — ناشراً عِطر زهُورٍ بالفضاءْ

يَجتلي الرُّوحَ طَهُوراً كالرَّضيعْ — يَتغَنّى بِترانيمِ السَّماءْ

اذكُريني

اذكريني كُلَّما غَنّى طَروبْ — ينفثُ اللوعةَ في صَوتٍ حزينْ

وَرَنينُ العودِ قد أشجى القُلوبْ — فغَدَتْ تبكي على وَقعِ الرَّنينْ

اذكريني

اذكريني كُلَّما ثارَ القَطَا — يملأُ الأُفقَ صِياحاً ونحيبْ

يَذرَعُ الكونَ وقد حثَّ الخُطى — تائِهاً يبحثُ عَن مَغنى الحَبيبْ

اذكُريني

اذكُريني كُلّما الفَجرُ تَنَفَّسْ   ومُحِبٌّ لم يَذُقْ طعمَ الرُّقادْ
وإذا ما اللّيلُ أغفى حينَ عَسعَسْ   وجَنَتْ رُوحُكِ تَسقيني الوِدادْ
فاذكُريني

اذكُريني كُلّما العُمرُ تَصَرَّمْ   وسُنُوني رحلتْ خلفَ السِّنينْ
وشبابي بعد عزٍّ قد تهدَّمْ   وضَياعي بينَ شَوقٍ وحَنينْ
اذكُريني

اذكُريني كُلّما صِرتِ وحيدَه   يعصرُ البُعدُ فُؤاداً مُستهامْ
وإذا ما شَفَّكِ الوجدُ فَريدَه   فتعالَي نَشرَبُ الدَّمعَ مُدامْ
واذكُريني

اذكُريني يا حياتي مُدنفا   في هواكِ في صَباحٍ ومساءْ
كُلّما أشرَقَ صُبحٌ أو غفا   في لَيالي السُّهدِ مِصباحُ السَّماءْ
اذكُريني

اذكُريني كُلّما نجواي شابتْ   وقضى القَلبُ عليلاً يرتجيكْ
وغِنائي نغمةٌ في الكونِ ذابَتْ   وفؤادي يا حيَاتي يفتَديكْ
اذكريني

اذكريني إذْ مَدَى العُمرُ انقَضَى   وثوينا بَينَ أسداف اللُّحودْ
اذكُري أنَّ زماناً قد مضَى   فيهِ روُحانا إلى الحُبِّ تعُودْ
واذكُريني

١٩٧٨/٤/٢٠.

جابدة

حنين

سَلْ واديَ الحُبِّ وأُسال وَردةً فيهِ ... عنِ اللّقــاءِ الذي لو عادَ يَرويهِ

تَخضرُّ أرضٌ ويزهو في جوانبهِ ... شيحٌ وينمو الخُزامى في روابيهِ

لُقيا تحدَّث عنها النجمُ ردَّدَها ... للقادمات من الأيامِ في تيهِ

ذكرتُها من صميمِ القلبِ أذكرُها ... والحبُّ تأبى يدُ الأزمانِ تسفيهِ

يا عودُ دندِنْ فقلبي والهٌ دنِفٌ ... يا شوقُ أقبِل فإحساسي يُناجيهِ

سَلْ واديَ الحُبِّ يا عوّادُ يُنبئكُم ... أنَّ السُّرورَ تَنادى في حواشيهِ

فاصدَح بلَحنِكَ يا عوّادُ مُنتشياً ... ودَعْ لُقانا على الذكرى تناغيهِ

يومُ اللّقاءِ الذي قد كانَ يرقبهُ ... عشّاقُ عُذرةَ في الماضي ونحييهِ

وفي الزوايا بقايا مِن تنادمِنا ... وفي الدُّروبِ لحونٌ من أغانيهِ

وفي الخبايا حُطامٌ من تأوّهِنا ... خوفَ الفراقِ وأوجاعُ النّوى فيهِ

يحنُّ قلبي إلى ذاكَ اللّقاءِ ففي ... تذكارهِ الحُبُّ يَسمو في معانيهِ

كم ذا وَدِدتُ لِهمسِ الرّوحِ تحفظهُ ... لأستعيدَ صدى أُمسي وأُبقيهِ

موج الوادي

سلْ واديَ الحبِّ عن حبٍّ يؤرّقني — مدى الزمانِ وقلبي تائهَ التيهِ

حاولتُ إخفاءهُ لكنّه نزقٌ — يسري إلى سرّيَ الخافي فيفشيهِ

سقيتُهُ من رحيقِ العمرِ أطيبَهُ — وما سقاني سوى وهمٍ أعانيهِ

ألفتُهُ طولَ عمري وهو يألفني — هل يشردُ الطيرُ عن عشٍّ يُداريهِ

ولا حياةَ لهُ لو لم أكن دنفاً — ولستُ أحيا وحيداً دونَ ناديهِ

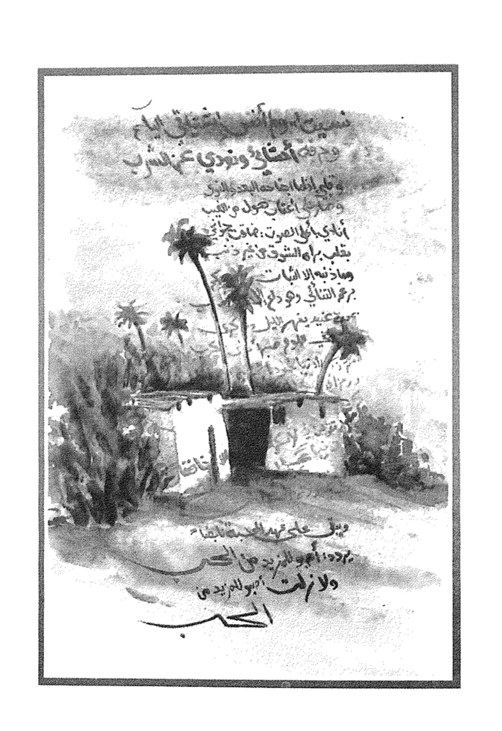
إلفين كُنّا ونبقى مثلما خُلقا — الشوكُ في الوردِ يُشقيني ويحميهِ

يا ليتَ واديَ الهوى يروي تعطّشنا — إلى اللقاءِ الذي يشتاقُ يرويهِ

١١/٧/١٩٩٠.

فرنسا – سفرنيه





أصبو للمزيد من الحب
ولا زلت أصبو للمزيد من
الحب



وَيبقى الشّوق

كما ألِفَ العذابُ صميمَ قلبي — فقد سئمَ الفؤادُ منَ العذابِ

كِلا الضِّدّينِ مرّا في دروبٍ — مِن الألمِ المُعتّقِ والسّرابِ

فلم ييأس فؤادي من وِصالٍ — وقد ملَّ العذابُ مِنَ الحِرابِ

وقد ظنّت سُنوني أنَّ هجري — يُنيخُ بشاطئي دونَ الإيابِ

ولم تدرِ السّنونُ بأنَّ قلبي — تجلّد للعقابِ ولِلعتابِ

فعذّبتِ العذابَ دروبُ عُمري — وقد خرَّ العذابُ صريعَ ما بي

ويبقى الشّوق ما بقِيَت حياتي — ويسمو الحُبُّ مرفوعَ الجَنابِ

وتمرحُ بي صَباباتي وأنسي — وتفترُّ الثُّغورُ عنِ العذابِ

ونهنأ والليالي زاهياتٌ — بوصلٍ حُلوُهُ أحلى الشّرابِ

وننبذُ من سنينِ العُمرِ عَصراً — مذاقُ البَينِ فيهِ جامُ صابِ

وأقسمُ بالليالي العَشرِ عشراً — وبالفَجرِ المقدّسِ والكتابِ

سأبقى والهوى صِنوينِ حتّى — يموتَ الحُبُّ أو يدنو مآبي

١٩٨٦/١٢/١.

كربلاء

شقيقُ الروح

يا شـقـيقَ الرُّوحِ يا عذبَ اللّمى ... يـا عـزيزاً حَلّ في القلبِ كَريمْ

حلَّ في القلبِ سِنيناً يحتسي ... مِن حُمَيّاهُ وِدادي والنّعيمْ

حلَّ عـشـقـاً في السّويداءِ وقـد ... صـارَ جزءاً مِن فـؤادي بالصَّميمْ

يا شـقـيقَ الرُّوحِ لا تبـرح دمي ... فـعـرُوقي تشـتـهي فـيـهـا تقيمْ

أنتَ تحـيـا في كـيَاني والهـوَى ... فـيـه أحيـا كـيفَ أسلو أو ألومْ

فـيـه عُمري وشـبـابي والمُنى ... ومـغـاني الشِّعـرِ في الرُّؤيا تهيمْ

يا شـقـيقَ الرُّوحِ فـاسـتـوصِ بهِ ... قـد مَلكتَ القلبَ ذيّاكَ الكَليمْ

كُن ودوداً مِثلمـا ودَّ وكُن ... كُن رحيـماً مِثلما كانَ الرَّحيمْ

لا تُفـارقـهُ فـويلي إن جرَى ... ذلك البُعـدُ سـيُلقَى في جحيمْ

يا شـقـيقَ الرّوحِ إنّي ضـيـفهُ		ذلكَ الـقَلـبُ ويَهـناهُ المـقيـمْ
فلقـد ملّكْتُهُ حُبي الذي		عـاشَ فيه زَمن العِشق الحميمْ
إنّهُ سُكناكَ لا زالَ كـمـا		كُنتَ فيهِ مذ عشِقنا من قديمْ
فـترفّق بحنَاياهُ وكُن		في خوافيهِ لطيفاً كالنّسيمْ
يا شـقيقَ الرّوحِ لا تذرُ الهوى		برِياح النأي يغدو كالهشيمْ
فنِدائي رغم حُزني صادحٌ		يا عزيزاً حلَّ في القلبِ كريمْ

١٩٩٣/٦/٢٦.

كنجي مربوط

ترانيم

وغـــداً تأكلُنا الأرضُ التي / قـــد غَلبناها سنيناً ولّتِ

بعـــد أن تكسرَ مِني آلتي / فيضيعُ اللحنُ بالعُمرِ الحزين

وقتَها تبكي على روحي الحياة / بعد أن تُسلَبَ من جسمي الحياة

إذ يقـــينني أنَّ وعَد الحيِّ آت / وظنوني خُلِّيَت طولَ السّنين

ســوف نمضي لستُ أدري أينَ مـا / قـصدُنا بالسَّيرِ حتى أينَما

كلُّ مـــا زادَ بقلبي أي نَمـا / علِمهُ الخالدُ ذيّاكَ الدفين

وغـــداً يحــزَنُ قلبي والوصال / بعـــدَما بالحُبِّ قـد جالَ وصال

سوفَ يبكي عِشقنا حبلَ الوِصال / بعـــد أن بُتَّ بنأيِ العاشقين

لستُ أدري نلتـــقي بعـــدئذ / أم أواري لا أرَى بعـــدُ إذَن

لا ولا يُســـمَحُ لي بعــدَ إذن / بوصـــالٍ فــيُعنّيني الحَنين

وسَيـــبـــقى ذكــرُنا يا وَيلنا / بعـــدَنا رمـــزاً لهُم سوَى لنَا

ويقـــول الحُبُّ حُزناً، وَي، لَنَا / إنَّ ذِكــراكم سمَت للخالدين

كم وكم باع قلوباً واشترَى   غيرنا أخرى وباهى إيش ترى

قلتُ أستنكرُ هذا، عِش ترى   عجباً فالحبُّ يهوى المخلصينْ

يا ترُى مَن ذا الذي أوصلَنا   لحبيبٍ حبُّهُ أوصى لنَا

نعشقُ الحبَّ وقد أوصلنا   ذلكَ العِشقُ إلى مرِّ الأنين

يا إلهي عُمرنا جدُّ قصِير   وفؤادي للهوَى دوماً قصير(1)

فأنا بالنوحِ كالوُرقِ أصير   طائراً أبكي وِصالَ المُغرَمينْ

سَرمَديٌّ العِشقِ قلبي أبدا   سوفَ لن ينسى مُحباً أبدَا

قد علَا وجهي شُحُوبٌ وبَدا   فليكُن.. هذي سِماتُ الوالهينْ

يا إلهي مرَّةٌ هذي الدُنى   تُتعبُ القاصي وتُدمي مَن دنَا

أترُى العِشقُ بعُمرٍ مدَّنا   أم ترُانا قد ثوينا في سكونْ

إنَّهُ الموتُ الذي نَنتظِرُ   ثمَّ يأتي بعدَنا المُنتظَرُ

ونرى الحِكمةَ فيمَن نظروا   إنه اليومُ الذي فيهِ اليقينْ

٢٩/٢/١٩٩٢.

كنجي مربوط

---

(١) القصير: الجار.

وَلَه

يا مَن يحنُّ القلبُ لَهْ	الروحُ عَذَّبها الولَهْ
والشوقُ ذَوَّبَ مُهجتي	والوَجدُ صَبرٌ عَلَّلَهْ
مَلَّ السِّنينَ ومرَّها	والصَّبرُ صَبري مَلَّهْ
نوحُ الحَمَامِ بعُشِّه	وهَديلُهُ ما اجملَهْ
يحكي مُعاناةَ الهوى	في اضلُعي مَن ادخلَهْ
نوحُ الحَمامِ لمُهجَتي	كالوَردِ قَطرٌ بَلَّلَهْ
يا عشقُ قَد آذيتَني	والعشقُ عِشقي اذهلَهْ
يا حُبَّها يا عِشقَها	لولاكَ نفسي مُهمَلَهْ
فالحُبُّ لي اسمى المُنى	والصَّعبَ حبي ذَلَّلَهْ
بالحُبِّ احببتُ الدُّنى	حَمداً لقَلبي ما دلَّهْ[1]
رغمَ السِّنين ورَغمِهُ	ذاكَ التَّمزُّق اشعَلَهْ
هل يا تُرى عَلِمَ الهوى	حَبلُ النَّوى ما اطولَهْ
او هَل تُرى يدري النَّوى	سوطُ الجوى ما اقتلَهْ
وشقيق روُحي سامَني	خسفاً وقلبي دلَّلَهْ
قلبي سيبقى عاشِقاً	والشَّوقُ طاغ جَلَّلَهْ
اهفُو لوَصلِ عاجلٍ	فالرُّوحُ عَذَّبها الولَهْ

الأسكندرية – الكويت

١٩٩٣/٥/٢٤.

(١) دلَّه: كلمة شعبية كويتية بمعنى سلا ونسي، وهي ذات اصل عربي فصيح بالدلالة نفسها.

نكأت الجرح

نَكأتَ الجُرحَ يا زَمَني فَجُرحي ... تبسَّمَ عن جميلِ الذِّكريات

وقد طَرِبَت كَوامِنُ سِرِّ قلبي ... كما هدأتْ بنفسي ثائراتي

يمورُ الكَونُ يرقُصُ حولَ روحي ... وقد أهدى إليها البُشريات

ونشوتُها تسامَت بالأماني ... وأحلامي انتشتْ بالأغنيات

نكأتَ الجُرحَ يا زمَني بوصلٍ ... كومَضِ البرقِ أسرعَ في فَلاة

طواها المَحْلُ أعواماً عجافاً ... فجاءَ الومضُ بُشرى للحياة

أيومَ الوَصلِ تعدِلُ في حياتي ... سنينَ البَينِ تلكَ القاتلات

سمعتُ الصَّوتَ يهتِفُ من بعيدٍ ... وسمعي يشتهي صوتَ المَهاة

تُذكِّرُني ليالي عشتُ فيها ... غريراً لا أعي مُرَّ الشَّتات

تُذكِّرُني صِبايَ وفجرَ حُبّي ... وأياماً خلَتْ حفرَتْ بذاتي

شكَتْ لي في ضنىً هَولَ الليالي ... وقد أنَّ الفؤادُ من الشَّكاة

ويصبو القلبُ للذِّكرى مشوقاً ... يلوكُ تلذُّذاً قولَ الوشاة

يُذكِّرُني أولئكَ عشقُ عُمري ... وما عشقي غريبٌ عن حياتي

فديتُكَ إلفَ روحي نوِّليني ... وِصالاً مثلَ سَقيٍ للنَّبات

أراهُ بلسماً ينتابُ جُرحاً ... تبسَّمَ عن جميلِ الذِّكريات

١٩٩٣/٦/٤م

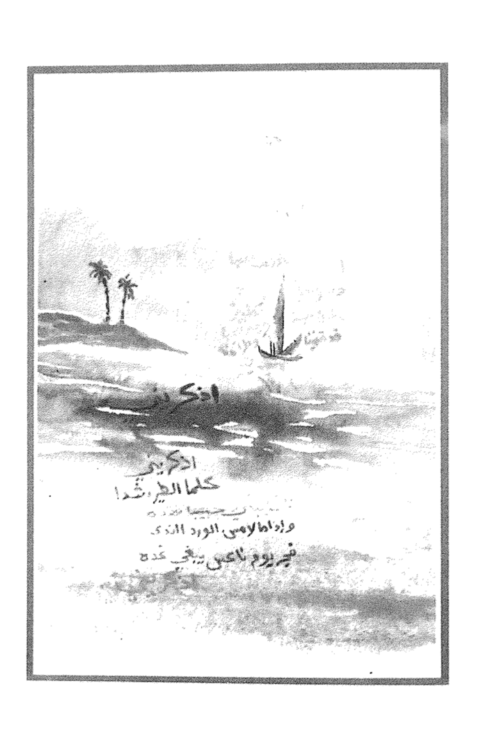
الكويت

لم أنسَ

تقولُ شوقاً: فهَل لا زلتَ تذكرُنا | أم هل نسيتَ تناجينا وذكرانا
وهل أبادتَ سنونُ البُعدِ حبَّكمُ | وأُطفئت شمعةٌ في درب مسرانا
وباتَ قلبكَ من قلبي بمُظلمةٍ | أم قد تجمَّدَ إحساسٌ لتنسانا
أجبتُ: لا والذي يرعى محبَّتنا | لم أنسَ يوماً تناجينا ولُقيانا
فمرَّ أعوامُ بين عشرةٍ سلَفَت | لم يمحُ ذكراكمُ روحاً وريحانا
لكنَّ نفسي ولَذعُ البَينِ فرَّقها | أودت بصفوي وهذا الشَّيبُ قد بانا
شواهدٌ كلُّها ضدِّي وقد نطقَت | تحذِّرُ الآنَ من بُعدٍ وتنهانا
تخشى فراقاً لعيناً قد يحلُّ بنا | فينزفُ الجرحُ يأساً مثلما كانا
فلنغتنم ليلَنا فالصُّبحُ فاضحُنا | ولننسَ بُعداً فإنَّ البُعدَ ينسانا
ولنهنأ الآنَ فالدُّنيا بنا رقَصت | منذُ التقينا ونجمُ الحبِّ يرعانا
لم يبقَ بالعُمرِ إلاّ ما تجودُ به | ليلاتُ وَصلٍ ولُقيانا ونجوانا
وأغنياتٌ بسمعِ الحبِّ ننشدُها | يغصُّ واشٍ بها أو عاذلٌ خانا
مراقصُ الحبِّ تدعونا لحلبتِها | فلنمرحِ اليومَ إنَّ العُرسَ قد حانا

الكويت

١٩٧٤/١٢/٥.


اذكريني
اذكريني
كلما الطير شدا
وإذا لامس الورد الندى
في يوم ناعس يبغي غده



رياحُ الشوْق

يا رياحَ الشوْقِ هُبّي — مَزّقي أشرُعَ حبّي
أغرِقي الدُّنيا بنأيٍ — مثلَما أغرقتِ قلبي
أبرِقي يا سُحبَ هجري — أرعِدي رُعباً برُعبِ
أمطِري سُمّاً وشوْكاً — وازرعي الأرضَ بجدبِ
وامنعي الزهرةَ تنمو — أو أرى البذرةَ تُربي
فلقَد ملَّ فؤادي — هَجْرَ أحبابي وصَحبي
ولقَد ملّت جفُوني — سَهَرَ الليلِ وكَربي
أمتَطي الآمالَ حيناً — فيُجافيني رَكْبي
وهيَ حيناً تتنَامى — بينَ أعماقي وصلبي
يا زمانَ الوصلِ عُد لي — وأعِد خفقاً بجنبي
ودَعِ الزَّهرةَ تحيا — لأرى البذرةَ تُنبي
وانثرِ الحُسنَ ربيعاً — يزدهي الكونُ بخصبِ
واملأْ الدُّنيا عبيراً — وغناءً عبرَ دربي
فلكَ الشوْقُ يُنادي — ولكَ الحبُّ يُلبّي
لا تدَعني يا زماني — رهنَ إعصَاري ونحبي
فيدَ خوفٍ ينهبُ العمـ — ـرَ ويُلقيني لشَيبي
قبلَ لُقياكَ لِتمحو — راحِماً غُربَةَ قلبي

١٩٧٤/٩/٥م

الكويت

موج

أيام الوصال

كأنَّ فؤادي وهو ظمآن يرتجي ... وصالاً من الأحباب ولَّت مرابعهْ

ولقيا يطوفُ القلبُ ولهانَ حولها ... فتنقضُّ من فرطِ الحنين مضاجعهْ

ونجوى كتغريدِ الطيورِ حسبتُها ... لقلبي شفاءً لن تجفَّ منابعهْ

ولكنَّ نجواها تقادمَ عهدُها ... فأمست كتمثالٍ تداعت روائعهْ

كأنَّ فؤادي طفلُ ريمٍ وقد غدا ... وحيداً من الخلاّن ضاقت ذرائعهْ

ألا ليتَ شعري هل تعودنَّ ليلةً ... ثملنا بها وصلاً ووداً نشايعهْ

شربنا كؤوسَ الحبِّ ريّانةَ المنى ... فغنّى نديمُ الليلِ شوقاً ينازعهْ

خليليَّ لن أنسى على الدهرِ ودَّها ... وجرحَ فؤادٍ أحزنتها مواجعهْ

ولا نأيَ من هامَ الفؤادُ بحبّها ... وهاجت بذكراها حنيناً مدامعهْ

سقى اللهُ أيامَ الوصالِ بمزنةٍ ... هطولٍ فتحيا بعد جدبٍ مراتعهْ

فتزهرُ نواراً وتنبتُ برعماً ... وتحيي لنا حباً أبيدت مواضعهْ

وننسى عذولاً أنهكَ الودَّ سعيُهُ ... ونُبعدُ شيطاناً غزتنا نوازعهْ

ويجلو كلانا همَّ دهرٍ فقد دنا ... سرورٌ فقدناه فبانت طلائعهْ

١٩٧٥/٢/٢.

طوى الخشاش

البوادي

شكوى

يهزّني الشوقُ والآهاتُ تنفجرُ ... وتحتويني همومٌ يومَ ذكراكِ

وتعصرُ القلبَ آلامٌ مبرّحةٌ ... يزيدُها اليأسُ إيلاماً كأشواكِ

وينزوي الصبرُ مشدوهاً بزاويةٍ ... منَ الفؤادِ دهتهُ أنّةُ الشاكي

يلقى أنيني سميعاً كلَّ جارحةٍ ... منَ الأنامِ وغيرِ الإنسِ إلّاكِ

وكلّما هتفَت في الليلِ ساجعةٌ ... يحثُّ شوقي خطاهُ حيثُ ألقاكِ

أطرتِ فكري شُعاعاً والنُهى شرَدَت ... فهل تُعيدُ الحجا أحلامُ نجواكِ

هيَ الحياةُ شديداتٌ مضايقُها ... وذروةُ الهمِّ لا أحظى بلُقياكِ

شَدَدتُ رحلي لكي أُسدي مُباركةً ... لمنزلٍ ودُعائي فيهِ يهناكِ

مررتُ والنفسُ تدعوني كعادتِها ... لوقفةٍ قُربكم تهنا برؤياكِ

لكن صَدَدتُ عنِ اللقيا ينازعني ... شوقي إليكِ وخوفُ العاذلِ الحاكي

أخشى عليكِ نُسيماتٍ مُداجيةً ... منَ الوُشاةِ تُعادي صفوَ دُنياكِ

وأقنعُ النفسَ أن تنأى مجانبةً ... حُلوَ اللقاءِ فلا تسعى لمغناكِ

أثوي وحيداً وأحسو الهمَّ منهزماً ... وأرتضيهِ دواءً يومَ ذكراكِ

١٩٧٦/٦/٣م.

الزبيد

حديث أمسي

ظلامُ الليلِ أدركَهُ التمنّي ... فأخفاهُ وغابت فيهِ عيني

حبَستُ الروحَ في صدري لكَي لا ... تُناجي بالهمومِ رؤىً كَوَتني

وبُطءُ الليلِ أرهقني وأفنى ... تناهيدي ووجدي ليس يُغني

ألوكُ الهمَّ في أعماقِ نفسي ... فيُضني واللواعجُ أُحرقتني

وأجترُّ الحديثَ حديثَ أمسي ... وقد حجَبَ الزمانُ صداهُ عنّي

فلا أجدُ الحبيبَ دَنا لقُربي ... ولا سَكرَ الهوى يوماً بلَحني

ولم أسمعَ مِنَ الأطيارِ شدواً ... تُرجّعُهُ على أوتارِ فَنّي

وما خفقَ القطا يبكي هوَانا ... ولا نبضَ الحيا برُواءِ غُصني

وزَهرُ الروضِ كفّ عنِ التّناجي ... بفوحِ العطرِ يَسكُبُهُ بدنّي

ومَوجُ البحرِ الجَمَهُ سكونٌ ... فغابَ بموجه فكري وظنّي

وهـذا البـدرُ أنـكرَ أن رآنـا ... وقـد شهد الهوى عـينا بعين

وذاك الليل أنكرني جراحـاً ... يُداويها وقد قـاربتُ حَـيني

كـأنَّ الليل لم يشهد عهـوداً ... تُوثّقها تباريحي وحُزني

وهذا الفجـرُ لم يسمعْ شكاةً ... بضجَّ أنينُهـا في كُلِّ أُذنِ

لماذا لا يُواسـيني عذولي ... وقـد أنَّ العـذابُ وصـارَ يُضني

شبابي قـد ذوى مُذ جفَّ نبعي ... وأُهدِرَ مـاؤهُ يومَ التّجنّي

فـمَن ذا يرحمُ القلبَ المُعنّى ... بحُبٍّ خلتهُ جنّات عـدنِ

فَشَـبّت نارهُ تَرعى بروحٍ ... تَنوءُ بأسـرها في لَيلِ سجنِ

ليالي الشّوقِ كُفّي عن ندائي ... فلن ألقـاكِ حـتّى بالتّمنّي

ظلامُ الليلِ غـابَ فـلا ظَلامٌ ... يُؤرّقني ويشـقى فيـه جفني

١٩٨٠/٨/٢٦.

نيس – فرنسا

الوفاءُ الخالِد

قُلتُها في كُلِّ شِعري يا صديقي، وسأبقى قائلاً حتّى المآبا

عِشتُ للحُبِّ وفاءً خالداً ردّدَ الآهَ فؤادي والعِتابا

ونشيدي ليسَ يخبو طرباً يرقصُ العشّاقَ طرّاً والكَعابا

يا صديقي حينَ أبغي قنَصاً أطردُ الظّبيَ وصقري والذّئابا

فلأنسى جُرحَ قلبي والنّوى وهمومَ العشقِ تكويني اغترابا

فأنا في البرِّ نفسي حُرّةٌ أبعدُ الغُربةَ عنّي والعذابا

أطلقُ الصّقرَ وقلبي خلفَهُ طائراً يفتحُ لي بالأفقِ بابا

أبحثُ اليومَ وأمسي وغداً عن حبيبٍ تاهَ عن عيني وغابا

أخذَ اللُّبَّ وروحي واختفى هل يُعيدُ الآنَ روحي واللّبابا؟

بعدَ عُمرٍ قد تقضّى وانقضى أُهرِقَ الحِسُّ بنفسي والشّبابا

أُطلِقُ الصّقرَ وفكري شارِدٌ أسألُ الصّقرَ: ترى حُبّي آبا؟

ويقيني أنّ ما فاتَ انقضى وهوانا صارَ حُلماً وسرابا

وسنبقى بعدنا ذكرى الهوى يسطُرُ التّاريخُ بالعشقِ كتابا

قُلتُها أُسمِعُ كوني والدُّنى وسأبقى قائلاً حتّى المآبا.

۱۹۹۳/٥/۲۱.

الجَمالُ الناعسُ

هاجَني الوَجـدُ لأزمـانٍ خلت ... كـزمـانِ الوَصل بالأندلُسِ
وظُنُونـي أوغَلَت تنتـابُنـي ... ويـلَ قلبي مِن عـذابِ النّعِسِ
يـا ندامـاي بنَفـسي لهـفَةٌ ... تتـمنّى لـو شفَاها مَن نَسِي
بـوصَالٍ جَدّدَتـهُ مُنيَتـي ... وأنـارَتْ قـلـبَ لـيـلٍ دامِسِ
أرشُفُ الخَمـرةَ من عـذبِ اللّمى ... وتُناغـينِي عيُـونُ النَّرجِسِ
وفُؤادي نـارُهُ تحـرِقُني ... ولـظَاهَا مِن لَهـيبِ النفَسِ
يـا نـديمَيْ غزَلـي أيـنَ الّتـي ... صَنَعَتْ أنسـي ألاَ مِن مؤنسِ؟
بعـدَ أن كُنّا حليـفَي صَبـوَةٍ ... وسكُونٍ ضَمّنـا لـم ينبِسِ
وبليغ الصّمتِ قـد أمـتَعَنَا ... بَعـدَ هَمسٍ أو حـديثٍ سَلِسِ
قـد ذوَى ذاكَ زمـانٌ تَعِسٌ ... يرقُبُ الـوَصـلَ بِقَلـبٍ شَرِسِ
يـا نَدامـايَ فِداءٌ لـكُمَا ... كلُّ غـالٍ لو أعـيـدَت خُلَسي
عـلّلانـي بـوِصَالٍ مُرتجـى ... بَعـدَ نأيٍ شَتّ مِنهُ هاجِـسي
ذِكـرياتـي غَرَبَت عنّي فَلَم ... يبقَ منهـا غـيـرُ رَسمٍ دارِسِ
غـيـرُ عِطرٍ فـاحَ بالدّربِ الذي ... مَرّ فـيـهِ ذو الجَمالِ النّاعِسِ

١٩٨٥/١١/٢٦.

شمال فيضة بن هذال – الأنبار

نداء

لكِ روُحي أمـــا ســمِعتِ النِّـداَءَ ... فـــهُمُومي قـــد أورثتني العنَاءَ

وحنيني إليكِ أضــحى شعَاعــاً ... قــد تعـالى فـمَسَّ حــتى السَّماءَ

مــلأَ الكونَ والفضَاءَ وأمــسى ... بَينَ عــينيكِ يَسكبُ الأضــواءَ

إذ سرَى الــلــيلَ طولَهُ ليُلاقــي ... فــجــركِ الحُلوَ ينضحُ الأنداءَ

إيهِ أمــسي أتذكــرُ الحبَّ طفــلاً ... فــيـــهِ غنَّى شلاَلُهُ كيفَ شاءَ

فــيـــهِ ملَّ اللقـــاءُ منا وإنَّا ... مـــــا ارتوينــا ولَم نَمَلَّ الـلقَاءَ

كــيفَ تجري الحـيـاةُ فـينا إلهي ... والبعـــادُ الأليمُ هدَّ الرَّجـــاءَ

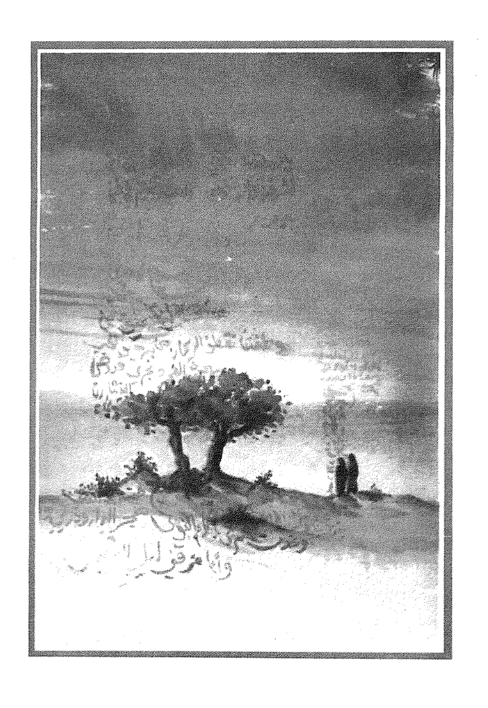
أنا لَن يُوقِفَ البِعـــادُ حنيـني ... لا ولَن يَخـــنــقَ الــزمَانُ الــنِّداءَ

ذاكَ حبِّي فــــــلا يـزالُ أتياً ... دفــــقهُ الثــرَّ جــاوزَ الجوزَاءَ

لكِ روُحـي ومُهـــجتي وسنُوني ... كُلُّ مـــا بي أهدي إلـيكِ فدَاءَ

هَل سَمِعتِ الـنِّداءَ يـا إلـفَ روُحـي ... أم هــديـرُ الــنِّداءِ ولّى هــبَاءَ

سيَظَلُّ الــنِّداءُ يَســـري ويدوي ... ليُعـــيــدَ الـهوَى إليَّ بهَاءَ





وَيَهُزُّ الفَضَاءَ حُلْوُ التَّغَنِّي ... أَنَا مَنْ عَلَّمَ الطُّيُورَ الغِنَاءَ

فَإِذَا مَا سَمِعْتِ يَوْمًا هَدِيلاً ... فَهُوَ فَنِّي مَنَحْتُهُ الوَرْقَاءَ

أَوْ سَمِعْتِ الطُّيُورَ فِي الرَّوْضِ تَشْدُو ... تُطْرِبُ الرَّوْضَ وَالرُّؤَى وَالسَّنَاءَ

ذَاكَ مِمَّا تَعَلَّمَتْهُ مَزِيجًا ... مِنْ غِنَائِي إِذْ أَرْتَجِيهِ دَوَاءَ

لَكِ رُوحِي رُدِّي إِلَيَّ لِقَاءً ... فَهُمُومِي قَدْ أَوْرَثَتْنِي العَنَاءَ

١٩٩٢/١٠/٣٠.

باريس – جنيف

مَشاعر

لو انَّ الطَّيــر يَعلمُ كَمْ شجَاني ويَدري أنَّ أشـــواقي تُجـــدَّدْ

وذِكـــرى وَصلِنا تهــفُو ولُوعــاً إلى مــغنى الحَبـيب ومَن تودَّدْ

وأنَّ الوَجــدَ في كـبِدي تلظَّى ســعــيــراً أجَّجَ الذِّكـرى وأوقَدْ

وينكأُ في زوايا القلب جُرحــاً تُعـــالجُهُ السُّنونُ وقـــد تمرَّدْ

وأنَّ الشَّدوَ مــحــزونٌ يُعــاني منَ الذِّكـرى البـعـيدَة مـا تبدَّدْ

ومـفـتــونٍ بذِكـرِ الحُبِّ يُغـري بنا الشَّوقَ القــديمَ وليسَ يَخـمَدْ

يُهَيِّجُ في الحَشَا منّي القـــوافي فــتَســري في انطلاقٍ لا يُقــيَّدْ

فــتَسكبُهـــا طيورُ الرَّوضِ لحناً يُغَنّيـــــهِ الربيعُ هـوىً مُردَّدْ

يمسُّ النبضَ في قلبي فــينَضو مــشــاعِرَهُ الحـبـيـسـةَ مـا تجلَّدْ

وتهــتــزُّ الروابي مـــائســـات وقـــد رقَصَ الجـمـــالُ بهَا وأنشَدْ

وتُشــجــينا النَّســائمُ حينَ هبَّت تُدَغــدِغُ مـــاضــيــاً ولّى وأبعَدْ

لو انَّ الطيــر يَدري كُلَّ مـــا بي على جَمـرِ الأسَى مـا كـانَ غرَّدْ

ولكـنّي وإن عذِّبتُ أهــفـــو وأرجِعُ لِلهــوَى والعَودُ أحــمَدْ

فــلا تَحبِس ـ أيا طيرُ ـ الأغـاني فــشَدوُ الحُبِّ مـــوصـــولٌ مُخلَّد

١٩٨٧/٤/٢١.

كابدة

القلبُ الظامئ

جُمِعَ الشوقُ وروحي والهوى ... لليالٍ فارقتنا من سنين

عاشَها القلبُ ظميئاً ما ارتوى ... من حبيبٍ كلُّ ما فيه يزين

واستقى منّي حبّاً هانئاً ... وسُقيتُ المُرَّ من هجرٍ خؤون

يا حبيباً سكبَ الشوقُ لَهُ ... من حنايا الصدرِ وداً وحنين

جُمِعَ الشوقُ بروحي كلُّهُ ... كلُّ شوقٍ هاجَ سرَّ العاشقين

يا حبيباً طالما غنّت لَهُ ... من شغافِ القلبِ آهاتُ اللحون

لكأنّا وحدنا غنّى لنا ... طائرُ الحبِّ بإيقاعٍ حنون

هل تذكّرتَ لقانا حينما ... غفتِ الدنيا وفاحَ الياسمين

يومَ كنّا والمُنى تسمو بنا ... في الفضاءِ الرحبِ بين الحالمين

نطلبُ الصعبَ وفي أحلامنا ... أنّ صخرَ الصعبِ قسراً سيلين

أينَ هاتيكَ الأماني قد ذوت ... كرقيقِ الزهرِ في قفرٍ ضنين

أين منّي الوصلُ يا وصلاً غدا ... في زوايا الدهرِ يثوي في سكون

جُمِعَ الشوقُ بروحي فغدا ... بهواهُ خالداً للآبدين

وكأنّا يا حبيبي وحدنا ... لمليكِ الحبِّ نحيا وندين

١٤/ ٢/ ١٩٩٤.

وَهْمُ الوَصْل

سَلي فُؤادي إذا ذِكْراكُمُ خَطَرَت ... ولاحَ في هاجسي طيفٌ يُناجيني

وحَلَّ لَيلٌ أُعاني البُعدَ أوَّلَهُ ... وبالأواخِرِ وهمُ الوَصلِ يُضنيني

وصارَ يُبعدُني لَيلُ الأسى بأسىً ... وقد ظَننتُ دوامَ اللَّيلِ يُدنيني

وعانَقَتْ روحيَ السكرى على شَغَفٍ ... مَشارِفَ الغَيبِ ترجُوها لِتُنبيني

ماذا جرى لحبيبٍ أدَّهُ وَلَهٌ ... يَشُبُّهُ البَينُ في عُمقِ الشَّرايينِ

يَجترُّ ماضيه يَرجو أن يكُونَ غداً ... هيهاتَ يَرجعُ ما قد كانَ يُحييني

وهَل يكُفُّ النَّدى عَن زهرةٍ عطشاً ... أو قَطرُ أمسٍ على الأوهامِ يُرويني

يا مَربَعَ الحُبِّ والإخلاصِ أينَ هُما؟ ... وأينَ منِّي الأماني إذ تُمنِّيني

سلي فؤادي فَقَهرُ البَينِ عَذَّبَهُ ... وسالَ جُرحٌ يُبكِّيهِ فيُشقيني

مَلَّ اصطبارٌ وصارَ العُمرُ يَهزأُ بي ... إذ لاحَ في مَفرِقي شَيبٌ يُعزِّيني

يا خافِقي أسِنينَ الوَصلِ تَطلُبُها ... أم تِلكَ أُمنيةٌ عنها تُواسيني

لكَ الخُلودُ ويكفينا تألُّمُنا ... فالنَّارُ قد أحرقَت عُمري ويكفيني

١٩٨١/٢/٨م.

طوى الحشاش

وفاء

قفَا نذكُرُ الأيَّامَ والوَصلَ صافيا ... ووُداً عفاهُ الدَّهرُ أبعدَ نائيا

وحُباً قَهَرنا الدَّهرَ حتّى صفَا لنا ... فَصُغنا عبيرَ الزَّهرِ منهُ الأمانيا

وطرنا سوياً نعتلي النَّجمَ والسُّها ... ونُنشدُ في الآفاقِ مِنّا التّناجيا

ونمرحُ في رَحبِ الفضاءِ تهزُّهُ ... مَسَرَّاتُنا فانحازَ للأرضِ لاهيا

وسارَت قوافي الشِّعرِ خلفَ رِكابنا ... لتَحدُوا بنا حتّى عشقنا القوافيا

وكانَ قرينَ الرَّكبِ عمروٌ وعزَّةٌ ... وقيسٌ وليلى ينشدُونَ الأغانيا

يزفُّونَ عُرساً قد سمَا بعروسه ... بمغنَى السُّها بزَّت رُؤاهُ المغانيا

خليليَّ رِفقاً فالحياةُ قصيرةٌ ... ذَرَاني فلن أقضي حياتيَ باكيا

مُغرِّدتي بالغُصنِ هيضَ جَناحُها ... يميناً سأبقى راعياً ثمَّ حانيَا

فإن عقَّني حُبِّي وشرَّدَ طائري ... فلستُ إلى طيفٍ سِواها مُوانيا

سأبقى ويبقى الحبُّ بعديَ خالداً ... بشدوِ طيُورِ الكونِ تحكي وفائِيا

١٩٨٩/٥/٩م.

لندن – الكويت

جمرُ الظنون

سَلي روحي غداةَ الشوقِ حلاّ ... وذابت مهجتي في جمرِ ظنّي

أبيتُ الليلَ ترعاني همومي ... وأنجمهُ تراعيني وحزني

أناجي الروحَ أعذلها لكي لا ... يمزقها اشتياقٌ فيه حيني

تبادلني التوجُّعَ والتأسّي ... ونحملُ أصعبَ الآلامِ عنّي

أخادعها لأشعرها بأنّي ... بِدَغدغني الكرى وتغطُّ عيني

ولكنَّ السعيرَ رعى بجوفي ... فقضَّ هناءتي وأشابَ سنّي

سلي روحي أسامرها لصبحٍ ... فهل أنبئتِ أو تدرينَ أنّي

أمضّي العمرَ في ذكرى لبالٍ ... مضت بوصالها وأنتِ ببين

أعيدي منيتي وصلاً عفتهُ ... سنونٌ مثقلاتٌ بالتجنّي

لنهنأ يا رفيقةُ ملءَ دنيا ... يغازلُ حسنها زهرُ التمنّي

فبراير ١٩٨٢.

الجريبعات

وتمضي السنون

يا ربَّةَ الشِّعرِ والأطيافِ زُوريني   فَقَدْ سَئِمتُ نِدائي: يا رُؤى زُوري

تمضي السُّنونُ ثقيلاتٍ كأنَّ بها   سلاسلاً رُبِطَتْ من عهدِ سابُورِ

تمضي السُّنونُ فلا طَعمٌ ألذُّ بهِ   وسامرُ الحيِّ تبكيهِ مزاميري

سَلُو القوافي فَقَدْ أرقصتُها طرباً   وخِلتُها رقصَتْ جَذلَى لِمقهورِ

يا أيُّها الدَّهرُ والأيّامُ قاتلتي   أمَا عَطفْتَ على ولهى ومأسُورِ

للهِ دَرُّهُما قلبانِ ما وَهَنَا   رغمَ السِّنينِ وويلاتِ النَّوى العُورِ

يا ربَّةَ الشِّعرِ والإلهامِ يا أملي   طُوفي بفِكري يا نَجماً بِدَيجُوري

قد ضِقتُ ذرعاً بِناسي والحياةِ وما   حولَ الحياةِ لجُرحٍ فوقَ مقدُوري

أمضي وتبقى عهُودٌ ذُقتُ لذَّتَها   ما ينقضي وصفُ منظُومٍ ومَنثُورِ

يا أنجُمَ اللّيلِ هل شاهَدتُمُ دَنِفاً   مثلي طواهُ الأسى طيّاً كمَسحُورِ

يا أنجُمَ اللّيلِ هل نادَمتُمُ قمراً   مثلَ الحبيبِ الّذي يهوى تعابيري

تقولُ لي والأسى يمحو تبسُّمَها: ما أبدعَ الشِّعرَ إحساساً بتعبيرِ

أمَّا أنا فَشُعُوري حينَ أذكُرُكُم   يقولُ للنَّارِ في أعماقِها غُوري

١٩٨٤/٩/٢.

بِص - فرنسا

موج

وَالهوى ثالِثُنا

جادَكَ الغَيثُ حـبيـبي إذ هَمَى   وسَقَى الـغَيـثُ مَراعـي المُقَلِ

يومَ كُنَّا والـهَوَى ثالثُنا   قَد صفَا مَشـرَبُنا مِن منهَلِ

وفـراشـاتٌ زهَت ألوانُهَا   زفَّتِ الحُبَّ بِفَجـرٍ مَخـمَلي

وزُهُورُ الرَّوضِ يَندى ثغـرُها   بـابـتِسامـاتِ سُرُورٍ مُذهِلِ

وعُطُورُ الوردِ فـاحَتْ تكتسِي   روضَتي مِنهـا بأحلى الحُلَلِ

وطُيـورٌ حـائمـاتٌ زغـرَدَتْ   بـأهـازيـجَ كَلَحـنٍ ثَمِلِ

وابتِسـامـاتُ الهـوَى قـد أينعتْ   فَشفَتَ بـالـنَّفـسِ سُقـمَ الـعِلَلِ

يـا ربيـعـاً مـرَّ بي أذكُرُهُ   في فُؤادي رَسـمُهُ لا يَنجلي

هاجَني الشَّوقُ نُهيـراً يَحتَوِي   سنَواتِ العُمـرِ بَسـقي أمَلي

يـا زمـانـاً قد تَعَفَّى وانقـضَى   جـادكَ الغَيثُ بِشَهـدِ العَسَلِ

١٩٨٥/٣/١٢م.

جابدة

الـوادي





حُبٌّ قديم

يَمرُّ الليلُ يتبعُهُ نهارُ — وتتبعُ يوميَ الذّأوى فُصُولُ

وتمضي خلفَها الأعوامُ حَسرى — ويمضي العُمرُ يُعقبُهُ الرَّحيلُ

وينطفِىءُ التوهّجُ حين تُمسي — حياةُ الناسِ بأسرِها الأفولُ

ويبقى المرءُ للذّكرى قُروناً — إذا ما زانهُ العَمَلُ الجميلُ

وأغدو للهوَى حُلُماً ورَمزاً — يُناوِشُهُ الزّمانُ فلا يزولُ

يمينُ اللهِ أني لستُ أنسى — خليلاً ما نأى عنهُ الخليلُ

إليهِ تحيّةٌ أوتارُ قلبي — مُنغّمةٌ ليُوصِلَها الرَّسُولُ

ليعرفَ أنني وافٍ لعهدي — وبالحُبِّ القديمِ أنا القتيلُ

ويعرفُ مَن وشَى ظُلماً بأنّي — إلى واشٍ حقودٍ لا أميلُ

سأقنعُ بالوِدادِ بلا وِصالٍ — وقد يُنمي الوِدادَ هوىً وَصُولُ

ويحيا العاشقُونَ على التّلاقي — ويكفيني التنهُّدُ والقبُولُ

١٩٩٠/٧/٢٣.

فرنسا – سفرنيه

وَضاعَ الدّربُ

خفَقَ الشّوقُ بالفؤادِ ففاضت	ذِكرياتُ السّنينِ شوقاً لِنائي
فادّكرتُ الوِصالَ منكِ بعهدٍ	كُنتِ فيهِ كريمةً باللّقاءِ
لكِ قلبٌ كأبيضِ الثّلجِ أصفى	مِن زُلالٍ يُنبوعُهُ بالسّماءِ
أو كنُورِ الصّباحِ لامسَ ورداً	ضمّختهُ الأسحارُ بالأنداءِ
ويح نفسي حسدتُ نفسي لأنّي	قد تربّعتُ ناعماً بالهناءِ
إذ سكنتُ الضّميرَ في القلبِ أحسو	أعذبَ الحبِّ في دنى الأهواءِ
فرضعتُ الهوى شهيّاً مُصفّى	مُذ تكحّلتُ يافعاً بالسّناءِ
وتدلّلتِ تطلبينَ وِصالاً	وتمنّعتُ هازئاً بالرّجاءِ
ومضينا وضاع دربي عنّي	فمضى العمرُ في دروبِ العناءِ
رُحتُ أهذي أسائلُ الدّهرَ عنها	فتلقّيتُ ضحكةً عن ندائي
وتيقّنتُ أنّ دربي شطّت	فتضاحكتُ ساخراً من شقائي
أتعبتني الدّروبُ سعياً دؤوباً	أبحثُ اليومَ عن بقايا بقائي

الأبيات الثلاثة الأولى في جنيف
١٢/٨/٨٩ وبقية القصيدة
بحباطة على حدود مصر الغربية

١١/١١/١٩٩١.



رنينُ السَّحر

بعفَّـةِ عُـذريٍّ وطُهـرِ بُثَيـنَـةٍ ... وإخلاصِ قيسٍ ذائعِ الشِّعرِ والحُبِّ

ولَوعَةِ خـالي ابنِ لَعبُونَ راثيـاً ... لمَيٍّ غـداةَ البَينِ حَلَّ بيثـربِ(١)

وشـوقِ لعشَّاقٍ مَضَوا مُذ كُثَيِّرٍ ... إلى يومِنا ذاقـوا الفراقَ بلا ذَنبِ

قَضَـينا سنينَ الحُبِّ نقطفُ زَهرَةً ... كنَحلٍ وُرُودِ الرَّوضِ بالوَردِ تَختَبي

رَفِـيقَةُ دربي أبيضُ الذَّيلِ ثَوبُهـا ... وأذكُرُهـا حُسنـاً يَشِعُّ كَكَوكَبِ

فَـراشَةُ صُبحٍ يَعتَلي الزَّهرَ عَرشُهـا ... كَـذا وصَفْتُها نَسمَةُ الحُبِّ عن قُربِ

وهَيهاتَ أنسَى ضِحكةً هزَّ سِحرُها ... مكامِنَ أوتارِ الغَرامِ مِنَ اللُّبِّ

فظَلَّ رنينُ السِّحرِ يُؤنِسُ وحدَتي ... وظَلَّت بِذاكَ السِّحرِ آمالُنا تُنبي

تمَتَّعتُ أصـغي تارَةً لعتابِهـا ... وأخرى لشكواها المَسيرِ على الدَّربِ

وطوراً تراني أسمعُ الكَونَ فرحَتي ... ورابعـةً أشكو الوفَاءَ إلى الرَّبِّ

فَـ[illegible] أتعَبَ القَلبَ الوفَاءُ لحبِّهـا ... ومـا مِن فكاكٍ للوفَـاءِ مِنَ القلبِ

وقَـد أرهَقَ السَّيرُ الطَّويلُ زمانَنا ... فَملَّ هَوانا في اضطرابٍ من الخَطبِ

(١) رثي الشاعر المعروف بالجزيرة العربية محمد بن لعبون (جد الشاعر لأمه) حبيبته «مي» عندما توفيت أثناء حجها بالمدينة المنورة بقصيدة كلها لوعة وذلك منذ ماية وسبعين سنة.

وهيهاتَ أن أنسَى الزمَانَ الذي انقضَى بأنغــــامِهِ السَّكرى يُخَلَّدُ بالغَيبِ

نداماي مـا أحلى البشـيـر إذا غـدا بـآتيَةِ الأيامِ تحـنـو عـلـى الـصَّبِّ

فـقَدْ ملَّ صَبري والمشُوقُ الى الهَوى يـحـــنُّ لأيامِ الـوصَالِ بـلا عَتَـبِ

نداماي عَفـواً قَد رحـمتُ عناءَكُم بصُحــبَةِ صَبٍّ ذاكـرٍ مُسـهَدِ الجَنبِ

مــشُوقٍ إلى الرؤيا وفيٍّ على المدى نَقيٍّ منَ الغَدرِ المُصـــاحِبِ للحبِّ

ويبـــقَى فؤادي طولَ دَهريَ عــاشقــاً بإخــلاصِ قَيسٍ ذائعِ الشِّعـرِ والحُبِّ

١٩٩٢/٤/٢٤

الحدود المصرية الليبية

شكوت النجم

شكَوتُ النَّجمَ مُذ سهرَت عيُوني — وجفَني يومَها عافَ الرُّقادا
وظلَّت مُهجتي تَشكو اشتياقاً — إلى وَصلِ الأحبَّةِ والودَادا
وقيثاري شَدا لَحناً اثيراً — إلى نَفسي يُثيرُ بهِ الفؤادا
وأيَّامي تُلاحِقُني لِكَي لا — نُفارِقُ في ليالينا السُّهَادا
أنادي لِلهَوى مَن كانَ قُربي — ويَقطَعُ دَهرُنا وصلَ المُنَادى
فيزدادُ اللَّهيبُ بِجرحِ قلبٍ — يُصَارِعُ في حناياهُ البِعادا
فتَصرعُني الليالي في ظَلامٍ — إلى المَجهولِ أنقادُ انقيادا
أناجي طَيفَ محبوبي وحيناً — يغيبُ فلا أنالُ بهِ المُرادا
وأركضُ خَلفَ طيفِ الطّيفِ ركضاً — فأخفقُ لا أرى إلاّ سَوادا
فأغضي كالذليلِ وكُنتُ حُراً — أبيَّ النَّفسِ مِقداماً جوادا
فكيفَ أضيعُ في زمنٍ بخيلٍ — بإسعادِ الأحبَّةِ إذ تَمادى
أحاوِلُ سَلوةً بعدَ التَّنائي — وأدعو للوِصَالِ هوىً مُعَادا
ولكنّي سأبقى طُولَ عُمري — أنادي لِلهَوى مَن لا يُنادى

١٩٩٣/٥/٢

القاهرة

حُلمُ العُمر

حلُمُ العُمرِ أنني ... ألتقيكِ فأشتكي

نشتكي البُعدَ مرّةً ... وعلى الوَعدِ نتكي

بَعدَ عُمرٍ طوَيتُهُ ... شَطَّ بَيني وبَينَكِ

وهبي أنني غداً ... يومَ سعدي التقَيتُكِ

يا تُرى هل ستَعرِفيـ ... ـنَ حَبيباً أحبَّكِ

بَعدَ ما طوّحتْ بهِ ... عادياتٌ لبُعدِكِ

وسُنوني تقاذفَتـ ... ـني فأورتَ كما بِكِ

سحنتي غُيّرت لِما ... لم يكُن في فؤادِكِ

فعقُودٌ عديدةٌ ... قد توالَت ببابِكِ

سوفَ لا تَعرفينني ... خُطَّ شيبي كَصُبحِكِ

وانطفَت ومضةُ السَّنا ... في عيُوني بِبَينِكِ

والتجاعيدُ قد غزَت ... وجهَ مَن كانَ حبَّكِ

لَن تَرَينِي بِبَسمَتي   قَد تَغَيَّرتُ بَعدَكِ

وغَدا القَلبُ صَبرةً   صَارَ رَمزاً بِدَربِكِ

لِوِدَادِ أحبَّتِهُ   كُلُّ مَن عَاشَ مِثلَكِ

يَذكُرُ الحُبَّ عَامِراً   في الزوايا بِقَلبِكِ

والأماني عَرشُهَا   مَخمَلِيٌّ بِصَدرِكِ

إنَّه قَلبِيَ الذي   مِلءُ أرجائِهِ اسمُكِ

لَم تُغَيِّرهُ أزمُنٌ   إنَّهُ وحيُ رَسمِكِ

فِيهِ ألحانُ نَشوَتِي   خِلتُهَا نَبضَ شَدوِكِ

لَيتَهُ الحُلمُ يَقظَةٌ   ألتَقِيكِ فَأشتَكِي

فبراير ١٩٩٣.

كنج مريوط

صُمود

عَشِقتُكِ غِراً ثم شابت ذؤابَتي ... ولا زلتُ أصبو للمَزيدِ منَ الحُبِّ

وما زلتُ أُكوى بالحنينِ إليكُمُ ... وما زالَ يَشكوني المسيرُ إلى الصَّحبِ

فقد مَلَّ منِّي السَّيرُ والدَّربُ مَلَّني ... كما كَلَّت الأقدامُ مشياً على الدَّربِ

تقولينَ لي: لا سكَّنَ اللهُ خافقاً ... وفياً سخياً مُفعَمَ الودِّ للصَّبِّ

نَسيتِ!.. ولَمْ أنسَ الصبابةَ والهوى ... وذِكرى وِصالٍ آسِرِ الرُّوحِ واللُّبِّ

نسيتِ!.. ولَمْ أنسَ اشتياقي إليكُمُ ... وحُرقَةَ أحشائي وذَودي عن الشُّربِ

وقَلبي إذا ما اجتاحَهُ البُعدُ والنَّوى ... وصارَ على أعتابِ هَولٍ منَ الغَيبِ

أُنادي بأعلى الصَّوتِ: ضاقَت جوانحي ... بِقَلبٍ براهُ الشَّوقُ من غيرِ ما ذَنبِ

وما ذَنبُهُ إلاّ الثَّباتُ لِحُبِّكُم ... برَغمِ التَّنائي وهوَ داعٍ إلى الخَطبِ

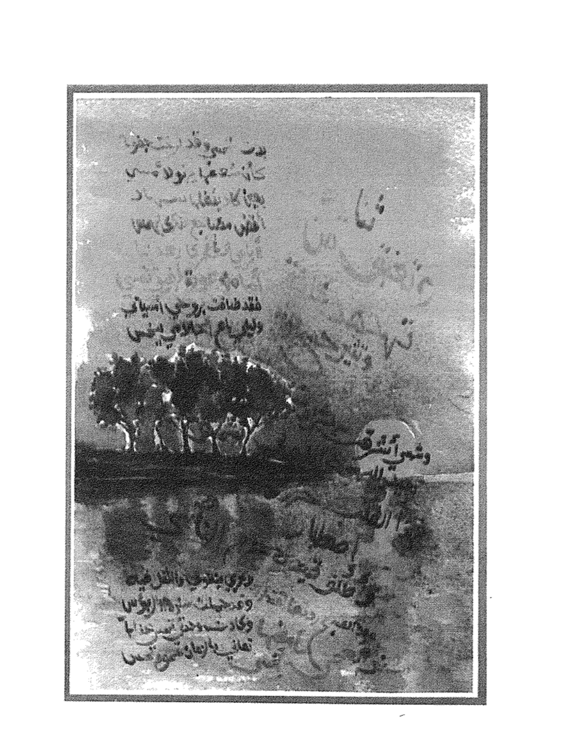
صُمُودٌ عنيدٌ يَقهَرُ اللَّيلَ والكَرى ... وفيٌّ يُجافي اللَّومَ صَبراً على الكَربِ

ستَذكُرُهُ الدُّنيا خُلُوداً بِحُبِّهِ ... ورَمزاً لَدى العُشّاقِ في صُورَةِ القَلبِ

ويبقَى على عَهدِ المحبَّةِ نابِضاً ... يُرَدِّدُ: أصبو للمَزيدِ منَ الحُبِّ

١٩٩٠/٣/٤.

كابنة





شيّبت ليلى

قَهرتُ الليلَ حتى شابَ ليلي ... ليبدو شيبهُ الوضّاحُ صُبحا

وأشقاني المسيرُ طوالَ دربي ... يهيبُ به الشقاءُ صُوىً ومنحى

تُمنّيني الرؤى لقيا حبيبٍ ... له ذِكرى بقلبي ليسَ تُمحى

مضَت أعوامُنا وغدَت سراباً ... ويومي طولُهُ كالدهرِ أضحى

يُسائلُني الفؤادُ وقد تردّى ... أتعتقدُ والفراقُ الصَعبُ صُلحا؟

فقلتُ لهُ وفي حلقي مرارٌ ... بحسٍ مُرهفٍ والصوتُ بُحّا

ظننتُكَ يا فؤادُ معينَ صبري ... وأسمعُ منكَ رغمَ البينِ مدحا

وجدتُكَ يا رفيقَ العشقِ تشكو ... فزدتَ بيَ الجروحَ أذىً وجرحا

نسيتَ مشقّةً كالدهرِ ولّت ... وتحشو اليومَ؟ ما أقساكَ مزحا

ألم ترَ أنَّ صبركَ عاشَ دهراً ... وعشقكَ قد بنى للحُبِّ صرحا

وعدتَ اليومَ مهزوماً تُعاني ... تُذيعُ السرَّ إعلاناً وبوحا

فليتكَ يا حبيبي الآنَ قُربي ... لتشهدَ كيفَ أنَّ الصبرَ شحّا

وليتكَ يا فؤاد صبرتَ صبري ... لتبقى في فمِ الأيامِ فوحا

فلُقْيانا وشيكٌ بعد نأيٍ ... وإيقادِ الضُّلوعِ بكاً ونوحا

تحدَّيتُ السِّنينَ وكان سيفي ... حديدَ الصَّبرِ لا يهتزُّ برحا

أصوغُ الشِّعر لحناً سرمدياً ... تُدَغْدِغُهُ المُنَى والشَّوقُ أُوحى

ألستُ أنا الذي هزئت جفوني ... بليلِ السُّهدِ حينَ اللَّيلُ أضحى

ألم ترَ أنني شيَّبتُ ليلي ... لِيَبدو شَيبُهُ الوضَّاحُ صُبحا

١٩٩٣/٧/٣٠.

بالطائرة من سوفرنية إلى القاهرة

وغابت أنجمُ

هجعَ الكلُّ ونامَ النُّوَّمُ ... وصَحا القلبُ وغابَت أنجُمُ

وسرى ليلي يجافيهِ الكرى ... في عروقي فغزاها السقَمُ

أيُّهذا عاذِلي لا تستزِد ... فلقد زادَ وعمَّ الألمُ

قد سهِرتُ الليلَ يكويني الأسى ... ونهاري قد طواهُ السأمُ

يا عذولي لا تكُن بي شامتاً ... خابَ مَسعاكَ وخابَ المَغنَمُ

لن يكفَّ النبضُ عن قلبي هوىً ... وحصادُ العذلِ منكَ الندَمُ

ما تراكَ العينُ من فرطِ القلى ... وبأذني من نداكَ الصمَمُ

كُفَّ عنّي ما لهذا وأنا ... فلقد آذى فؤادي اللُّوَّمُ

ودعوني في حنايا صبوتي ... حائماً فالعشقُ فيهِ الحُوَّمُ

وحبيبي لستُ أرضى منزِلاً ... لهواهُ غير قلب ينعمُ

هوَ في عيني طيفٌ شاخصٌ ... وبأذنيَّ حديثٌ يُكتمُ

وهواهُ ملءُ روحي حاكمٌ ... وعلى سرِّ وجودي قيِّمُ

إلفَ روحي يا زماناً قد مضى ... ذكرهُ الحاني لجرحي بلسمُ

أيُّ عهدٍ ذاكَ مِن عُمري انقضى ... يُطربُ القَلبَ ورُوحي النَّغَمُ

ما تراني بعدَ بينٍ حائِراً ... وبَدا غَيري لِدَربي يَرسُمُ

ساهِرَ اللّيلِ وشِعري والسُّها ... لَيتَ حُبّي عَن سُهادي يَعلَمُ

أتُراهُ يَسهَرُ اللّيل معي ... ورُؤاهُ طَيفُ حُبٍّ مُغرَمُ

أم خليُّ البالِ ناغاهُ الكرى ... وصحا قَلبي وغابَت أنجُمُ

١٧/١١/١٩٩٢م.

عشق آباد - موسكو

أحزان

أحقاً ما سمعت بما أتاني
وحقاً تلكَ أم لُعَبُ الزمانِ
بموتُ رفيقُ عُمري.. عزِّياني
فلا عيشي يطيبُ ولا وُجُودي

أسلتِ الدمع والعبرات عيني
فسيلي ما أردتِ بكلِّ حينِ
وإن نفدت دُمُوعي، ذا أنيني
سيبقى ما بقيتُ أسى نشيدي

أخالدُ كُنت للعَلياءِ ترنو
فشيِّدتَ الصُروحَ، وكُنت تدنو
من المجد المؤثَّلِ وهُوَ يَحنو
حُنوَّ الأمِّ للإبنِ الوَحيدِ

وجاءتكَ المنايا وهْيَ تحبو
فسلَّتْ روحَكَ الزاكي لتعلو
بهِ علياءَ ربٍّ كُنتَ تصبو
إلى إرضائهِ زمنَ الخُلودِ

أيا قبرَ الرفيقِ أخا الغَوادي
ترفَّقْ بالشهيدِ، فللعَوادي
مراماتٌ بنا، فهيَ الأعادي
سلامُ اللهِ يا روحَ الفقيدِ

جولاي ١٩٥٥.

جدة

مرثية للشهيد أخي وصديق صباي خالد عبد اللطيف البراهيم حيث دهسته سيارة عندما كان ضابطاً جديداً بالحرس الملكي في جدة أيام المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز.

تباريح

إنَّ مـا بي من تباريحِ الهَوى … يُلهِمُ الخنساءَ آياتِ الحَزَنْ

ونُفاثاتِ قصيدٍ قد حكَى … حَسرةَ الشّوقِ وقوفاً بالدِّمَنْ

وجميلاً وهو صادٍ يكتوِي … أشعلَتْ أشواقَهُ نارُ المحَنْ

عُذرةٌ بالطُّهرِ في عُشّاقِها … تزدهي بالفَخرِ في طُولِ الزَّمَنْ

بجميلٍ وبثَينٍ والهَوى … وبِشعرٍ يتَغَنَّى بالأغنْ

أينَ قيسٌ وجُنونٌ مَسَّهُ … ومُحبٌ تبعَ المجنونَ جُنْ

ولهيبٌ في حَريقٍ جَمرةٌ … أحرقَ المحسنَ في عشقِ الحَسنْ(١)

وأنينُ الخالِ قَد أوجعَهُ … بُعدُ ميٍّ بين طَلحَه والحَسنْ(٢)

لَو جمَعناها أحاسيساً فَما … عدلَت حساً برُوحي مُرتَهنْ

يتَلَوى من سنينٍ يبتَغي … أن يرى البَدرَ مُشعاً بالدُّجَنْ

بليالٍ عِشتُها ذُقتُ بها … مُرَّ عيشٍ أزدريهِ أو كُمَنْ

يتَتبّعُ الطّيفَ ويجري خلفَهُ … فيراهُ بسرابٍ قَد كَمَنْ

لستُ أرجُو عودَها فهي التي … قَلَبَت لي يومَها ظَهرَ المجَنْ

يا ليالي الوَصلِ عُودي فلَقَد … مَلَّ صبري وفؤادِي سيُجَنْ

كابدة … ١٩٨٨/٤/٩.

---

(١) يشير الشاعر إلى منطقة الحريق بنجد وإلى أميرها الغزلي الشاعر محسن الهزاني.

(٢) الخال هو الشاعر محمد بن لعبون أمير الشعر النبطي وهو خال الشاعر، اما طلحة والحسن فالشاعر يشير بهما إلى موضع خيام «ميّ» محبوبة ابن لعبون، وطلحة الصحابي المشهور والحسن البصري الزاهد من القرن الثاني الهجري وكلاهما مدفون في تلك المنطقة

وُعُـــود

لا تَعــذِلُوني فـإن العَذلَ يَقــتُلُني   يا مَن قَسَوتُمْ على رُوحٍ قَضَت سـأمـا

ولا تقُولوا مضَت أعــوامُكُم وغدَتْ   جُرحاً عـميـقـاً بِقلبِ الغَيبِ فـالتأمَا

لا تحــسبُوا أنّ نارَ الحُبِّ قــد خمَدَتْ   فـالحُبُّ في الرُّوحِ مكنُونٌ وقـد سلِما

إن تنحتــوا من جبِالٍ صلدةٍ هرَمــاً   فــذاك أهونُ مِن هَجــرٍ بدا حلُمــا

لن يَصـرِفَ الحُبَّ عن قلبي مُلامُكُمُ   فـالماءُ في اليَمِّ لَن يَفنى إذا ارتطَمـا

ومـا ضـمـيـري بمُرتاحٍ لِنُصحِكُمُ   وكـيـفَ يرتاحُ مَن بالحُبِّ قـد غنِمـا

أمـضي بليلي ويومي عـابسـاً ضَجِراً   من خـوفِ هَجرٍ أعـاني الهمَّ والنَّدمـا

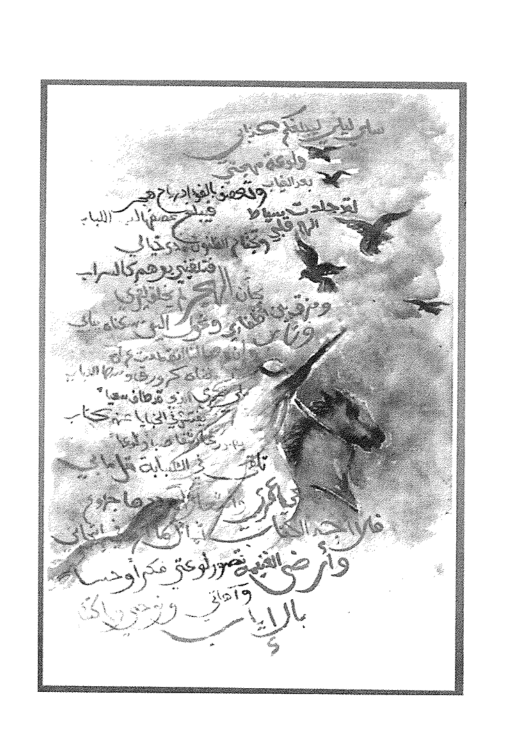
يا لائمِيَّ دعُوا ذِكــرَ الهَوى عــبِقـاً   يمضي بعـيـداً بأحـلامِ الصِّبـا نَسَمَا

حينَ التـقَينا وأسـمارُ الهَوى شهِدَت   نُجَيـمَةَ الصُّبحِ تدعـونا لهـا كَرَمـا

ثمّ انطَوينا وغــابَ الحُبُّ في سُدُفٍ   منَ الفِراقِ وعَقَّ الوِدَّ مَن ظَلَمــا

مـا لِلوعُودِ التي أمطرتني لَعِبَت   بهـا الرِّياحُ فـإنّي قـد قَضَيتُ ظَمـا

واليـومَ ها أنتِ في المحـرابِ راكِعَةٌ   وقـد نسـيتِ الهَوى والعَهـدَ والقَسَمـا


بعد الغياب
فتلقيني بوهم كالسراب



تأتينَ تبكينَ أيامــاً وقــد غرَبَتْ ... هل يُرجِعُ الدمعُ ما ولّى وما اخترَما

قـد ضاعَ عُمري هباءً إثر بُعدِكُمُ ... واضيعةَ الحبِّ من نأيٍ بهِ احتكما

هل تذكُرينَ تلاقينا ولهفتَنا ... ورنّةَ العُودِ والأوتارِ والنَّغَما

وفرحةَ الوعدِ إثر الوعدِ تُسكِرُنا ... وقد صَحَونا نُعاني اليأسَ والنَّدَما

هل ترجعينَ وقد شابَت ذوائبُنا ... وتركعينَ لأنسى البَينَ حين رَمى

خمسٌ وعشرونَ مرّت عاشها كمَدي ... وتحلمينَ بأنْ نَجني بها نُعَما

لا بأسَ أن تذكُري أيامَنا فأنا ... لا زلتُ أرقُبُ قلبي يجرعُ الألَما

.١٩٧٥/٦/٢٣

القاهرة – جنيف

طعمُ البينِ

أحبُّ حبيبتي حتى الثمالهْ وأسكرُ إذ أراها دونَ خمرهْ

وتحرقُ مهجتي نيرانُ نأيٍ إذا طالَ الفراقُ وزادَ هجرهْ

وتعصفُ في فؤادي ريحُ شوقٍ يمزُّ بها الحشا وتزيدُ جمرهْ

فتذرفُ دمعتي حرّى لعلّي أعالجُ لوعةً كالثكلِ مرّهْ

أذوبُ مشاعراً لأنيرَ ناراً رعت في القلبِ تحرقُ فيهِ صبرهْ

رعاكَ اللهُ يا زمناً تقضّى فهل من عودةٍ لربّاكَ مرّهْ

زمانَ الوصلِ قد ذبنا حنيناً لمغنى حبّنا روضِ المسرّهْ

فألقاها وتلقاني بشوقٍ يغصُّ من الهوى ما قد أسرّهْ

وتنجابُ الكآبةُ عن وجودي ونطوي الهجرَ والماضي وقهرهْ

فطعمُ البينِ مرٌّ في كياني وويلٌ للذي قد ذاقَ أسرهْ

يصدُّ النومَ عن جفني مقيماً كأني طالبٌ لليلِ فجرهْ

أما آنَ الأوانُ نعيدُ حبّاً لنحيي فيهِ بالأشواقِ عمرهْ

ونلهو في مغانيهِ انتشاءً ونجني وردةً وننشرُ زهرهْ

وثالثُنا ملاكُ الحبِّ يرنو لطيِّ البينِ نخفيهِ وذكرهْ

٤/٣/١٩٧٦م.

خضر الماء – خرالج

بدرُ الليل

يا بدرَ الليلِ متى يوفي — محبوبُ القلبِ وأسعدُهُ
ومتى يا بدرُ تدغدغُهُ — ذكرُ الأيامِ وترشدُهُ
يا ويحي ضاعَ وواأسفي — محبوبُ الأمسِ وموعدُهُ
قد نفدَ الصبرُ فلا أملٌ — أن يحمي القلبَ تجلّدُهُ
أخشى تنهارُ صلابتُهُ — ويذيبُ العزمَ تردّدُهُ
يا ليلَ البدرِ أتوصلُهُ — بحرُ الأشواقِ وتوردُهُ
وهوَ الظمآنُ لذي مرحٍ — بظلالِ الدارةِ مقعدُهُ
إن ظلَّ البعدُ يؤرقني — فحبيبي أرّقَ مرقدُهُ
وحبيبي أدنفَهُ بينٌ — يسري بالجرحِ فيوقدُهُ
وفؤادي من سيرقُّ لهُ — وضرامُ العشقِ يهدهدُهُ
ونعيمُ الحبِّ يعاودُهُ — وكتابُ العشقِ يخلّدُهُ
يا عشقاً هدّمَهُ بينٌ — قد كانَ الوصلُ يشيّدُهُ
ومحباً أسقمَهُ سهدٌ — يحكي الأحزانَ تنهّدُهُ
وكلانا أنهكَهُ نأيٌ — قد ضلَّ طريقاً مرشدُهُ

براغ

١٩٧٦/٣/١٥.

سـأسـلو

تُريدينني أسلو؟ سـأسلو فـلا غدٌ يُذكّرُني أمـسي ويُرهِقُ خـاطري

سئمتُ سُهاداً ألهبَ الجفنَ شَجوهُ وأنهكَ منّي القلبَ وانفضْ سامري

مَلَلتُ وِداداً خلتُ فيه حُشاشَتي منَ الألمِ المُضنـي بموقدِ ثـائرِ

ثلاثونَ عـامـاً مُذ عشِقتُكِ والهنا يُجافي وجُودي والتباعُدُ قـاهري

رحمتُ فـؤادي وهُو يشكو توجُّداً على فَنَنِ الذكرى بحيـرةِ طائرِ

ليالِيَّ قـد آنَ انطلاقٌ مِنَ الأسَى فكُوني بأفقِ الأنسِ نَجمةَ حائرِ

فـلا ساهِراً أبقى فـقـيدَ بشاشَةٍ ولا الطّيفُ يُغنيني بِرَوعَةِ زائرِ

ولا مُهجتي ترعى بها نارُ حُرقَةٍ فتجأرُ تشكو الظُّلمَ في حُبِّ جائرِ

سأسلُو ويَخلو القلبُ من ألمِ الجوى وأنسى هوىً عِشناهُ لحناً بِغابِرِ

وتبكينَ ذاكَ اليـومَ يومَ فِراقنا فَيلتَهبُ الجفنان من شَوكِ ساهِرِ

تعـدِّينَ في أفقِ السَّماءِ نُجومَها لتَسألَ عيناكِ صَبابَةَ شاعِرِ

أبَى الطَّيفُ منّي أن يُطيعَكِ زائراً برَغمِ التّنادي وانثِيالِ المشاعِرِ

وضاعَ هوانا في دُروبِ زمانِنا وقد أخرسَت منّي أغاريدُ طائري

١٩٨١/٦/٣٠.

القاهرة – الكويت

في عمق الزمن

يا عهوداً درست أرّقني ذكرها الخالد في عمق الزمن
أشرقت يوم التصابي في دمي وزهت روحي كطير في فنن
جمعت شملي وأحبابي وفي روضة العشاق أنستنا الوسن
يوم كنا ننسج الأحلام في هدأة الليل بتنميق وفن
وطفقنا نقطف الريحان من مهجة الفجر وفجري قد وهن
يوم وصل يحتويني ثملاً برحيق الحب والقيثار رن
وحسبت العمر يمضي مهلاً في صفاء دون همٍّ أو حزن
يا خليليّ ألا رفقاً بنا فلماذا تعذلاني وبمن
تعذلاني بعدما شبّ الهوى بفؤادينا وآدتنا المحن
وغدت حسرى بآلام النوى وأنا مزقني ليل الشجن
بعد أن هاج حنيني للذي هجر الدار ودربي والوطن
يا عهوداً درست أذكرها أرّقت جفني وغابت في الزمن

١٩٨٧/١١/١٦.

خور كلاوة

مــوج

عمر ينطوي

بَدَت شَمسي وقَد أرخت جفُوناً | كأنّ شعاعَها يرنُو لأمسي
بعينٍ كادَ يُثقِلُها سهادٌ | أقضَّ مضاجعَ الذكرى بهَمس
أأيّامي ويا فجري بعدنا | أما من عودةٍ لرفيق نفسي
فقَد ضاقَت بروحي أمسياتي | ولَيلي باعَ أحلامي ببَخسِ
وعُمري ينطوي والثقل فيه | وقد حمَلَتْ سنُوهُ جبال بؤس
وكادت وحدتي تُمسي عذاباً | تُعاني بالزمانِ هموم نَحس
ولكنّ الربيعَ أتى ضحُوكاً | تُعانقهُ الورودُ عناقَ عُرس
وتعبقُ من ثناياهُ عطورٌ | تُهدهِدُ خافقي وتُثير حسّي
وشمسي أشرقَت إشراقَ نورٍ | تعيدُ البهجَةَ الأولى لشَمسي
فهذا القلبُ حرّرَهُ اصطبارٌ | وأطلَقَ قيدهُ عزمُ التأسّي
وهذا الصُبحُ ردّدَها اقتداراً: | سنُو عُمري سأمضيها بأنس

١٩٨٧/٨/٢٠.

كوبنهاجن

البوادي

زَمَانُ الحُبّ

دعي الملامَ فـإنَّ اللومَ أرهقني ... وأرهقَ النفسَ تعليلي وتسهيدي

وهزّني ألمٌ في القلبِ أوجعني ... يزيدُهُ اللومُ ما يُضني أناشيدي

سكبتُ روحي بكأسي كي أنالَ بها ... حُباً بحبٍّ وإمعاناً بتوحيدِ

فراعني أنَّ أعوامي وقد مُزجت ... بالمُرِّ والبينِ تمضي بالتناهيدِ

واضيعةَ العمرِ والمحبوبُ تُبعدهُ ... سودُ الليالي وذكرى من بها عيدي

حاولتُ أسلو فلا السلوانُ أرجعها ... ليالي الوصلِ أو حلوَ التغاريدِ

دعي الملامَ فقد ولى لنا زمنٌ ... يأتي المشيبُ عليهِ بالتجاعيدِ

فأينَ أنتِ زمانَ الحبِّ يا حُلُمي ... وكنتِ لحناً شجياً في أغاريدي

لم يبقَ من حُلُمِ الماضي سوى شَجَنٍ ... أسمعتُ شكوايَ منهُ للجلاميدِ

سددتِ سمعكِ عن نجوى مشاعرِنا ... والآن تُبدينَ شوقاً من جوى الغيدِ

دعي الملامَ فأنتِ الجرحُ في كبدي ... فكيفَ أنتِ التي جاءت لتضميدي

لا تعذلي فزمانُ الوصلِ مزّقهُ ... هجرٌ ظلومٌ شجاني في ضحى العيدِ

كُفّي الملامَ فلا قلبي أحمِّلُهُ ... ثقلَ السنينَ ولا أرضى بموؤودِ

١٩٨٣/٨/٢٠

إيطاليا

الومضُ الحارق

فـــاضَ قَلبي بالتيـــاعي والجوى ... وبَرى جِســـــمِيَ شَوقي والنَّوى

وتـذكّرتُ سُوَيعـــــــاتٍ مضَتْ ... هاجَني الوَجــدُ إليـهـــا والهوى

هاجِسٌ أقـلَقني يرجُو اللّقـــــا ... ورجـــائي بَينَ جَنبيَّ انزوى

يا ومــيــضــاً كـانَ قَلبي يرتجي ... قَبَســاً منكَ لِقَلبي فــاكْـتوى

هــادِنِ الــقَلـــبَ فَمَا روعَهُ ... طولُ بُعْــدٍ أو زمــانٌ قـد عوَى

أو سنُونٌ أبــعَدَتــنــا فــنأت ... يـا لَهُ البَينُ ثقـيــلاً إذ ثوى

أو وُلُوعٌ بِــالحَشَا أنــهكَنــي ... خلــتُهُ دائــي وقد عزّ الـدَّوَا

أو وِصـــــالٌ قُطِّعَت أوصالُهُ ... كـانَ يَزهو في خـيـالي فـانطوى

أو حنينٌ لـلّتـي أفـــــديٍ لَهَا ... مـا ثوى في الكَونِ أو مـا قـد حوى

أو حــريقٌ مُوجِعٌ في كـبدِي ... ويحَ قلبي بلَظَاها مـــا ارعوى

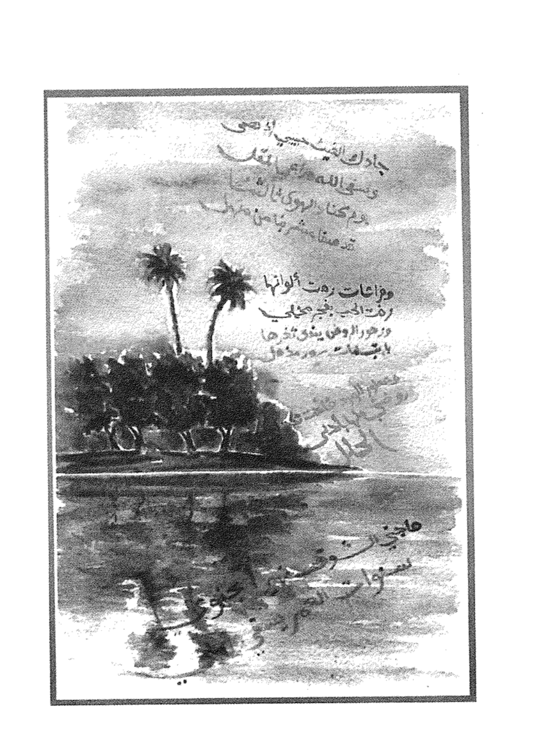
إنّمـــــا القَلبُ الـذي روّعَهُ ... أن يرى الومَضَ شـريكاً إذ كوَى

يا ومـيــضـــاً أملِي تحــمِلُهُ ... كُن بشـيـري إنّ حُزني قـد هوى

كُن بشـــيــري إنّ أيّامَ الصبَا ... عـانَقَت وَصلي وسعـدي مـا خوَى

١٩٨٥/٧/١٠.

نيس


وفراشات زهت ألوانها
زفت الحب بفجر مخملي
وزهور الروض يشدو ثغرها

وسط العُباب

سلي لَيلي ليُبلِغكُمْ عذابي ... ولَوعَةَ مُهجَتي بَعدَ الغِيَابِ

لقَد جلَدَت سِيَاطُ السهرِ قلبي ... ومزّقَ بَينَ أظفارٍ ونَابِ

وتَعصِفُ بالفؤادِ رِياحُ هَجرٍ ... فيَبلُغُ عَصفُهَا لُبَّ اللُّبَابِ

وتجتَاحُ الظُنونُ مدى خيَالي ... فتُلقِيني بوَهمٍ كالسَّرابِ

كأنَّ الهَجرَ لم يُخلَق لغَيري ... وغُولَ البَينِ سكناهُ بِبَابي

وأنَّ وِصَالَنا انقَطَعَت عُراهُ ... فتاهَ كزَورَقٍ وسطَ العُبَابِ

سلي عُمري الذي قد طَافَ سَعياً ... يُفَتِّشُ في الخَبَايا عن كِتَابِ

يُصوِّرُ عاشِقاً صَبّاً ولُوعاً ... تلَقّى في الصَّبابَةِ مثل ما بي

وأشعاراً يُردِّدُها جَزُوعٌ ... تُماثِلُ ما أُردِّدُ في انتِحَابِ

تُصَوِّرُ لَوعَتي فِكراً وحِسّاً ... وآهاتي ونَوحِي واكتِئَابِي

فَلا أجِدُ الكِتابَ بِسَعيِ عُمري ... وأرضى م الغَنِيمَةِ بالإيابِ

١٩٨٦/١١/٢٣.

طريق السلوم – العلمين

من الكويت إلى بلودان

يقرأ العشاق شعري فبه نوحي وعذابي

فيميل القلب أني لم أبح إلا بما بي

يا ليالي الدهر وافت ليلة العمر ببابي

ليلة فيها التقينا في انتشاء واضطراب

بعد أن هبت علينا ريح نأي واغتراب

فتباعدنا سنينا هي عشر من شبابي

غير أني بعد بغي الدهر في وهم السراب

يخمد الإحساس في قلبي كإخفاق الشهاب

لم تعد نفسي تشتقي بفراق أو عذاب

فلقد ضلت همومي بين سحب وضباب

إيه يا قلب تجلد واسقني مر الشراب

غاب عني جوهر الحب فما قشر اللباب؟

أترى قلبي غنى كعصافير بغاب

هدها الشوق حنينا لرفاق في الروابي

يا سِنين العُمرِ مَهلاً ... فكِلانا في احترابِ

لا تَحُثّي الخَطوَ وَثباً ... لِوِهادٍ وهِضابِ

إنَّ أيّامي تَقَضَّتْ ... في شَتاتٍ وانتِهابِ

لم أعُد أُسكِتُ فيها ... صَرَخاتٍ كالذِّئابِ

قَد كَفاني اليومَ فيها ... ذِكرياتٌ كالرُّضابِ

يا زَماناً قد تَوَلّى ... باشتِياقٍ واكتِئابِ

هل أُرجّي منكَ وَصلاً ... بَعدَ نأيٍ واجتِنابِ

يا زَمانَ الصَّفوِ آبَتْ ... صَبْوَتي بعدَ الغِيابِ

١٩٧٤/٨/١٥.

فى الطائرة

قصةُ حُبّ

هتَفَ الحُبُّ وأغرَى بي الهَوى … فتذكَّرتُ لقاءً مُذ سنينْ

كانَ قلبي طائراً مُرتعشاً … في حَنايا الصَّدرِ يَهفو للقَرينْ

ولِعُشٍّ ضَمَّنا يَرنو لَنا … بالأمَاني مُنعَمات بالحَنينْ

ورِمالٍ قد جلَسنا حولَها … نرقُبُ الفَجرَ وعِطرَ الياسَمينْ

أينَ منّي عاشِقٌ هدَّمَهُ … بُعدُ نأيٍ وبصمتٍ لا يبُينْ

وتناءَى والهَوى جَمرتُهُ … تتَلَظّى في رَمادٍ مُستَكينْ

كيفَ ذِكراي حبيباً ناسياً … قِصَّةَ العَهدِ ثوى بينَ الجُفونْ

قِصَّةَ الحُبِّ الذي عِشنا لَهُ … فانطوَى كالطَّيفِ في ومضِ العُيُونْ

أينَ منّي همَساتٌ خِلتُها … خُلِّدَتْ كالشِّعرِ في طيِّ القُرونْ

وأمانٍ طوقَت بي في دُنىً … ساحِراتٍ نابضَاتٍ باللُّحونْ

وأغانٍ قد سَمَت أنغامُها … فتعالَت بِسَماءِ العاشِقينْ

ولقاءَاتٍ تعالى سِرُّها … في ضَميرِ العِشقِ تنأى بالظُّنونْ

وعُهودٌ جدَّدَت عهدَ الهوى … لَم يُشبْها البَينُ أو زيفُ اليمينْ

أينَ منّي نظراتٌ أشعَلتْ … مُهجتي بالوَجدِ أو لذعِ الجُنُونْ

ألجمت فكري فأغضى تائهاً — في شعاب الصمت يرضى بالسكون

كلها ولّت ببين ظالم — وتناءت في متاهات السنين

غير ذكرى من وفيٍّ خافق — يصحب الحزن شقياً والأنين

قلت يا فجر تعهّدت الهوى — واثق الخطو وقد كان جنين

كيف رؤياك حبيباً قد نأى — ما وفى للحب أو عهداً يصون

فأجاب الفجر في هدأته — وخيوط النور تسري باليقين

إنّ من غاب وأخلى قلبه — من ضرام الحب للعهد خئون

غير أنّ النأي قد يبقي اللظى — في سعير لا ينى أو يستكين

وأراك الآن مشبوب الجوى — مستثار اللبّ إلفاً للشجون

مكفهرّ الليل في حضن الأسى — موحش الصبح حليف البائسين

ترقب الأيام تمضي عبثاً — موحشات خلتها ليل المنون

قلت يا فجر تناست حبنا — وأباحتني لكيد العاذلين

مزّقت وصلاً وعاثت بالمنى — هزأت بالحب أسمته الجنون.

بدّدت حلمي وأبقت يقظتي — آخر الليل فعفت الحالمين

أتمنّى لو أتاني طيفُهَا — إن أتيحَ الغفو حيناً بعدَ حين
أشتهي اللُّقيا خيالاً بعدما — حجبَ النأيُ لقاءات العيون
يا زماناً فيه ينمو زهرنا — وبضوعُ الصفو عطرُ الياسمين
وتُغنّي فيه أطيافُ المُنَى — بأغاريدِ الهوى تشفي الحزين
كُلُّ ما كانَ جمالاً في الدُّنى — بينَ خديها وما تحتَ الجبين
وتُناغيها نُسَيماتُ الصّبا — وردةُ الروضِ توارتْ في الغصون
وأفاقَ الفكرُ منّي بعدما — أهرقَ الذكرى على أرضِ اليقين
قُلتُ كالظامي وقد جفَّ فمي — وبصوتٍ فيه نوحُ المُستكين
عذبَ العمرُ فيا ويحهمُ — لَيلِيَ العادي وقلبي والشجون

١٩٨٠/٢/٢٣.

لندن

ربيعُ الجَمَال

تسامى الحُبُّ في نفسي فأضحى ... كَنبـــراسٍ علا فوقَ العوالي

يُضيءُ سَمَاءَ دُنيا كُنتُ فيها ... أعيشُ بظُلمَةٍ والقَلبُ خالي

عَشِقتُ الحُبَّ في أخلاقِ سلمى ... وسَلمى حُبُّها أزكى الخِصالِ

جَمالُ القدِّ أهيَفُ من غُصُونٍ ... إذا ماسَت بِغَنجٍ أو دلالِ

لها شَعرٌ كَعُمقِ اللَّيلِ داجٍ ... تُناوِشُني السُّهَا فيهِ بِدَالِ

وصُبحٌ في جَبينِ الوَجهِ بادٍ ... ربيعاً مُشرِقاً عذبَ الجَمَالِ

وهَدبٌ واللِّحاظُ غزَتْ فؤاداً ... مَنبعَ الحِصنِ في أعتى نِزَالِ

وخَدٌّ خِلتُهُ ورداً تَباهى ... بهِ كُلُّ الورودِ زهَا بخَالِ

وثَغرٌ باسِمٌ فيهِ لمَاهُ ... تَزيِّنُهُ الشِّفاهُ مَعَ اللآلي

وجِيدٌ أتلَعٌ يَسمو بَهاءً ... يَغارُ لحُسنِهِ جِيدُ الغزَالِ

وصَدرٌ نافِرُ النَّهدَينِ عاتٍ ... بِرُمحيهِ يَهِيئُ للقِتَالِ

وخَصرٌ دَقَّ لو نَالَتهُ أيدٍ ... تَقَصَّفَ واهِناً صَعبَ المَنالِ

وطولٌ يَستَثيرُ وقَد تعالى ... بِخَطوتِهِ جَديراً بالتَّعالي

يَصُوغُ الحُسنَ منها كُلُّ جُزءٍ ... ليُذهِلَ حُسنُهُ سامي الخَيالِ

فَبادِيهِ وخافِيهِ تَناهى ... إلى أُفُقِ المَلاحَةِ والكَمَالِ

تسامى آسِراً فِكراً وحِسّاً ... ويَخلُبُ مُهجَتي أمَلُ الوِصَالِ

١٩٨٣/١١/٢٧.

الطبيشية

غناءُ الكون

أتذكرُ إذ سهرنا الليلَ نروي ... منَ الذكرى حكاياتٍ طِوالا

ونجترُّ الأماني حالماتٍ ... وأعماقي تُناجيها جمالا

ونغرقُ في خضمِّ الليلِ آناً ... فنحبسُ في حناجرنا المقالا

ويُطربنا سكونُ الليل حتى ... لنحسبَ أنَّ من في الكونِ زالا

ونسمعُ من غناءِ الكونِ لحناً ... فلا ندري يميناً أو شمالا

سقينا المرَّ في زمنٍ تناءتْ ... منازلُنا فأبعدَتِ الوصالا

شكاتي حينَ أشكوها لنفسي ... تحزُّ بها فتجأرُ كالثكالى

ويعتصرُ الأسى قلبي وحسّي ... وأعماقي تُردّدُ ألفَ لالا

أناجي البدرَ علَّ البدرَ يرنو ... لساهرةٍ نضت عنها الكلالا

ليُخبرها بأنَّ العهدَ باقٍ ... برغمِ البينِ لا يرضى زوالا

أعيدي الصفوَ في نفسي وردّي ... أكاذيباً وأوهاماً ثقالا

فإنَّ النفسَ تحييها الأماني ... وإن خسرتْ معَ الحبِّ النزالا

أعيدي الوهمَ في قلبي فإني ... أحنُّ إلى العذابِ ولو خيالا

١٩٨٤/٤/١٤.

منطقة الشيخ محمد – شمالي سامراء

لن أعود

يا دَعدُ إنّي قد سلَوتُ هوَاكِ ... ونَسيتُ نيلاً ضمَّنا بلقاكِ

وتباعَدَت أيّامُ حُبٍّ عشتُها ... كانَ الهناءُ يلُفُّنا وبهاكِ

يومَ الأماني حولَنا رقصَتْ لنا ... جذلى بحُبٍّ قد سمَا بعُلاكِ

ونَسيمُ نيسانَ الرّهيفُ بلَيلَتي ... متمايلٌ قد أسكرَتهُ رؤاكِ

والوردُ يَضحكُ والزُّهورُ بعطرِها ... تهفو تُناجي بالأريجِ سنَاكِ

وتحُفُّ بالرّكبِ الصّغيرِ لواعِجٌ ... عندَ الوَداعِ فَترتوي عَيناكِ

وبدأت يوماً تجرحين حشاشَتي ... وزرَعتِ قلبي جارحَ الأشواكِ

وهدَمتِ صرحاً شادَهُ ربُّ الهوى ... ألَقُ الشُّموخِ به نمَتهُ يدَاكِ

وتُعربدُ العشرونَ خلفَ سنينِنا ... وتزيدُ عشراً غالَهُنَّ نواكِ

ويضيعُ عُمرٌ هدهدَتهُ يدُ المُنَى ... كانَ المُرفّهَ قبلَ أن يلقاكِ

ورَجعتِ مُثخَنَةً بجرحٍ ملؤهُ ... مرُّ الصَّبابَةِ والهَوانُ الباكي

لتُعيدَ ما كانَ الزمانُ به شدا ... مترنّماً بهَواكِ في مَغناكِ

أنا لن أعودَ إلى الهَوى بعدَ الذي ... قد كانَ منكِ وما جناهُ هواكِ

١٩٨١/٩/٥م.

القاهرة

مُناجاة

كَيفَ أمسَيتِ؟ بماذا تحلُمين؟ … ألحُبُّ الأمسِ ما زالَ الحَنين؟

أم تُراها ذِكرَياتٍ عصَفَتْ … فَبَدا قلبُكِ تَذروهُ السُّنون

إذ ترامى البُعدُ فينا شاسِعاً … بِفَيافي العُمرِ طُولَ الأربعين

ورَمَاني ويحَهُ في كَبِدي … ورمَاكِ البُعدُ فازدادَ الأنين

كيفَ أمسَيتِ وقد طَالَ الأسَى … وسهِرتِ اللَّيلَ لَيلَ العاشقين

وصُروفُ الدهرِ عاثَتْ بالمُنى … عَربَدَتْ عَربَدَةَ المُستكبِرين

غيَّرتْ فيكِ تصاريفُ الهَوى … بَهجَةً كانَتْ تَسُرُّ النَّاظرين

فغَدَتْ بسمتُكِ الوَلهى شجى … وغَدا لَحني كالنّايِ الحزين

وافتقَدناهُ وقد غادَرَنا … وصلُنا التّائهُ مِن غيرِ مُعين

فَصَبرنَا وصبَرنا ومضى … عُمرُنا يَجري وبِتنا صَابِرين

وكفانا عِشقُنا خلّدنا … فَمَشَيناها دُرُوبَ الخَالدين

كيفَ امسَيتِ وقَد لوَّعني … شَوقِيَ القاتِلُ والحبُّ الدَّفين

أتُراها تعتَريكُم مِثلَنَا … لَوعَةُ القَلبِ شجَتهُ كُلَّ حين

فإذا ذُقتُم عذاباً مَسَّنَا … وطغى الوَجدُ مِنَ البَينِ اللّعين

فاذكُرونا مِثلَما نَذكُركُم … رُبَّ ذِكرى أغدقت لِلظامِئين

١٩٨١/٩/٥.

حباطة - مصر

أطـلالُ الحُبّ

قَضَيتُ العُمـرَ أشـدو بالتِيَاعٍ ... بأطلالِ الهَوى أبكي جِراحـا

وكـانَ الحُبُّ صَرحـاً مِن وفـاءٍ ... تسـامى ذروةً فَعَلا الرِّياحـا

تهـاوى لوعةً في إثرِ هَجـرٍ ... فـآهاً للّذي ولّى ورَاحا

رثيتُ لمُهـجَتي تقـضي أنيناً ... وزَفـرتُهـا تُناوِشُني صِياحـا

أأيّامي أمـا تدرينَ أنّي ... كطيـرٍ صـارَ مَسلوباً جَنَاحـا

فـأسـألُ ليلَتي هل يا تُراها ... تعـودُ لوَصلنا وكـفى نُواحا

أجـابَ الليلُ: هل يرضى بعـادٌ ... سلاماً بعد أن شهرَ السِّلاحا؟

وأوغلُ في ظلامِ الليلِ يأسـاً ... أهدهِدُ لوعَتي والدّمعُ باحـا

وتخـتـالُ المُنى حُلمـاً بأني ... طويتُ الحُزنَ أرتقبُ الصّبـاحـا

لِتَلتئِمَ الجِراحُ جِراحُ عُمـري ... ونسلُو بُعـدَنا فـالوَصلُ لاحـا

وأحكي قـصّـةَ الآلامِ ذِكـرى ... جـلاها القَلبُ عنّي واستَراحـا

ويكـفـيني قِراءاتُ اللّيـالي ... وأبـدِلُهُ بأنّاتٍ مِراحـا

ونرعى في مـغـاني الحُبِّ صَفـواً ... ونُطلِقُ في مـراتعه سِرَاحـا

فـتـوقِظُني النّـوائبُ ويلَ قَلبي ... بأطلالِ الهـوى أبكي جِراحـا

١٩٨٨/٥/٣١.

كنجى مريوط

رحلة على أنغام النّاي

يا نايُ مالكَ تبكي الوصل منتشحاً
بالحزنِ والشوقِ والآهات والألمِ

تبكي الزمان الذي ولّى.. وتذكره
في كل آهٍ بأشكالٍ من السقمِ

فبُحّ صوتك من مرّ السنين، وقد
شاخ الزمان بلحنٍ فيك منسجمِ

يا ناي هدئ.. وسلني لا تناوحُني
سلني عن النوح والألحان والنغمِ

إذ جذوة الشوق في نفسي قد اشتعلت
منذ الزمان الذي شطّت به قدمي

فنبرة النوح تُشجي.. بل تُذكّرني
أحبابُ أمسٍ مضَوا في عُتْمةِ الظُّلَمِ

يقطّع القلب صوتُ الناي، يأخذني
إلى الوراء سنيناً عاشها حُلُمي

لا النوح يجدي، ولا الأنغام تُرجعه

ولا البكاء على الأطلال من شِيَمي

فالصبر عندي يَبنيه التجلّد بي

والحزن يبقى ويبقى فيَّ للعدم

أأنت مثليَ يا نايَ الهوى حَزِناً

أم تطربُ الحيَّ في مزماركَ الهرمِ

نُح ما تشاء فلن يجديك نوحك يا

رفيق دربيَ، فالمكلوم لم يُلَمِ

فأنت مشتاقٌ لا ريبٌ بذاك، ولا

شكٌ بشوقك يا نايٌ.. فأنت ظَمِي

لكنني - والهوى الغالي! يبرّحني

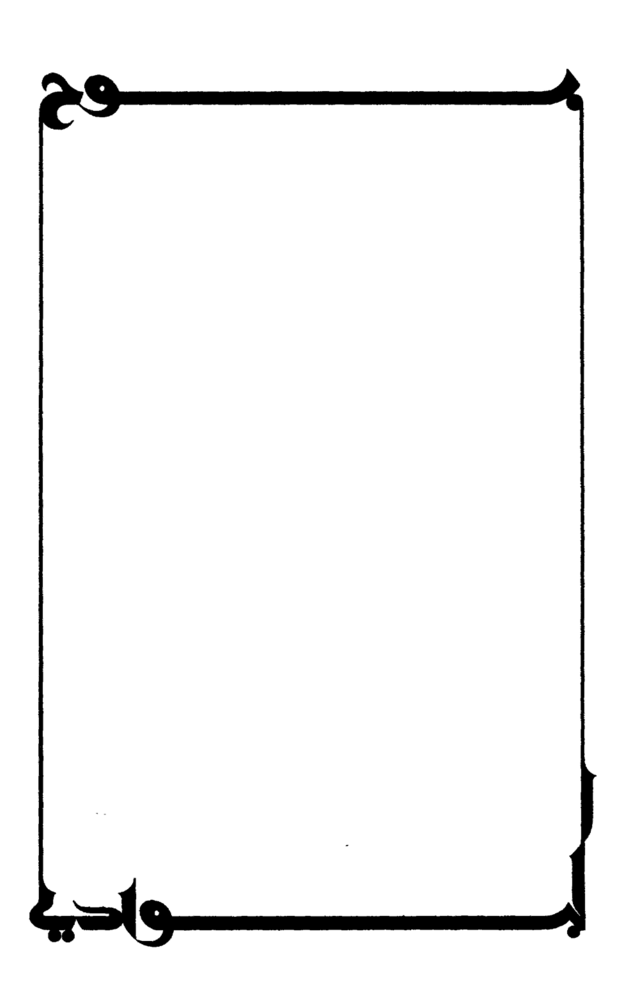
مسٌّ من الحب فاق الحزن وسط دمي

أنا الذي يتقضّى عمرهُ هزِئاً

بالحزن والشوق - مهما زاد - والالم

يناير ١٩٩٥

الفهرس



الفهرست

القسم الثانى

ديوان «بوح البوادى» فى الصحف والمجلات الأدبية

القسم الثالث

ديوان «بوح البوادى» فى عيون الشعراء

القسم الرابع

رسائل وآراء ولمحات نقدية

فى ديوان «بوح البوادى»

رقم الايداع ٩٦/١٠٩٩٩

الترقيم الدولى ٩٧٧-٠٣-٠٢٦٣-٥

مركز الدلتا للطباعة

٢٤ شارع الدلتا - اسبورتنج

تليفون : ٥٩٥١٩٢٣





عبد العزيز سعود البابطين

- رجل أعمال كويتي من مواليد 1936.
- أحب الشعر منذ صباه المبكر وكتب محاولاته الأولى قبل الخامسة عشرة من عمره.
- أخذته عن الشعر، حياة مليئة بالإنجازات في ميادين التجارة والاقتصاد والحياة العامة، لكنه ظل يحن إليه وينظمه على فترات متباعدة.
- أنشأ عام 1989 مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، التي وزعت جوائز دورتها الأولى في القاهرة في مايو 1990، بينما وزعت جوائز دورتها الرابعة في أكتوبر 1994 في مدينة فاس بالمغرب، فشدته إلى الشعر من جديد.

النقاد

د. مصطفى ناصف

د. محمد مصطفى هدارة

د. محمد عبد المنعم خفاجى

د. فوزى عيسى

د. عبد الملك مرتاض

د. أيمن ميدان

د. نبيل رشاد نوفل

د. خليفة الخيارى